رفقاً بالقوارير



الشيخ
محمد بن عبد الرحمن العريفي

دار عباد الرحمن

مكتبة ابن كثير
الكويت

رفقاً
بالقوارير

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٤٥٧٩
الترقيم الدولي I . S . B . N
977 - 6180 - 19 -1

دار عباد الرحمن

ج.م.ع. القاهرة
جسر السويس - شارع العشرين
ت/ ٠١١٨٢٩٨٢٩٤

رفقاً بالقوارير

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

دار عباد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الناشر

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد..

جاء الإسلام وكل أمم الأرض تمتهن المرأة وتبخسها حقها وغاية ما تصل إليه من تقدير الاعتراف بأصلها الإنساني، فكيف بتقرير كرامتها ومساواتها للرجل في الحقوق والواجبات.

إلى أن جاء الإسلام ليعترف لها بالمساواة مع الرجل ويقرر لها حقوقها كاملة لينقذها من ذلك الوضع المأساوي الشائن إلى أفق سامية على الصعد كافة.

وكفل الإسلام للمرأة جميع حقوقها، وأعطاها حقوقها الفكرية والمالية، فبعد أن كانت في الحضارات السابقة على الإسلام من سقط المتاع، تباع وتشترى وتورث، أعطاها الإسلام حق التملك، وحق التفكير، وأعطاها أهلية الخطاب الشرعي.

فلتفرح كل امرأة مسلمة بهذا الدين، ولا تغترن بقول قائل، أو بصياح صائح، ينوح ويزعم أن الإسلام ظلم المرأة، أو انتقصها حقها، وهم يريدون أن ينتهكوا

حرمتها، ويوقعوها في مستنقعات الرذيلة والمجون.

فيجب على جميع الأمة الدفاع عن المرأة وحمايتها، وأن تعلم المرأة مكانتها في الإسلام، لذلك قام الدعاة قديمًا وحديثًا بالحديث عن المرأة وحقوقها ومكانتها.

ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن العريفي حفظه الله.

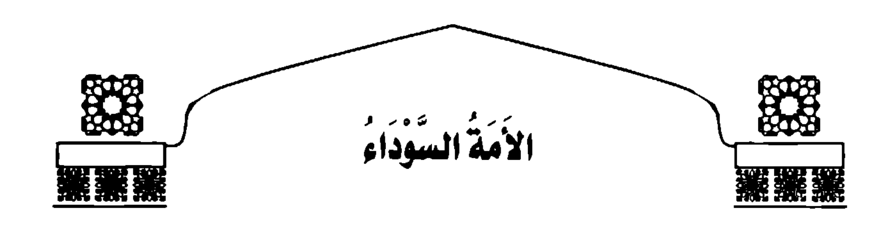
وذلك في برنامجه الشيق (رفقًا بالقوارير)، وهو برنامج يتناول الحديث عن نساء الأمة (أزواج النبي ﷺ، والصحابيات، والتابعيات)، ولذلك لزرع القدوة في الأمة الإسلامية.

ولتعلم أخي القارئ الكريم أن هناك فرقًا بين البرنامج المشاهد المسموع، وبين الكتاب المقروء، لذلك فقد قمنا بتفريغ أشرطة البرنامج، وبعد ذلك قمنا بمراجعتها مراجعة لغوية وضبط السياق، كما قمنا بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

وبإصدارنا لهذا الكتاب نكون قد أضفنا إلى مطبوعاتنا إصدارًا جديدًا نرجو من الله أن يتقبله منا، وأن يجعله في ميزان حسناتنا وأن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *



الأَمَةُ السَّوْدَاءُ

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

القوارير: نحن مضطرون أن نبين سبب التسمية، ذكرنا لكم سابقًا أن النبى ﷺ كان قادمًا من سفر وكان معه حادٍ حسن الصوت اسمه أنجشة يحدو بالإبل - ومعنى يحدو بالإبل ينشد لها بصوت جميل- فتسرع الإبل؛ فقال النبى ﷺ -خوفًا على النساء اللاتى فوق الإبل-: **«رويدك يا أنجشة، رفقًا بالقوارير»** أى: اخفض صوتك وقفْ، ويقصد بالقوارير: أولئك النساء اللاتى فوق هذه الإبل.

اليوم سنتكلم عن امرأة لم يذكر التاريخ اسمها: لكن ذكر عملها وجلالة قدرها ورفعة منزلتها عند النبى ﷺ.

هذه المرأة كانت سوداء ضعيفة تقُم المسجد، أى: تكنس وتنظف المسجد، تدخل والنبى ﷺ جالس مع أصحابه يتحدثون، فتأتى هذه المرأة وتبدأ تجمع الأوساخ من المسجد التى ربما تكون موجودة به.

ومرت الأيام وكان النبى ﷺ يراها فألف أن يراها تدخل وتبدأ تنظف، ثم فقدها يومًا أو يومين؛ فسأل عنها ﷺ: **«أين الأَمَة السوداء التى كانت تقم المسجد؟»** — مع أن عملها ربما يحتقره بعض الناس ومع ذلك عملها مهم- فهذا ما تستطيع أن تقدمه للإسلام، فهى لا تستطيع أن تكون مثل خالد بن الوليد قائد جيش، ولا تستطيع أن تكون مثل عبد الرحمن بن عوف فى إنفاق الأموال، ولا مثل عائشة فى سَعة علمها، ولا مثل خديجة فى وقوفها مع النبى ﷺ فى أوائل دعوته، ولا مثل أم سلمة فى روعة فكرها وإشاراتها للنبى ﷺ.

إن ما تستطيع أن تقدمه للإسلام قَمُّ المسجد، ففعلت ما تستطيعه.

فقال ﷺ: «أين الأَمَة السوداء التى كانت تقم المسجد؟»، قالوا: ماتت يا رسول الله، قال ﷺ **«متى ماتت؟»** قالوا: يا رسول الله قبل يومين أو ثلاثة، قال ﷺ **«لم لم**

تخبرونى أنها ماتت؟».

قالوا: يا رسول الله، إنها ماتت بليل، فكرهنا أن نوقظك -بمعنى: صعب أن نأتى ونطرق عليك الباب يا رسول الله ونقول لك: استيقظ لتصلى عليها- ودبرنا نحن الموضوع: غسلناها وكفنَّاها وصلينا عليها ودفناها.

فقال ﷺ: «لا دلونى على قبرها» أترى تقديره عليه الصلاة والسلام لعملها ورفعة عملها مع أنه عمل ربما يبدو فى بادئ الأمر عملاً عاديًا.

فأخذه واحد من الصحابة ومضى به -عليه السلام- حتى أوقفه على قبرها، فصلى عليها -عليه السلام- وهى فى القبر، ثم التفت ﷺ وقال لأصحابه: **«إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها بصلاتى عليها»**.

الشاهد من هذا: أن هذه المرأة ذكرها التاريخ وذكرها أصحاب السير ونص عليها فى السنة النبوية ولم يكن يذكر لها عمل فى الإسلام إلا أنها كانت تقم المسجد – تكنس المسجد.

إذًا أنت مُطالب أنت وأنتِ – وخطابنا فى الأساس موجه إلى أخواتنا النساء- نحن جميعًا مطالبون أن نقدم ما نستطيع لهذا الدين.

هذه المرأة لا تستطيع أن تقدم إلا أن تقوم بقم المسجد.

وامرأة ثانية: تستطيع أن تقدم أعظم من ذلك خاصة أن الإنسان لا يدرى ما هو الباب الذى يدخل منه إلى الجنة، وتعرفون أن النبى ﷺ أخبر أن امرأة بغيًّا من بنى إسرائيل دخلت الجنة فى كلب سقته، مرت ورأت بئرًا وهى قد عطشت، فنزلت فى البئر؛ لأن البئر ما كان فيه حبل ودلو؛ لأجل أن تخرج الماء؛ فنزلت بنفسها فى البئر وشربت من الماء وصعدت من البئر، فكانت ثيابها ويداها ونحو ذلك، كانت كلها مليئة بالماء وجعل الماء يتقاطر على التراب حتى تحول إلى طين؛ فأقبل كلب وجعل يأكل الثرى، يأكل الطين هذا؛ من شدة العطش، يريد أن يرطب فمه.

فقالت: لقد أصاب هذا الكلب من العطش مثلما أصابنى، فماذا تفعل؟ لا يوجد دلو تستطيع أن تخرج الماء، وصعبٌ أن تحمل الكلب وتنزل وتجعله يشرب مثلما شربت هى بيدها، وليس معها أى إناء تستطيع أن تحمل له الماء فيه...

أخذت تفكر؛ فنزلت المرأة فى داخل البئر، وعبأت حذاءها ماءً؛ وعندما ملئ الحذاء ماء ما كانت تستطيع أن تصعد والحذاء معها! فأمسكت الحذاء بأسنانها وصعدت حتى جاءت إلى الكلب وسقته، فنظر الله إليها فغفر لها. الله أكبر.

أنا أقصد بهذا – يا جماعة– أن الجميع لو شعر أننى مطالب أن أقدم شيئًا للإسلام بقدر استطاعتى، مثلما قدمت هذه المرأة الأولى التى كانت تقم المسجد، والمرأة الثانية التى جاءت وسقت الكلب.

وأيضًا من الحوادث العجيبة فى ذلك: أن النبى – عليه الصلاة والسلام– قال فى البخارى: «**رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة**». بماذا؟ قال: «**بغصن شوك أزاحه عن طريق المسلمين**».

بغصن شوك أزاحه عن طريق المسلمين!!

وكما قيل:

وإذا كانت النفوس كبارًا ... تعبت فى مرادها الأجسام

هناك ناس ربما تجدهم مشلولين – مثلًا – ومع ذلك قدموا للإسلام ما لم يقدمه غيرهم.

وأعطيكم مثالاً: كان هناك امرأة أصيبت فى حادث –وهى فى الحقيقة كانت داعية أصلاً– فأصابها شلل نصفى. وعندما أصيبت بهذا الشلل صارت المرأة صعب عليها الخروج من البيت؛ وذلك لأنها يشق عليها ذلك وتحتاج إلى كرسى متحرك، وتحتاج إلى عمل شاق؛ فصارت هذه المرأة -ياجماعة- مع أنها مشلولة تسعى فى أمور تخدم بها الدعوة وتقدمها للإسلام، أمور لا تستطيع، أو لم تقدمها أحيانًا بعض النساء اللاتى يكن سليمات معافات.

صارت هذه المرأة تجمع الصدقات من الأغنياء وهن النساء اللاتى يأتين لزيارتها، وتقول لهن: إن كان عندكن زكاة أعطونى إياها؛ فأنا أعرف مجموعات من الفقراء، وهى تتعاون مع الجمعيات الخيرية، وتتصل بها وتقول: هلم إذا كان عندكم أحد من الفقراء؛ فأنا عندى –مثلاً– ألف ريال أو ألفان وهكذا، أرسلوا أحدًا يأخذها، أو أحيانًا ترسلها مع أخيها.

وصارت تجمع الملابس المستعملة، من جيرانها وأقاربها يجمعون عندها هذه الملابس المستعملة التى تصلح للاستعمال مرة أخرى عند الفقراء، فتأتى هذه المرأة بكرسيها المتحرك، وتفتح الأكياس التى جاءت من هؤلاء النساء وتبدأ تصنفها: هذه ملابس الأطفال، وهذه رجالى، وهذه نسائية، هذه تحتاج غسل، وهذه تحتاج كى وأحيانًا تكويها بنفسها! نعم تشتغل.

وأحيانًا ترسلها إلى من يكويها ثم تجمعها وتحاول أن تضعها بشكل مرتب وترسلها إلى بعض عوائل الفقراء، وعندها ملفات لعدد من عوائل الفقراء، تعرف عدد الأطفال وأعمارهم واحتياجاتهم واحتياجات النساء.

وصارت أيضًا متخصصة فى الإصلاح بين الناس. تتصل بها امرأة تقول لها: أنا والله بينى وبين زوجة ابنى مشكلة، زوجة ابنى عصبية ودائمًا تثير المشاكل معى.

فتقول: أعطينى رقمها فتتصل بها، وتقول لها: يا أختى اتقى الله، الشيطان يحب التناحر بين المؤمنين، وهذا أمر محرم، وتبدأ تنصحها حتى جمعت بين القلوب، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «**ألا أنبئكم بما هو خير من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إصلاح ذات البين**».

أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قال: «**إصلاح ذات البين**»؛ لأن فساد ذات البين هى الحالقة لا أقول: تحليق الشعر؛ ولكن تحليق الدين.

هذه المرأة – يا جماعة – على شللها تطعم الفقراء، وتصلح بين الناس المتخاصمين، وزد على ذلك أيضًا نقطة قد نسيتها إذ أنها كانت تلقى محاضرات عبر الهاتف للمدارس النسائية، فهناك دور لتحفيظ النساء.

يا أخى.. أنا أعتبر هذه المرأة فرقة كاملة فى امرأة واحدة مشلولة لا تمشى، مع ذلك انظر إلى قدرتها على أن تدعوَ وعلى أن تتحرك وما إلى غير ذلك.

وأذكر من الأمثلة العجيبة: أنه كان لى محاضرة فى إحدى المرات مع مجموعة من طلبة الثانوية الأولاد والبنات، فكان الأولاد أمامى والبنات عبر شاشة – أى: فى صالة أخرى –، فطلبت منهم وتكلمت معهم فى هذه المسألة، وعن أهمية أن يشعر الإنسان أن له جهدًا لهذا الدين وعنده عمل يعمله لهذا الدين؛ فأرسلت إلىَّ طالبة وأخذت

الميكرفون وهى طالبة فى السنة الثانية الثانوى – هذه الطالبة ربما أنها أظنها لم تتجاوز ست عشرة سنة أو نحو ذلك-.

قالت: يا شيخ أنا لى نشاط فى الإنترنت، وقبل فترة كانت بعض مواقع الإنترنت نشرت صورًا يعنى سيئة عن النبى عليه الصلاة والسلام يصورونه بصور قبيحة ويكتبون تحتها «Mohamed» نبى الإسلام.

تقول: فكنت إذا دخلت بعض المواقع بالإنجليزية وكانت تنشر هذه الصور، أرسل إليهم نصيحة أول مرة. فإن لم يستجيبوا أرسل إليهم نصيحة أخرى –طبعًا بلغتهم- فإن لم يستجيبوا أرسل إليهم فى المرة الثالثة نصيحة؛ بأسلوب ثالث. فإن لم يستجيبوا أرسل إليهم تهديدًا أقول: أنتم تتنقصون نبينا عليه الصلاة والسلام وهو لم يفعل لكم شيئًا فلماذا تعتدون عليه؟ فإذا لم تعودوا عما أنتم عليه فسوف أدمر موقعكم.

تقول: فإذا لم يستجيبوا أرسل تحذيرًا ثانى. وإذا لم يستجيبوا أدخل هكرز وأدمر الموقع.

قلت لها: يا ابنتى كم موقعًا دمرت؟ أنت مشكلة!كم موقع.

قالت: والله يا شيخ خلال سنة واحدة دمرت ثلاثين موقعًا من الذين يسيئون للنبى عليه الصلاة والسلام.

انظروا إلى فعل هذه البنت. أنا طبعًا لا أدعوكم إلى تدمير المواقع وعمل مشاكل. فغدًا يقولون: العريفى يدعو أن يكونوا هكرز.. لكن أنا أذكر المثال.

والبنت ما دمرت مباشرة ولكنها تدرجت. البنت جاءت ونصحت مرة واثنتين وثلاثة وأربعة، هددت يا جماعة اعقلوا، يا جماعة اتركوا عنكم هذه الأمور.

يا شيخ: إذًا تسمح لى أن أدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

نعم وهذا الأصل. هذا الأصل فى دعوة جميع الناس، الأصل الرفق واللين فى البداية، ثم بعد ذلك يمكن أن يلجأ الإنسان إلى أسلوب آخر كما قيل:

إذا قيل حلمًا قل فللحلم موضع   وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

فكون الإنسان دائمًا يكون حليمًا حليمًا حليمًا، لا ينفع دائمًا؛ إذ تكون هناك بعض المواقف لا يصلح فيها حلم.

والنبى عليه الصلاة والسلام جاء عنه مواقف أنه غضب وحمل السيف ونحو ذلك أشياء؛ فليس دائمًا يصلح الرفق الرفق الرفق؛ بل يجب وضع الأمور فى مواضعها، وهو الحكمة التى أنزلها الله تعالى وقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]

إنَّا لا يزال كلامنا فى الحقيقة حول كون المرأة مطالبة أن تقدم شيئًا لدينها، وكنا ذكرنا قصة المرأة التى كانت تقم المسجد، وأن النبى ﷺ حرص على أن يصلى عليها مع أنها عملها يعتبر عملاً عاديًا.

قبل أن أسمع ما عندكم أذكر أنى بعض مرة قرأت فى بعض كتب التاريخ أن أحد الملوك بنى مسجدًا وكان من بداية بنائه لهذا المسجد وضع عند المسجد إشارة كبيرة كتب عليها اسمه، إن هذا مسجد الملك فلان الفلانى ومنع أن يدفع أىُّ إنسان أىَّ شىء أو مال فى هذا المسجد، حتى يكون أنا الذى بنيته ويكون باسمى.

فنام ليلة من الليالى فرأى أن ملكًا ينزل من السماء ويمسح اسمه ويكتب اسم امرأة معينة. استيقظ فى الصباح وذهب ونظر فإذا الشارة على ما هى عليه أى: اسمه مكتوب عليها.

نام الليلة الثانية فإذا الملك ينزل ويمسح اسمه ويكتب اسم المرأة، ثم الليلة الثالثة نفس الشىء ينزل الملاك ويكتب اسم المرأة.

فحفظ اسم المرأة وعندما أصبح قال: يا جماعة أتعرفون امرأة اسمها كذا وكذا؟ قال الذين عنده: لا، قال: اسأله فى المدينة؛ فسألوا فإذا هى عجوز مسكينة فقيرة. قال: أحضروها إلىّ؛ فجاءت، قال: أنت هل قدمت شيئًا فى المسجد؟ قالت: لا، قال لها: هل أعطيت أجرة لأحد العمال؟ قالت: لا.

قال: لماذا يمسح اسمى ويكتب اسمك؟

فقالت: والله ما فعلت شيئًا للمسجد إلا أننى مررت يومًا فرأيت أحد الخيول التى يشتغل عليها العمال ينقلون عليها الحجارة وهكذا، رأيته عطشان والعمال قد أهملوه؛ فأخذت دلوًا وعبأته ماء وقربته عنده فشرب، هذا الذى فعلته.

فقال: أنت فعلته لله؛ فمسح الله اسمى وكتب اسمك، وأنا أنشئ المسجد لغير الله

فاسمى سينسى. فأمر أن يمسح اسمه ويكتب اسمها.

الشيخ الكريم نتطرق إلى نقطتين من هنا:

النقطة الأولى: دور الطبيبات والموظفات والممرضات فى المستشفيات.

النقطة الأخرى: الكثير يعتقد أنه حتى يكون الإنسان داعيًا أو شيئًا من هذا القبيل فلا بد أن يكون عنده شيء من العلم حتى ولو العلم اليسير، ولا يعلمون بأن الإسلام دين المعاملة ودين الأخلاق، فنرجو النصيحة.

جميل. أما بالنسبة إلى تأثير -حقيقًا- الطبيبات والممرضات فى المستشفيات فهو أمر مهم ليس تأثيرهن فقط فيمن يشتغل معهن من أهل الطب. كلا بل حتى تأثيرهن فى المرضى. بمعنى ما أجمل أن تأتى الطبيبة إلى إحدى المريضات التى لا تصلى وتقول لها: يا ابنتى لماذا لا تصلين؟ يا أختى لماذا لا تصلين؟ وتذهب إلى الممرضة التى تعمل معها وتكون على ديانة أخرى وتعطيها صورة طيبة عن الإسلام فربما اهتدت بسبب ذلك.

حقيقًا للمجال الطبى وسيأتى معنا الكلام لما نتكلم فى القوارير سنتكلم عن الشفاء بنت عبد الله ﵂ صحابية كانت طبيبة وسوف نتبحر إن شاء فى مثل هذا الموضوع.

شخص آخر: دكتور لى تعليق على كلام الأخ عمر.

أنا من وجهة نظرى أن الدين المعاملة. فبالنسبة للموظفات والطبيبات قد تكون الدعوة بمعاملتى للآخرين، عندما تكون معاملة راقية فيها من نوع الصدق واحترام المواعيد واحترام الآخرين حتى ولو لغير المسلم فسوف يقتدى به ويكون لديه تقدم عندما تكون هناك نوع من الدعوة.

بلا شك المعاملة الحسنة تجذب الناس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾، تكون النتيجة ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإذا كان هو الرسول ومع ذلك معاملته تجذب الناس، وأنه لو كان فظًا لربما ذهب الناس عنه -وهذا أيضًا سنتكلم عنه لما نتكلم عن سيرة الشفاء بنت عبد الله الطبيبة الصحابية.

يا شيخ: فى ذكر الدعوة للنساء ليس ضروريًا أن يكون عندها علم ولا عندها علم شرعى.

أحيانًا بعض النساء تقول: إن الدعوة هذه مخصصة للرجال، ونحن ليس لنا علاقة.

وأنا توجد امرأة من قريباتى تجمع الخادمات فى كل شهر مرة تقريبًا، الخادمات غير المسلمات المسيحيات وهكذا. وتجمعهن فى استراحة فى مكان معين وتحضر لهن داعية من أبناء جنسياتهن، فالإندونيسيات تحضر لهن داعية إندونيسية وهكذا فيكون لهن تأثير بارع فى أبناء جنسياتهن، ويسلم على يديها كل شهر عدد تقريبًا من أثر الدعوة ومن أثر توزيع الكتب الدينية.

هذا فى الحقيقة يدعونى إلى الكلام عن تأثير المرأة فى الخادمة التى عندها، كانت توجد خادمة عند أحد أقاربى وكانوا حريصين على تعليمها، فهى تشتغل فى البيت؛ لكنهم يحضرون لها كتبًا ويحضرون لها أشياء.

فلما ذهبت إلى إندونيسيا فى إجازتها ألقت خلال الأسبوع الأول ثلاث محاضرات وهى فى الأصل خادمة هنا تكوى وتغسل وهكذا.

أود أن أسمع من (عاصم) فعاصم له تجربة جزاه الله خيرًا فى دعوة غير المسلمين وقد أسلم على يديه تسعة فيلبنيين، ما شاء الله عليه، احكِ لنا كيف كانت تجربتك.

بداية: التجربة يا شيخ كانت من سماع شريط لفضيلتك اسمه «على قمم الجبال» فكرة الشريط أنت قلتها يا شيخ، وأنا أخذتها وجربتها، وهى أنى آخذ بعض الكتب من مكاتب التوعية للجاليات، وأضعها معى فى السيارة وهى بلغات متعددة، ولكن أغلب لغة كنت آخذها هى اللغة الفلبينية؛ لأنهم كانوا ألين ناس إلى جهة الإسلام بمعنى أنهم قريبون جدًا من الإسلام.

فكنت عندما أدخل مطعمًا، بمجرد أن أقبل على النادل «الجرسون» أقابله بالابتسام وأتعامل معه باللين وبلطف وأستبسط معه أى: أكلمه وأحاوره وأنا فى الحقيقة لا أعرف الإنجليزية، ولكن الأمور تتيسر كلمة هكذا وكلمة هكذا وكلمة بالإشارة، والوضع يكون مقبولاً بإذن الله.

وقبل أن أطلع من المطعم أعطيه كتابًا وأقول له: هذا هدية منى وأتمنى أن تقرأه، وإن

شاء الله سوف أرجع المطعم مرة ثانية وأتمنى أن تكون قد قرأته. وجميع من أعطيتهم كتبًا يتقبلون هذا الشيء.

لم تجد أحدًا يقول لك: Sory هل كله يأخذه ويقول لك: **Thank You**.

كلهم يا شيخ يأخذون وقليل جدًا منهم من أعطيته كتابًا وقال: قد سبق لى أن أخذت كتابًا عن تعريف الإسلام.

أنا لتجربتى تقريبًا سبعة أشهر وقد أسلم تسعة، والحمد لله.

أذكر إحدى القصص، وهى أنى دخلت أحد المطاعم، ونفس الشيء ابتسامة وكذا أعطيته كتابًا وانصرفت، وبعد أسبوع لقيته وقلت له: سأمر بك وأسألك عن الكتاب وأنا أساسًا لا أعرف ما فى الكتاب؛ لأنه باللغة الفلبينية؛ لكنى قلت له: إن شاء الله سأمر بك مرة ثانية.

ومررت بالمطعم بعد أسبوع لا إراديًا فكانت صدفة فهذا الجرسون جاء لى يبتسم عندما رآنى وقال لى: يا كابتن أنا قرأت الكتاب وابتسم وتكلم معى وطبعًا أنا لا أعرف الإنجليزية، والحمد لله كان معى صديق لى يعرف الإنجليزية، ولكنه غير متقن، لكنه تكلم معه وعرفه الإسلام أكثر ثم انصرفنا.

ومررت بالمطعم بعدها بأسبوعين تقريبًا -والحمد لله- أسلم الرجل وكنت خلال الأسبوعين أمر من فترة إلى فترة ما كنت أدخل لآكل ولكنى فقط كنت أقول له: ما حالك؟ تحتاج شيئًا، وهكذا وكنت أمشى.

ترى المعاملة يا أخى كيف أسرته أسرًا.والحمد لله أسلم.

وقلت له بعدما أسلم: لا يكفى أنك أسلمت. أنت الحين حيث شعرت بطعم الإيمان وطعم الإسلام، ينبغى أن تدعو إخوانك وتدعو أهلك وتدعو أقاربك وتدعو الذين معك هنا فى المطعم.

وسبحان الله تأثير الشخص فى الذين حوله أقوى من غيره، فقد تأثروا بسببه هو. وأكثر من ثلاثة أشخاص تقريبًا أسلموا ودخلوا الإسلام.

ما شاء الله.. على يده هو، إذن على يدك صاروا اثنى عشر وليس تسعة، **الله يثبتنا وإياك**، إذن الذين تعطيهم كتبًا وتذهب عنهم وتتركهم كيف تدرى أنهم أسلموا؟

كنت فى بادئ الأمر أعطى بعضهم كتبًا وانتهى الأمر ولا أرجع له، ولكن عندما رأيت النتائج، صرت أحفظ المطعم وأحفظ من أعطيته كتبًا، وأصبحت فى وقت الفراغ لا أذهب لأتمشى بل أذهب إلى المطعم الذى أعطيت فيه كتابًا لجرسون فيه كى أراه وأسلم عليه وأسأله إن كان محتاجًا إلى شرح أكثر، أى: الفلبينيين نفسهم الذين أسلموا وأقول لهم: لا بد أن تعطوا كتبًا لغيركم وتدعوهم للإسلام. تقول لهم: لا بد أن تدعوا إلى الله.

نعم يدعو أقاربه والذين معه، وطريقة الفلبينى عندما يدعو قريبه تكون أقرب منى أنا، لأن الفلبينى يعرف كيف يتكلم معه ويستطيع أن يحاوره ويناقشه فى الحديث ويعرف طريقته وثقافته.

والتعاون أساسًا يكون من مكاتب التوعية، والكتب أسعارها رمزية جدًّا جدًّا لا تكاد تذكر.

أنت تشتريها على حسابك؟

أشتريها على حسابى الحمد لله.

بارك الله فيك مع أنك طالب ما زلت فى الجامعة. الله يوفقك.

اللّهُمَّ آمين..

ويوجد أيضًا بعض الناس متبرعين بمعنى أنه لا يوجد عندهم وقت أساسًا، الدعوة لا تحتاج إلى وقت. ادع وأنت ذاهب إلى المطعم، الدعوة تحتاج إلى هم لا إلى وقت.

الكتب تكون معك فى السيارة ولا يطلب منك أى شىء، مجرد أن تمد غيرك بالكتاب فقط والباقى سهل والحمد لله كل شىء مكتوب والدعوة طريقها سهل جدًّا. الله أكبر. طبعًا تجربة رائعة.

سؤال من شخص آخر: لماذا التركيز على الفلبينيين؟

يجيب عنه صاحب التجربة: الفلبينيون هم أقرب ناس للإسلام وكثير من الفلبينيين أساسًا كانوا فى السابق مسلمين ثم كفروا، والعياذ بالله، دعتهم النصرانية.

أنا جاءنى شخص وأعلن إسلامه فى المسجد، اسمه أظن جاك جون عمر، جده

اسمه عمر، جده مسلم.

طبعًا تجربة الأخ عاصم هى تجربة مع رجال فلبينين، الأخوات اللاتى يستمعن إلينا، القوارير يستطعن أن يطبقن هذه التجربة نفسها مائة فى المائة مع النساء بل إن تأثر المرأة بالمرأة أكثر من تأثر المرأة بالرجل.

فما الذى يمنع امرأة مثلاً ذهبت إلى المستشفى، كما أنها تحمل معها فى حقيبتها هاتفها ولعله يكون معها مساحيق تجميل، أن تضع معها أيضًا بعض المطويات حول الإسلام؟

قد تقول بعض أخواتنا من بعض الدول: نحن ما عندنا مكاتب دعوة أو ليس عندى فلوس أستطيع أن أشترى.

نقول: يمكن أن تسحبها من الإنترنت تسحب ولو ورقتين فيها تعريف عام بالإسلام وأسفل الورقة اسم الموقع بحيث إذا أرادت التى تعطينها الورقة بلغتها أن تتعلم أكثر عن الإسلام ترجع لهذا الموقع وتستفيد.

أنا أقول يا شيخ: بشكل عام بغض النظر عن الفلبينيين أو امرأة أو رجل أو علم أو كذا، أهم شيء للشخص أن يبادر بالأسباب، والله سبحانه وتعالى يسهل عليه ويطرح له البركة وتتفتح له أسباب هو أصلاً ما فكر فيها، والنية الصادقة تزيد العمل بركة.

مثلما قال: على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم النتائج، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥] ، نحن مطالبون بالعمل، النتيجة غير مطالبين بها، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] المقصود البلاغ فاعمل ما عليك، إن عليك إلا البلاغ.

مِن بين مَنْ أعطيتهم كتبًا واحد قال لى: أنا كنت أنتظر أحدًا أن يقول لى عن الإسلام شيئًا؛ ولكنى لم يكلمنى أحد، فقد كنت أسمع الأذان وكنت أحس أنه يوجد شيء صحيح فى دين الإسلام؛ لكن كنت أنتظر أحدًا يعطينى كتابًا، وأنا لى فى السعودية سبع سنوات وما أعطانى أحد كتابًا وهو فى السعودية؛ فكيف بالدول الأخرى؟!

والله هذه حقيقة حجة علينا، والكلام ليس فقط فى السعودية بل أنا أتكلم مع جميع دول الخليج، أتكلم مع دول المغرب العربى، مع مصر، مع دول الشام مع العراق، مع



اليمن مع إخواننا الذين فى الخارج فى أوروبا أو فى أمريكا وأستراليا كل العالم.

نحن نكلم كل إنسان ينتمى إلى هذا الدين أن يكون له تأثير فى غيره.

وقد ذكرنا أن امرأة تقم المسجد هذا الذى استطاعت أن تقدمه للدين، أنت يا أخى -وأنتِ - تستطيع أن تقدم أعظم من ذلك، نقرأ ونكتب وعندنا إنترنت.

يستطيع الإنسان أن يكون تأثيره أعظم من هذا، لكن أهم شيء أن يحمل هذا الهم بداخله فى قلبه، إذا حمل هذا الهم وفقه الله سبحانه وتعالى، إن الإنسان عليه أن يبذل ويصدق النية، والله سبحانه وتعالى يطرح البركة فى مثل ذلك.

أختم.. بقصة امرأة عجوز كانت تذهب للمستشفى وكانت تتأخر فى الدخول على الطبيب، فأحيانًا يكون قبلها أربع أو خمس نساء ، فكانت تأخذ معها كيسًا فيه أشرطة التى سمعوها فى البيت، أشرطة دينية، محاضرات وقرآن، وكانت تقول لجاراتها، إذا عندكم أشرطة سمعتيها ورميتيها يمينًا ويسارًا وفى السيارة عندكن، وقد أهملت أعطينني إياها.

فتأخذ كيسًا معها وبه عشرون شريطًا، ثلاثون، مائة شريط، وتأتى وتجلس فى غرفة الاستراحة الخاصة بالنساء لتدخل على الطبيب وإذا مر بها نساء تقول: تفضلى هذا شريطُ محاضرة عن بر الوالدين. هذا شريط محاضرة عن كذا... بمعنى أنها عملت شيئًا.

وأذكر امرأة أخرى.. ما تعرف أن تقرأ ولا تكتب، وكانت فى يوم من أيام الأسبوع تعمل محاضرة لجاراتها، كيف؟

تدعوهن إلى الفطور وتقول لهن يا مرحبا: أريدكن أن تأتين الساعة ٩ ويكون الفطور الساعة ١٠، وعندما يأتين الساعة ٩ تشغل لهم الشريط، هذا واقع وأنا أعرفها، تشغل لهم شريطًا عن فضل ذكرَ الله، آداب قراءة القرآن، هى لا تعرف؛ لكن تقول: اسمعن، فإذا انتهين قالت:يا مرحبًا تفضلن إلى الإفطار.

فكان هؤلاء النساء ينتظرن متى يأتى هذا اليوم.

المقصود: أنت عليك أن تسعى وتجتهد والله سبحانه وتعالى يطرح البركة، جزاكم الله خيرًا يا شباب وبارك الله فيكم.

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص والقبول.

أنتم أيضًا أيها الإخوة والأخوات أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء.

وأسأل الله أن يكون ما قدمناه نحن دافعًا لنا جميعًا على أن يقفز الإنسان قفزة وأن يكون له مثل هذا التأثير، خاصة أخواتنا القوارير.

وفق الله تعالى الجميع إلى كل خير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



قصة أم كلثوم

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم جميعًا أيها الإخوة والأخوات.

أنا حقيقة مسرور لتجدد هذه اللقاءات بكم.

وأسأل الله ألا يحرمكم عظيم الأجر وجليل الثواب.

سنتكلم اليوم عن امرأة صالحة من آل بيت رسول الله ﷺ، ولا شك أن آل بيت النبى ﷺ لهم مقام ولهم قدر، والنبى ﷺ يقول: «**أوصيكم الله فى أهل بيتى، أوصيكم الله فى أهل بيتى، أوصيكم الله فى أهل بيتى**».

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فآل بيت رسول الله ﷺ بناته ﷺ ونسل بناته الحسن والحسين وأم كلثوم أبناء فاطمة رضي الله عنها، وأيضًا على رضي الله عنه وزوجاته ﷺ، عائشة وخديجة وحفصة وأم سلمة كل هؤلاء من آل بيت النبى عليه السلام؛ لأن هؤلاء يدخلون ضمن آل البيت؛ لأن الله عز وجل لما ذكر موسى قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ [القصص: ٢٩] فسمى زوجته وأولاده أهله.

فأهل الرجل، آل البيت فعندما يأتى فى الآيات أو فى الأحاديث، آل البيت، فالمقصود زوجاته عليه السلام، وبناته أيضًا ففاطمة رضي الله عنها هى سيدة نساء أهل الجنة وبنتها أم كلثوم أيضًا امرأة صالحة وولداها الحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة.

أم كلثوم رضي الله عنها ولدت بعد الهجرة بست سنين وهى أصغر من الحسن والحسين أخويها، فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ولدت ثلاثة: الحسن والحسين وأم كلثوم.

وينسب إليها أنها ولدت محسنًا أو أنه أسقط من بطنها أو نحو ذلك، وهذا غير صحيح، فالحقيقة أنه لم يثبت فى كتب التاريخ أبدا لكن الذى ثبت الحسن والحسينة وأم كلثوم.

الحسن والحسين رضي الله عنهما هما سيدا شباب أهل الجنة كما ذكرت ولهما قصص وأحداث تدل على بطولاتهما وقدراتهما وغير ذلك.

أم كلثوم لما كبرت وصارت فى سن الزواج خطبها عمر رضي الله عنه فقيل لعمر رضي الله عنه: لما أنت حريص جدًا على أن تخطب أم كلثوم بنت على فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى**» حديث رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى وهو حديث صحيح.

يعنى: أن النبى ﷺ أخبر أنه يوم القيامة لا تنفع الأنساب إلا نسبى وسببى أنا، النسب معروف أن يكون من الذرية، والسبب هو الصهر.

فمثلاً: أنا أقول: فلان يقرب إلى بالنسب أى: من قرابتى مثل عمى وابن خالى وابنتى، وقرابتى بالسبب يكون بالصهر، كأن يكون متزوجًا من أختى أو أنا تزوجت أخته، أو رضع معى؛ المهم: أن يوجد سبب معين يجعلنا يقترب بعضنا من بعض.

أم كلثوم خطبها عمر رضي الله عنه إلى على فشاورها على، سألها فوافقت أن تخطب إلى أمير المؤمنين وكان عمر رضي الله عنه هو أمير المؤمنين فى ذلك الوقت فتزوجها، ولدت من عمر ولدها زيد بن عمر، وقيل: ولدت منه أيضًا بنتًا اسمها رقية.

كان عمر رضي الله عنه مشهورًا عنه الشدة فى التعامل مع الناس والصرامة، هكذا طبعه أصلاً مع أنه رضي الله عنه كان يأتيه لين فى كثير من الأحيان، حتى إنه كان إذا صلى بالناس وقرأ سورة يوسف وقرأ قول الله تعالى عن يعقوب والد يوسف: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤] يقولون: يبكى حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف.

فعمر رضي الله عنه كان له لين أيضًا خاصة مع زوجاته، وما كان يراعى اللين معها فى الأمور الدينية فقط، لكن حتى الأمور الحياتية مع الزوجة يراعيها، يقولون: إن عمر مرة فى ليلة من الليالى سمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى ألا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

تقول: لولا أنى خائفة من الله فربما أقع فى فاحشة؛ فأنا طال على الليل وأنا ليس معى زوج فربما أقع فى الفاحشة.

فسأل عمر عنها، فإذا زوجها خرج فى الثغور للجهاد، فقال: هـذه مـشكلة، نحـن نرسل الناس ستة أشهر أو ثمانية أشهر للجهاد، وزوجاتهن يقعدن هكـذا، فـدخل عـلى ابنته حفصة.

قال: يا حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها؟

قالت: تصبر؟

قال: كم تصبر شهرًا؟

قالت: نعم.

قال: تصبر شهرين؟

قالت: نعم.

قال: تصبر ثلاثة؟

قالت: نعم.

قال: تصبر أربعة أشهر؟

يقولون: فخجلت حفصة وغطت وجهها، وقالت: الأربعة كثير.

كثير أن تفارق المرأة زوجها كل هذه الفترة.

فأرسل عمر ﷺ إلى جميع الأمصار ألا يتعدى أحد أربعة أشـهر إلى الثغـور التـى على جوانب البلدان الإسلامية التى تسمى اليوم بحرس الحدود، يعنى ألا يبقـى أحـد أربعة أشهر متواصلة إلا يرجع إلى أهله، يحصل على إجازة، فكان عمر له مراعاة.

وفى يوم من الأيام كان يمشى فى الطريق وإذا به يسمع امرأة تنشد فى بيتها تقول:

من النـاس مـن يـسقى بعـذب مـرين ومن النـاس مـن يـسقى بكـذا أجـاج

يعنى:تذم زوجها، ثم قالت:

ومنهن من تسقى بأسود أجنن

تعنى: أن فم زوجى ليس حسنًا، فهى متضايقة من فم زوجها. يقولون: فسأل عمر عن زوجها، فذكر أنه أبخر -والبخر مرض يكون بالفم يؤدى إلى رائحة سيئة بـالفم- فهى متضايقة من زوجها؛ لأنه لا يعتنى بنفسه وينظف فمه وهكذا.

فقيل له: الزوج فعلاً كذا وكذا، وعلم عمر أن المـرأة لا تريـده وأنهـا تورطـت بـه

فناداه عمر.

وقال له: أعطيك خمسمائة درهم وتتزوج غيرها وأعطيك جارية أيضًا.

قال: تعطيني جارية وتعطيني خمسمائة درهم! فطلقها الرجل وأنقذها عمر منه.

فالمقصود: أن عمر الذى راعى هذه الأمور الدقيقة مع النساء يدل على أنه كان يراعيها مع زوجته أم كلثوم ﵁، حتى لا يقع فى النفوس شىء ويقال: كيف يكون رجلاً فى هذه السن ويتزوج شابة؟!

كان الأمر عاديًا عندهم، ونحن تكلمنا سابقًا أنهم أصلاً فى الثقافة التى كانت عندهم والعادات والتقاليد، ما كانوا يستغربون عندما يتزوج رجل عمره خمسون سنة أو ستون سنة فتاة عمرها فى العشرين أو قريبًا من ذلك.

الأمر عندهم عادى، كما أن الرجل ربما عدد: زوجتين وثلاثًا، صحيح أن المرأة ربما تكره ذلك، تكره أن يعدد عليها زوجها؛ لكن ما كان عندهم مشكلة كبيرة أن يتزوج الرجل.

أم كلثوم كانت امرأة صالحة ﵂، وكيف لا تكون صالحة وأخواها الحسن والحسين وأمها فاطمة وأبوها على وجدها رسول الله ﷺ؟ وكيف لا تكون صالحة وزوجها عمر ﵁ ؟

فهى جمعت الخير من كل جانب، وكانت تعاون عمر على الخير دائمًا، فى يوم من الأيام خرج عمر ﵁ فى أطراف المدينة، ينظر فى أحوال الناس فرأى رجلاً عابر سبيل عند خيمة قديمة، فجاء عمر ﵁ وقال: من أنت يا رجل؟

قال: امض لشأنك – بمعنى: ما شغلك؟- لا يدرى أنه عمر بن الخطاب، فقال: ما عندك؟ فقال الرجل: امض لشأنك فسمع عمر أنين امرأة من داخل الخيمة، امرأة تئن، آه آه آه.

فقال عمر: ما هذا الأنين؟! قال: ليس من شأنك، قال عمر: بل هو شأنى، أنت لا تدرى من تكلم! بل هو شأن سألتك بالله ما هذا الأنين ومن أنت؟

قال: أنا رجل من الأعراب فقير أقبلت إلى المدينة لأصيب من خير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهذه امرأتى تلد ووالله ما عندها شىء.



فقال عمر: لماذا لم تذهب إلى عمر؟!

فقال الرجل: لم أستطع الذهاب إليه أنا جئت متأخرًا وزوجتى تلد فنصبت الخيمة ووضعتها بالداخل حتى تلد، ولا أستطيع أن أتركها وأمشى.

فمضى عمر سريعًا، والرجل لا يدرى أن الذى أمامه هو عمر، ومضى عمر سريعًا إلى بيته، ودخل على زوجته الصالحة - طبعًا هو عنده عدة زوجات - دخل على خيرهن، على أم كلثوم رضي الله عنها بنت على بن أبى طالب.

فدخل عليها وقال: يا أم كلثوم هل لك فى خير ساقه الله إليك؟

قالت: نعم. لا أحد يكره الخير.

قال: ها هنا امرأة تلد، أيضًا انظر إلى أدبه مع زوجته، ما جاء إليها وقال: هيا يا أم كلثوم إلبسى حجابك وهيا اطلعى أمامى، أين يا زوجى؟ ليس شغلك هيا اطلعى أمامى وهكذا.

يأتى ويقول: يا أم كلثوم هل لك فى خير ساقه الله إليك؟ هو يخيرها ترى أدبه هو خيرها.

قالت: نعم. من يكره الخير، نعم أنا أفرح بالخير الذى أتانى.

قال: هاهنا امرأة تلد ليس عندها أحد، فاحملى معك ما يصلح للمرأة الوالد، احملى أى شىء يصلح لها؛ يعنى: عدة الولادة والفراش وغيره واتبعينى.

قالت: نعم سأفعل، وذهبت تصلح عدة أشياء ودخل هو إلى المستودع وحمل معه كيسًا على ظهره كيسًا فيه طعام، مع أنه عنده خدمًا وعنده جموع المسلمين ويمكن أن يخدموه؛ لكنه أراد أن يحمله على ظهره بنفسه.

فحمله على ظهره وهذا الخليفة وهو أمير المؤمنين وأيضًا كبر سنه، حتى وصلا إلى هناك وجاء عمر رضي الله عنه ووضع الكيس عنه ودخلت أم كلثوم إلى المرأة، وجاء عمر وجمع الحطب، والرجل الأعرابى جالس يُحدم، وجاء عمر رضي الله عنه وجمع الحطب وأشعل النار ووضع القدر على النار وجعل فيه الطعام وبدأ يطبخ والدخان يتصاعد بين لحيته وهو يطبخ وينفخ وهكذا.

والمرأة تلد وعندها سيدة النساء أم كلثوم، فى هذه الأثناء قالت أم كلثوم: يا أمير

المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

انتفض الرجل عندما سمع كلمة أمير المؤمنين، أمير المؤمنين وأنا أقول له: ليس من شأنك وابعد عنى وهو يشتغل لى وأنا جالس واضع رجلاً على رجل.

فجعل الرجل يتباعد من عمر ﷺ، خائف منه، فقال له عمر: هون على نفسك، هون على نفسك، لا تخف، وأخذ عمر الطعام وقام ووضعه بباب الخيمة، وقال: أطعمى المرأة منه.

فدخلت وأطعمتها منه ثم خرجت ووضعت الباقى: فجاء عمر ووضع الطعام عنده وقال له: خذ كل فإنك قد تعبت اليوم.

والله أنت الذى تعبت يا عمر، بينما هو جالس، إنك قد تعبت، فأكل الرجل ثم قال له عمر: خذ ما تبقى الآن من طعام من هذا الكيس وائتنا غدًا تصب إن شاء الله من الفضل.

فعمر كان يتعاون أصلاً مع زوجته على مثل هذه الفضائل، وعلى مثل هذا الخير، ما الذى حصل بعد ذلك هل بقيت معه حتى مات أم أنه طلقها؟

من تزوجت هى بعد عمر ﷺ ؟

أم كلثوم لبثت مع عمر حتى توفى عنها وكما ذكرنا ولدت منه، ثم تزوجت بعد عمر من عون بن جعفر بن أبى طالب، ثم مات عنها عون فتزوجت بعده محمد بن جعفر بن أبى طالب، كلهم أبناء عمها ثم مات فتزوجت بعده عبد الله بن جعفر بن أبى طالب هؤلاء الثلاثة أمهم أسماء بنت عميس وولدوا بالحبشة.

زيد بن عمر ﷺ العجيب أنه لم يعش طويلاً فمات هو وأمه فى يوم واحد، مات وهو شاب حتى أنه من شدة محبته لجده على ﷺ كان مرة جالسًا فى مجلس فتكلم رجل فى ذم على – لكنه بحب على ما هو جده أبو أمه– فأخذ زيد العصا وضربه على رأسه حتى أدماه، فقال الناس: لم فعلت ذلك؟ قال: تسب صاحب رسول الله عليه السلام، فكان مع أنه ابن عمر إلا أن علاقته بعلى ﷺ وبقية آل بيت النبى ﷺ كانت علاقة حميمة.

هل صحيح أنه يوجد اختلاف بين عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب؟ وهل هو

تزوج من ابنة على أم كلثوم رغمًا عنه لأنه كان أمير المؤمنين؟

أما وقوع الخلاف بين الصحابة فلم يصح أبدًا أنه وقع بين الخلفاء الأربعة خلاف، الخلافات بدأت بعد ذلك بين على ومعاوية رضي الله عنهما؛ وهى خلافات بشرية نفسية على أمور الخلافة وغير ذلك.

والحق مع على عمومًا رضي الله عنه؛ لكن لا يعنى هذا أن نقول: إن معاوية كافر أو أن نسبه أو نلعنه، فهو صحابى جليل، وإذا أخطأ فـ:

من ذا الذى ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

والنبى عليه السلام قال فيما رواه مسلم عن معاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب». ومعاوية هو خال المؤمنين لأن أخته أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان زوجة النبى ﷺ فهى أم المؤمنين وهو خالهم.

فالمقصود: أنه لم يكن هناك خلاف بين على وعمر بدليل أن عمر عندما مات يقول ابن عباس: كنت واقفًا عند سرير عمر وقد مات، يقول: فإذا برجل قد وضع يده على كتفى فالتفت أنظر إليه فإذا على وإذا هو يقول: رحمك الله يا عمر، لأن عمر صهره زوج ابنته.

يقول: رحمك الله يا عمر، والله ما من رجل بعد رسول الله ﷺ أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك، لو يقولون لى: بمثل عمل من تريد أن تلقى الله؟

أقول: بمثل عمل عمر رضي الله عنه، فذلك يدل أن عليًا أصلاً كانت علاقته بعمر قوية، هذا شىء، والشىء الثانى لو قيل: إن عمر ألزم عليًا أن يزوجه ابنته لدل ذلك على أن عليًا كان جبانًا.

وهل من المعقول أن يأتى واحد ويتزوج ابنتك رغمًا عنك؟ لا. لأن العقد يكون باطلاً: لأنه لا يصح مثل هذا العقد مع الإكراه.

فلا معقول أن تصف على بالبطولة وعلى كان بطلاً أصلاً من رءوس الأبطال عند الصحابة، بل فى التاريخ كله ثم تقول: زوجت بنته رغمًا عنه.

وإذا كانت تزوجت رغمًا عنه فلماذا أبقيت مع عمر إلى أن مات؟ كان يمكن أن تمكث معه ستة أشهر أو سبعة أشهر ثم تهرب من عنده.

لكن كونها بقيت معه وولدت منه ولدًا وبنتًا ولا زالت علاقة على بعمر إلى أن

مات عمر ويأتي وعمر ميت ويثنى عليه، فهذا دليل على أنهم أصلاً كانت قلوبهم مجتمعة وسليمة.

أم كلثوم ﵂ ينظر إليها التاريخ على أن الناس استفادوا منها استفادة عظيمة؛ بسبب الزواج الذى حصل بينها وبين عمر؛ لأنه أثبت للتاريخ ولكل الناس أنه لا يوجد خلاف بين عمر وعلى بل بينهما محبة وليس هناك خلاف.

هذه نقطة مهمة، المصاهرات بين الصحابة وبين آل البيت ﵃ تراها كثيرة ليست قليلة، وكان يسمى بعضهم أولادهم بأسماء بعض، الحسين ﵁ ممن قتل معه واستشهد معه فى كربلاء ولده عمر، فكان عنده ولد اسمه عمر ﵁ وسمى أحد أولاده من نساء أخريات غير فاطمة عمر.

وكان يسمى بأبى بكر، فما كان بينهم خلاف، وكون الإنسان يأتى ويحدث خلافًا وهم ليس بينهم خلاف، فهذه مشكلة وإلا فلو كان بينهم خلاف لما وقع بينهم مصاهرات. وكان يمكنه أن يسكن فى الكوفة أو مصر أو الشام، ويترك المدينة كلها لعمر، إذا كان سيلزمه أن يزوجه ابنته لكن دلك هذا على أن النفوس أصلًا كانت بينها طيبة.

ونقول: يا إخوانى، حقيقًا إن آل بيت رسول الله ﷺ لهم قدر، ومنهم أم كلثوم ﵂ وهى بنت فاطمة وجدها رسول الله ﷺ لكن مع ذلك لا ينبغى نحن أن نرفعهم فوق منزلتهم، بل النبى ﷺ لا يجوز رفعه فوق منزلته وهو النبى الذى هو رأس آل البيت عليه السلام.

النصارى رفعوا عيسى فوق منزلته وقالوا: هو إله وهو ابن الله.

واليهود رفعوا عزيرًا فوق منزلته وقالوا: هو ابن الله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] كما فى سورة التوبة، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله.

أما نحن فممنوعون أن نرفع أحدًا فوق منزلته، بل نقول: محمد عبد الله ورسوله وذريته من الأطهار وأوصينا بهم خيرًا، لهم حق حتى الخمس فى الغنائم، لهم جزء ليس لبقية المؤمنين.

والنبى ﷺ أوصى بهم خيرًا، لكن لا يعنى هذا أبدًا أنهم يرفعون فوق منزلتهم أو أن يدعى أن بينهم وبين الصحابة خلافًا؛ لأنه ما كان بينهم وبين الصحابة خلاف أعنى

آل بيت النبى عليه السلام.

دكتور، لو سمحت نريد منك نصيحة للرجال الذين يعاملون نساءهم بالعنف والقسوة، وهذا مما تعانيه الزوجات فى هذا الوقت وهم لا يستحقون منا ذلك.

طبعًا أنت ما تزوجت حتى الآن؟! شكلك تخطط حتى تتحسن السمعة. طبعًا توجد نقطة مهمة ذكرتها قبل قليل: وهى أن الرجل الذى جعله عمر يطلق امرأته لم يكن عنده اهتمام بجسمه إن صح التعبير.

فعمر كان يدقق فى مثل هذه المسائل، وإن المرأة لا بد أن تكون قابلة لزوجها وكذلك الزوج قابل لزوجته.

لا بد أن نكون واضحين أيضًا، فلا نطالب الرجل فقط بهذا ونهمل المرأة، فكما أن عمر كان يعامل أم كلثوم معاملة حسنة وكان يتعاون معها على الخير بشكل كبير، مثلما ذكرنا قبل قليل، هل لك فى خير قد ساقه الله إليك؟ كانت تبادله هى نفس المعاملة.

إلا أن عمر وهذا أمر مهم تذكرته الآن مع محبته لها لم يكن يقدم محبتها على محبته لله، ففى يوم من الأيام رأى عمر ﷺ هدية جاءت من ملك الروم إلى امرأته أم كلثوم فقال: ما هى هذه الهدية وإذا هى أساور وعطور، فقال: ما هذه الهدية؟

فقالت أم كلثوم: كنت قد جمعت مالاً لى واشتريت به هدية وأرسلتها إلى زوجة ملك الروم بحكم أنى زوجة ملك العرب وهو ملك الروم، نتهادى مع بعض فردت إلى بهذه الهدية.

فقال: نعم، أنت كيف أرسلتها؟ قالت: أرسلتها مع البريد الذى أرسلته أنت. قال: نعم؛ لكن البريد على حساب بيت المال نحن أرسلناه، فكيف تفعلين مثل ذلك؟ وخرج عمر يستفتى الصحابة، جلس مع مجموعة من الصحابة وقال: أنا زوجتى فعلت كذا وكذا، فهل يجوز أن تقبل هذه الهدية؟

هذه الهدية نقلها بريد المسلمين ورجعها بريد المسلمين، وهى تستفيد منها لوحدها؟

قال الصحابى: والله ما نرى إلا أن هذه حفيدة رسول الله ﷺ؛ يعنى: جدها، وزوجة أمير المؤمنين ولا نرى شيئًا، فلا تشدد فى الموضوع يا عمر، فدخل عمر عليها، قال: يا أم كلثوم،

والله إن فى نفسى شيئًا من هذا الذى جاءك؛ بمعنى: أنى غير مطمئن للوضع.

قالت: كيف؟

قال: أنت أرسلته على حساب المسلمين ورجع لك على حساب المسلمين وتستفيدين منه وحدك، فأنا أرى أن تأخذى منه بقدر تكلفة الهدية التى أرسلتها، وتردى الباقى فى بيت مال المسلمين.

فالمرأة لصلاحها وتقواها وخشيتها ما قالت: لماذا هذا التشدد؟ والله لا أصبر عليك، وطلقنى وذهبت لأهلها، لا، قالت: الرأى ما ترى يا أمير المؤمنين.

تقول: جزاك الله خيرًا تعيننى على نفسى، الرأى ما ترى. بالله ابحث اليوم عن امرأة مثل هذه.

إن شاء الله، نساؤنا فيهن خير عمومًا، نساء المسلمين لا يزال فيهن خير لكن هو نادر أن تجد هذه فى شدة الورع والخوف من الله تعالى والتعظيم لله والطاعة أيضًا للنصيحة التى جاءت.

تقبل النصحية حتى لو كنت غير مقتنع بها ما دام الشرع قبلها فأنا أقبلها قبلها عقلى أم لم يقبلها؛ رضيت بها نفسى أو لم ترض، الأصل أنى أقبلها مباشرة.

فهذه سيرة عطرة لهذه المرأة وهى قدوة حقيقةً لجميع بناتنا ونسائنا، بل والله قدوة حتى لرجالنا فى بدارها للخير وحرصها على العبادة واهتمامها بأهلها وبأولادها، وحرصها على طاعة زوجها.

نسأل الله أن يلحقنا بهم جميعًا فى الجنة.

أسأل الله ألا يحرمكم الأجر.

وجزاكم الله خيرًا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



السيدة زينب

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

مرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات، وأسأل الله ألا يحرمكم عظيم الأجر وجليل الثواب.

نحن أيها الأحبة الكرام نتكلم عن القوارير من الأوليات أعنى من صحابيات رسول الله عليه الصلاة والسلام.

تكلمنا فيما سبق فى سيرة سيدة نساء أهل الجنة (فاطمة) بنت رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وذكرنا لكم أعاجيب من حالها وفضلها.

وهى كانت أصغر بنات النبى -عليه الصلاة والسلام- وتوفيت بعد النبى -عليه الصلاة والسلام- بستة أشهر.

هنا سنتكلم عن سيرة أكبر بنات النبى -عليه الصلاة والسلام- وهى (زينب) بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

زينب أمها طبعًا معروفة وهى خديجة؛ وذلك أن خديجة هى التى كان للنبى -عليه الصلاة والسلام- منها أولاد..

أما غيرها فحرم الولد منهن، فلم يكن منهن أولاد؛ لا من عائشة ولا من غيرها، إلا أن مارية القبطية ولدت له إبراهيم وهى أمه، كانت عنده وتوفى وهو لم يكمل ستين من العمر.

فالمقصود أن خديجة هى التى كان منها أولاد، رُزق النبى عليه الصلاة والسلام بولدين، وأربع بنات لكن الولدان توفيا فى صغرهما.

وزينب هى البنت الكبرى له -عليه الصلاة والسلام- تزوجت فى حياة أمها خديجة، وأهدت إليها أمها فى ليلة عرسها قلادة غالية، لفرحتها بزواج أول بناتها، ودخل بها أبو العاص بن الربيع، فولدت منه أمامة بنت زينب التى جدها رسول الله ﷺ؛ لكن أمامة أيضًا لم يكن لها عقب فما كان للنبى ﷺ نسب من جهة أمامة؛ لأن

نسبها انقطع ولم يكن للنبى ﷺ نسب ونسل متتابع إلا من جهة فاطمة رضي الله عنها لما تزوجت عليًّا، فكان الحسن والحسين وأم كلثوم أولادها إلى غير ذلك.

وزينب رضي الله عنها كان لها حال معين مع زوجها؛ لأنها أسلمت وزوجها رفض الإسلام، وهى دخلت فى الإسلام مبكرًا فى مكة، أما زوجها فتعصب لدين آبائه وأجداده وأبى أن يدخل الإسلام، وفى ذلك الحين كانت الشريعة الإسلامية تبيح أن تتزوج المسلمة من الكافر.

ثم بعد ذلك.. أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢١] فبين الله تعالى أنه لا يجوز إنكاح المشركين؛ أى: أن أزوج ابنتى لمشرك، ولا يجوز أن أنكح من المشركين إلا ما استثنى الله عز وجل من اليهود والنصارى.

أى: لو كان هناك طالب مثلاً يدرس فى بلد معين وأعجب بفتاة مثلاً من الصين أو من كوريا أو غير ذلك وجاء وسأل وقال: يا شيخ! هذه فتاة لا تعبد شيئًا مثلاً أو فتاة بوذية تعبد بوذا أريد أن أتزوجها؛ فلا يجوز الزواج منها؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- حرم الزواج من المشركات؛ لكنه استثنى شيئًا معينًا، وقال: نسمح لكم بالزواج من نساء اليهود والنصارى بشرط أن تكون من المحصنات العفيفات، أما غيرها فلا يتزوج منها.

استمرت زينب فى مكة مع زوجها، وهاجر النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مع بناته وبعد ذلك لحقته أم كلثوم ورقية.

وفاطمة هاجرت معه ﷺ لأنها لم تكن تزوجت، فقد تزوجت فى المدينة، فبقيت زينب فى مكة مع زوجها، وانشغل بال النبى ﷺ بها، لكنها كانت مع زوجها والأمور هادئة.

فلما جاءت معركة بدر وهى أول معركة بين المسلمين والكافرين، ونصر الله تعالى المسلمين على الكافرين وقتل المسلمون من الكافرين سبعين، وأسروا سبعين.

جاء النبى ﷺ ينظر إلى الأسرى يتفقدهم فتفاجأ أن من بينهم صهره، زوج ابنته،

أبا العاص بن ربيع فنظر إليه، فإذا أبو العاص بن الربيع زوج ابنته جاء يقاتله، فانظر إلى شدة التعصب لدين آبائه وأجداده، مع أنه يحب زوجته.

وله الشرف أن يكون زوج بنت النبى ﷺ، ومع ذلك كل هذا لم يهمه لما رأى شرف آبائه وأجداده، انظر إلى شدة التعصب أحيانًا كيف تفسد على الإنسان فكره.

والنبى ﷺ فى تعامله مع الأسرى قسمهم إلى قسمين:

- من كان منهم يعرف القراءة والكتابة قال له: علم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ونطلقك.

انظر إلى حرص الإسلام على العلم وعلى تطوير الذات أيضًا فالنبى ﷺ حريص على أن يرتقى بالمجتمع.

إذ ليس المجتمع مجتمع أكل وشرب وجهاد وصلاة وصوم فقط بل يريد أن يرتقى بالتعليم، يرتقى بتطوير الناس، ما عنده معلمون، فكان يقول: إذا كنت تعرف أن تقرأ وتكتب فتعال علم عشرة عندنا القراءة والكتابة ونطلقك.

- ومن كان منهم لا يعرف القراءة والكتابة ولا يمكن أن يساعدنا فى هذا وجب على أهله أن يرسلوا مالًا لأجل أن يفدوه.

وقال ﷺ لأصحابه: **«أحسنوا إلى الأسرى أحسنوا إليهم»**.

يقول أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه : والله لقد أُسرت أنا من ضمن الأسرى فى بدر، يقول: وكانت أمى ذات مال.

فعلاً أمه كانت تاجرة حتى إنها لما قيل لها: افتدى ولدك سألت، قالت: كم بلغ أعظم فداء دفع فى أسير؟ قالوا لها: أربعة آلاف درهم، قالت: أنا أدفع خمسة آلاف من شدة عزها وكثرة مالها.

فيقول أخو مصعب بن عمير: كنت أجلس معهم فإذا جاءهم خبز وتمر - والتمر أحسن من الخبز، الخبز يجدونه فى أى مكان. والتمر يعدُّ بالنسبة لهم شيئًا له أهمية؛ لأنه غالى الثمن وكل المناطق حول المدينة تأتى تشتريه من المدينة فهو له قيمة عندهم، ومكة ما فيها تمر فكانوا يأتون يشترونه من المدينة - فيقول: إذا جاءهم خبز وتمر ألقوا إلىَّ التمر كله آكله وأعطونى شيئًا من الخبز، وأكلوا الخبز (الناشف) فأستحى وأقول:

خذوا بعض التمر أنتم الحراس على وأنا كافر ومأسور عندكم.

فيقولون: لا. إن رسول الله ﷺ قال: «**أحسنوا إلى الأسرى**» فنحن نحسن إليك. يقول: وإن جاءهم شيء حسن من طعام أو ماء أو كذا دفعوه إلى وبقوا هم عطشى من شدة أمر النبى ﷺ لهم.

بدأ الفداء يصل إلى النبى -عليه الصلاة والسلام- فيأتى مثلاً من يفدى فلانًا وفلانًا وفلانًا.

وأرادت زينب أن تفدى زوجها فما كان عندها شىء ترسله؛ فأرسلت كيسًا فيه فداء - أى: مال - لأجل أن يطلقوا زوجها ويعود إليها فلما جىء به إلى النبى ﷺ، قالوا: يا رسول الله هذا فداء أبى العاص بن الربيع.

أبو العاص بن الربيع يمكن أن يفديه أبوه، أو إخوانه؛ لكن ليس زوجته التى تفديه، أين الرجال؟

فلما فتح النبى ﷺ الكيس، وأخرج ما فيه فإذا هى القلادة التى رآها على ابنته قبل سنين فى ليلة زواجها وأُمُّها خديجة بجانبها.

خديجة التى كان النبى ﷺ يحبها حبًّا عظيمًا حتى إنه لما ماتت سُمِّى ذلك العام بعام الحزن، ولما طرقت امرأة عليه الباب بعد سنين من موت خديجة، فسمع النبى ﷺ صوتها فإذا هى يشبه صوتها صوت خديجة.

وجعل النبى ﷺ يشتاق إلى خديجة لما سمع صوتًا يشبه صوتها، فلم ينفعه أحد بماله وقلبه وعقله مثل خديجة.

صارت له أمًّا وزوجة ووزيرًا ومستشارًا وهى التى لما جاء قال: «**زملونى.. زملونى**»، أخذته وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.

خديجة لها مكانها عنده ﷺ وماتت وهذه «زينب» أكبر بناتها وهو عليه الصلاة والسلام حضر زواجها قبل سنين ولم يرها منذ سنين؛ لأنه هاجر إلى المدينة من سنتين ولم ير ابنته «زينب» ولم تره، ولا يوجد اتصالات بينهما ولا رسائل.

فلما رأى القلادة تذكر هذه القلادة، كانت على رقبة ابنته فى ليلة عرسها وأن المسكينة ما عندها أحد فى مكة- فأبوها وأخواتها فى المدينة وأمها ماتت والكفار كلما

حصل شيء قالوا: بسبب أبيك بسبب أبيك.

فهي المسكينة متحملة تريد زوجها بجانبها ما عندها مال، فأرسلت قلادتها التي هي أعز شيء عندها، ذكرى من أمها الميتة.

فلما رأى النبي ﷺ القلادة بكى وجعل يمسح ﷺ دمعه وينظر إلى القلادة والناس ما يدرون لماذا يبكي؟ الصحابة لا يدرونأن هذه القلادة لها قصة.

فقال ﷺ: «**إن شئتم أطلقتم لها أسيرها ورددتم إليها قلادتها**»؛ انظر إلى أدبه عليه الصلاة والسلام.

يقول: لو سمحتم، إذا أذنتم، أنا أودُّ وأتمنى يا صحابة أن تردوا إليها قلادتها وما تأخذون منها مالاً؛ إذ ما عندها شيء. وأن تطلقوا لها أسيرها.أنا أود والأمر إليكم. هذا اقتراح؛ لأنه ما عندها شيء.

والنبي ﷺ أطلق قبله رجلاً من غير شيء اسمه أبو عزة حتى لا يقول أحد أطلقه؛ لأنه صهره. نقول: لا؛ النبي ﷺ يراعي ظروف الناس.

أبو عزة هذا لما أراد النبي ﷺ أن يفتديه. قال: «**دبر لنفسك أحدًا يفتديك**»، قال: والله ما عندي أحد يفتديني، قال: «**علِّم عشرة القراءة والكتابة**»، قال: ما أعرف، أنا أحتاج مَنْ يُعلمني القراءة والكتابة، ثم قال: يا محمد ارحم بنيات صغارًا فقراء أيتامًا ما عندهم أمّ، وليس عندهم إلا أنا ارحمنا وأحسن إلينا فلم يزل بالنبي ﷺ حتى قال: «**أطلقت لوجه الله اذهب**».

فالنبي ﷺ لم يطلق أبا العاص بن وائل؛ لأنه صهره بل كل من كان له ظروف معينة يعيشها كان النبي ﷺ يطلقه وهذه مسألة مهمة لا بد أن نتنبه إليها.

فالنبي ﷺ أطلقه، وأطلق معه القلادة، ومرت فترة يسيرة، ثم خرج أبو العاص بن وائل في تجارة إلى الشام وهو راجع خرج إليه زيد رضي الله تعالى عنه في سبعين من الصحابة؛ لأن الكفار كان بينهم وبين المسلمين حروب فكانوا يقطعون الطريق على المسلمين، والمسلمون يقطعون الطريق عليهم أيضًا.

فقطعوا الطريق عليه وأتوا به مأسورًا مرة ثانية، ودخلوا به إلى المدينة.

وفي المرة الأولى لما أراد النبي ﷺ أن يطلق أبا العاص بن وائل في بدر قال: «**أطلقك**

لكن أشترط عليك»، قال: ما هو؟ قال: **«أن ترسل زوجتك إلينا مسلمة»** ترسلها إلينا تعيش فى المدينة.

قال:نعم وفعلاً أرسلها إلى المدينة وحصلت لها قصة عجيبة فى إرسالها.

فقد رجع أبو العاص بن وائل إلى مكة وكان النبى ﷺقد كلمه عن الإسلام لكنه أبى، وزوجته زينب هناك.

ثم جاء إلى زينب وقال: **«إني وعدت أباك أن أرسلك إليه فى المدينة»**. طبعًا هى تودُّ أن تذهب إلى المدينة عند أبيها وأخواتها.

فجلوسها فى مكة ليس له معنى إلا وجود زوجها، وزوجها يسافر إلى الشام فى تجارات ويخرج مع قريش ليحارب فهو رجل لا يتقبل منها النصيحة، فلماذا تبقى معه؟

والنبى ﷺأرسل عبد الله بن رواحة ورجلاً آخر وقيل: أرسل زيد بن حارثة ورجلاً معه، قال: اذهبا إلى مكان كذا وكذا قريبًا من مكة فستأتيكم زينب على جمل فأحضراها معكما.

وقد اتفق مع زوجها، قال: إذا وصلت مكة اليوم الفلانى اجعلها تخرج إلى المكان الفلانى وأنا أرسل من يأتى بجملها إلينا.

خرج بها أبو العاص وذلك أول ما رجعوا من بدر لما أطلقه النبى ﷺوكانت قريش لا تزال مصابة، سبعون منهم قتلوا وسبعون مأسورون- مصيبة على قريش- فوصل إلى زينب وقال: تجهزى، قالت: إلى أين؟ قال: هذه قلادتك واذهبى إلى أبيك فى المدينة، فركبت جملها، وأراد أن يخرج بها؛ لكن خشى أن تنتبه إليه قريش فربما أصابته بضرر وهو معها.

فأخرج أخاه معها، قال: اذهب يا فلان معها ووصل البعير إلى المكان الفلانى. خرج بها الجمل وهى حامل على البعير ومعها ابنتها أمامة الصغيرة.

وطبعًا ستقطع طريقًا طويلاً من مكة للمدينة قرابة خمسمائة كيلو هذه المسافة تساوى هذا اليوم خمسمائة كيلو عبر الطرق المسفلتة، فما بالك بهم وهو يصعد بهم جبلاً ويهبط بهم واديًا وطرقًا موحشة.



الشاهد: أنه خرج بها ولما كان قريبًا من مكة قبل أن يصل إلى الموطن الذى اتفق مع الصحابة إليه خرج إليه مجموعة من قريش.

قالوا: كيف تذهب بها؟ أبوها يقتلنا، ثم تذهب بابنته هكذا فى وضح النهار؟ والله ما تذهب، ثم أقبل هبار بن الأسود واحد من قريش أقبل يخوفها بالرمح وهى على البعير ففزعت منه وأسقطت حملها. حملها الذى كان فى بطنها، انطلق منها الدم فسقط الحمل.

ولما رأى أخو زوجها ذلك، أخذ البعير وذهب به جانبًا وأخرج كنانة السهام ونثرها بين يديه عشرين سهمًا وهم أمامه.

قال: والله يا قريش ما يقترب منى أحد إلا وضعت سهمًا فى صدره. اتركونى أمشى، والله ما تتمكنون منى ومنها حتى يموت منكم عشرون.

إذا مات عشرون بعدد هذه الأسهم فيمكن أن تمسكوها، هو رجل كافر لكنه بطل.

قام أبو سفيان وكان كافرًا أيضًا وكان قائدهم، قال: يا رجل اجمع عنا نبلك؛ وإذا جاء الليل فاذهب بها، ولكن ليس بالنهار أمام الناس؛ لأن الناس يقولون: أبوها غلبهم وأخذ ابنته بالقوة أيضًا فى النهار.

وفعلاً رجعت وبعد ليلتين أو ثلاث خرجت ووصلت إلى النبى ﷺ فى المدينة، بعدما أسر زوجها مرة ثانية وصار لها معه قصة فى المدينة.

عندما خرج زوجها معه تجارة إلى الشام، ثم رجع خرج إليه زيد رضي الله عنه مع مجموعة من الصحابة وأسروهم وجاءوا بهم.

جاءوا بهم ووضعوهم فى مكان – سجن – وهذه المرة استطاع أبو العاص أن يتصل بزينب ويخبرها فهى فى المدينة أصلاً بعدما رجعت وقال: أنا مأسور. فلما صلى النبى ﷺ الفجر خرجت زينب وأطلت من نافذة المسجد قالت: أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع، أجرته هو فى جوارى هو فى ذمتى، وفى حمايتى، ما يقتله أحد.

فالتفت النبى ﷺ إلى الناس، قال: **«هذه بنتى زينب ووالله ما علمت بذلك»**.

هذا ليس اتفاقًا بينى وبينها، والمؤمنون يسعى بذمتهم أدناهم، يمكن لأى واحد

من المؤمنين حتى لو امرأة أن يجير أحدًا ونقبل جواره.

فعاد أبو العاص بن وائل إلى مكة وأسلم رضى الله تعالى عنه فى السنة السابعة للهجرة، ثم جاء وسكن مع زوجته فى المدينة وما عاشت معه إلا سنة واحدة وماتت رضي الله عنها. هذه حقيقة باختصار.

ونعجب مما يحدث الآن ونشاهده من صور أسرى المسلمين فى الدول العربية أو الأجنبية فنراهم يخصون المسلم بالتعذيب كأنهم يعاملون حيوانًا، فأين هؤلاء من تعامل الرسول ﷺ مع الأسرى؟

والنبى ﷺ كان يقول: «**استوصوا بالأسرى خيرًا**»، ويُوصى بهم أن يحسن إليهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧٩]، لكن اليوم ما يقع فى تعامل عدد من الناس وللأسف حقيقة هو ليس فقط فى «جوانتانامو» ولا مثلاً فى سجون إسرائيل لإخواننا الفلسطينيين؛ لكنه يمتد إلى غير ذلك.

إن القلب يتقطع للأسف على بعض الدول العربية، والإسلامية التى ربما لا تتعامل مع سجنائها المعاملة اللائقة بهم حتى لو كانوا مجرمين حقيقيين؛ إذ من حقه أن يسجن فى مكان يصلح للآدميين وأن يقدم إليه طعام يصلح للآدميين، ويقدم إليه لباس يصلح للآدميين، معيشة.. تهوية.. طبيب.. يعنى أن تتعامل مع آدمى..

يا أخى! الله عز وجل أدخل امرأة النار فى هرة حبستها، وأدخل امرأة الجنة فى كلب سقته.

فما بالك فى آدمى تحسن إليه، فأنا أشد على يدك فى هذا وأقول: إن النبى ﷺ يقول: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا**» ويقول النبى ﷺ: «**لزوال السماوات والأرض أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق**»، هذا إذا وصل إلى مرحلة قتله أو إزهاق روحه. ونسأل الله تعالى أن يهدى الجميع.

وذكرنا فى قصة زينب رضي الله عنها صورة جميلة وهى حرص المرأة المسلمة على صيانة زوجها والعناية به وإصلاحه.

والحقيقة هذه نقطة جميلة فعلاً فزينب – يا أخى – تشعر أنها تحب زوجها حبًا

حقيقيًا وهو غير مسلم. وهو ذاهب ليقاتل أباها، ومع ذلك انظر للحب فى قلبها.

وفى المقابل انظر إلى التعصب من زوجها، فهو متزوج من بنت النبي ﷺ، وهو كافر ومع ذلك لم يكن له حظٌّ أن يأخذ الموضوع برويّة، ففضل أن يتعصب لآبائه وأجداده ويذهب ليقاتل أبا زوجته.

سؤال: هل توجد صور من التعصب تشبه هذا اليوم؟

كثير -والله- التعصب القبلى فى كل مكان، حتى فى الرياضة صارت تعجُّ بالتعصب الرياضى الذى ربما يفرق بين الشخص وأخيه، وربما فسدت النفوس وحصلت مشاكل بين كل منهما من أجل فريقه، وأبناء القبيلة الواحدة وأبناء العمومة، والإخوان فى البيت الواحد صار بينهم خلافات وتناحر من أجل التعصب الرياضى أو التعصب لفنان معين، أو التعصب لأى شىء، والمسألة فى حد ذاتها تافهة ويدخلون فيها التعصب.

ماذا يعنى التعصب الدينى؟

التعصب للمذاهب؛ فهذا حنبلى، وهذا شافعى، وهذا مالكى.

للأسف أصبح الآن هناك قنوات تدعم التعصب وتثيره، وأخرى تشجع على التعصب، ومسابقات ربما فى الشعر وربما فى الإبل وغيرها تثير بين الناس التعصبات.

المشكلة أنها وصلت إلى الأطفال الصغار، أحيانًا ترى الأطفال فى الابتدائية أعمارهم ثمان سنوات أو تسع سنوات ويتعصبون لمثل هذه المسائل.

حقيقة أنا لم أتكلم عن التعصب القبلى، ربما يكون موجودًا فى الخليج وما حوله أكثر من وجوده فى دول أخرى؛ لكن كذلك التعصب المذهبى.

التعصب لأقوال العلماء: أحيانًا يقتنع الإنسان بقول عالم ويبدأ يتنقص غيره من العلماء، ويشنع عليهم، فيقول هؤلاء جهال؛ هؤلاء كذا. يا أخى! يبقى أن هؤلاء علماء أفلا يسعهم ما وسع الأولين من جمع الأقوال ومحاولة احتوائها جميعًا. وكذلك التعصب المتعلق بالكرة.

كلُّ هذا حقيقة يمنعه الإسلام، فالله - سبحانه وتعالى - لما بعث نبيه عليه الصلاة والسلام بعثه إلى قوم كانوا مشتركين فى طبائع وعادات وتقاليد واحدة، لم يتواجدوا

مشتركين فى وطن واحد ولم يتوحدوا، ما وحّدهم إلا الدين؛ لذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فلا يمكن فى الحقيقة أن تجتمع الأمة إلا إذا عُدم التعصب لبلدى ولجنسيتى؛ بمعنى أن أشعر أن المسلم الأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأشقر كل من قال: لا إله إلا الله، فهو أخى أحبه وأحب له الخير مثلما قال مصعب بن عمير -وكان هذا فى معركة بدر- لما رآهم قد أسروا أخاه قال للمسلم: شد عليه وثاقه -اربط أخى جيدًا- فإن أمه ذات مال.نستفيد من ورائه مالاً فقال أخوه وهو يُربط: هذه وصيتك بى؟! أنا أخوك.

قال: إنه أخى دونك. هذا أخى ما أنت. أنت تعبد اللات والعزة، لست بأخى وهذا أخى المسلم الثانى، ترى أثر هذه الروابط الدينية!!.

سؤال: بعيدًا عن التعصب ما حكم تزوج المسلم من كافرة، وتزوج المسلمة من كافر؟

سؤال جيد وهو بعيدًا عن التعصب، وهى قضية كبرى أعنى تزوج المسلمة من الكافر، ذكرت أنا فى البداية أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، وقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أباح الله سبحانه وتعالى المحصنات من الذين أوتوا الكتاب.

إذًا قاعدة: لا يجوز للمسلم أن يتزوج غير مسلمة إلا إذا كانت كتابية إما نصرانية وإما يهودية حتى لو جاء إنسان وقال: يا أخى! إن أهل الكتاب الآن غيروا وبدلوا. نقول: حتى لو غيروا وبدلوا ما دام أنها تقول: إنها نصرانية وإنها تطيع الإنجيل حتى وإن كان الإنجيل غير وبدل؛ فهم النصارى الذين كانوا فى عهد النبى ﷺ.

الإنجيل والتوراة محرفة من زمن النبى ﷺ ونزل القرآن فى ذلك الدين يقول تزوجوا منهم وهم قد حرفوا من ذلك الوقت.

فيجوز الزواج منهم ما دامت محصنة، أقصد فى حال بقائها معك لا تزنى وإلا فلو جاء إنسان، وقال يا شيخ: ما توجد بكر الآن أجدها وأتزوجها من هذه البلدان.

مثلاً: لو ذهب إلى أوروبا أو إلى أمريكا فمن الغالب أنه يتزوج فتاة عمرها عشرون

سنة ولن يجدها بكرًا نقول: ليس هذا المقصود بالإحصان، إنما المقصود بالإحصان ألّا تكون امرأة بغيًّا كل من جاء وقع عليها بالفاحشة وعندها ثلاثة أو أربعة (بوى فرند) وتأتى أنت رقم خمسة تقول: أنا سأتزوجك لكن سأعقد عليك العقد الشرعى.

لا. هذا لا يجوز.

أما نكاح المسلمة للكافر فهذا لا يجوز شرعًا حتى لو كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] فلا يجوز.

لذلك أنا أخاطب إخوانى وأخواتى المقيمين فى الخارج فى دول أوروبا وفى أمريكا وفى استراليا وغيرها من البلدان ممن صار لهم فترة هناك وهاجروا إلى تلك البلدان ونشأ الجيل الثانى والثالث فى تلك البلدان؛ فأحيانًا البنت يكون معها فى المدرسة أو فى الجامعة - شاب اسمه مايك جون- أو أى اسم - وهو نصرانى وتريد أن تتزوجه.

فهذا شرعًا لا يجوز.. لا يجوز إلا إذا دخل فى الإسلام. حتى لو تزوجته فى كنيسة أو فى غيرها فديننا يمنعنا من ذلك. إذًا أنت مسلمة والشريعة تمنعك من ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢١] فلا يجوز شرعًا مثل هذا.

وينبغى ألا تكون عواطفنا هى التى تحكمنا فى هذه المسائل.. ينبغى أن يكون الذى يحكمنا هو شرع الله -سبحانه وتعالى.

الله يجزيكم خيرًا ويحفظكم ويوفقكم، وأشكركم أيها الإخوة والأخوات، وأسأل الله أن نكون قدمنا لكم إن شاء الله ما فيه النفع والخير، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد.

* * *



السيدة صفية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات، وأحمد الله أن يسر هذا اللقاء معكم، وأسأل الله ألا يحرمكم الأجر على متابعتكم لأخيكم.

ولازلنا نتكلم عن صفوة نساء الأمة، ولن أتكلم هنا عن زوجة من زوجات النبى -عليه الصلاة والسلام-، وذلك لأن زوجات النبى -عليه الصلاة والسلام- كَثُرَ الكلام حولهن كَثُرَ إلى درجة إنه أصبح مكررًا.

ولن أتكلم الآن عن زوجاته ولا عن بناته -عليه الصلاة والسلام- فإننا تكلمنا سابقًا عن فاطمة وعن أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما، وتكلمنا عن زينب بنت النبى عليه الصلاة والسلام كل هذا سبق الكلام فيه.

سأتكلم الآن عن عمة من عمات النبى -عليه الصلاة والسلام- برزت فى أمور: منها أنها من المبايعات اللاتى بايعن النبى عليه الصلاة والسلام ممن أسلمن قديمًا وممن هاجرن إلى المدينة؛ فكان لها أثر فى تربية ولدها تربية عجيبة، فمن تتوقعون؟ مِن عمات النبى ﷺ عاتكة، أروى، أميمة باقى واحدة وهى صفية.

صفية هى أم مَنْ مِنَ الصحابة؟

أم الزبير بن العوام وزوجها العوام بن خويلد، لم يذكر أنه دخل فى الإسلام، وابنها الزبير بن العوام.

أولاً: كانت طبيعة تربيتها للزبير طبيعة مميزة.

ثانيًا: كان قدرها عند النبى عليه الصلاة والسلام قدرًا متميزًا بشكل عجيب، كان لها صبر حقيقة فى ميادين الجهاد مع الصحابة بشكل كبير جدًا. ومع النبى ﷺ خاصة.

ومما يدل على قدرها عنده أنه لما قام ﷺ يعظ الناس، قال لهم: **«أيها الناس اعملوا؛ فلن يغنى أحد عن أحد شيئًا»**، ثم قال عليه الصلاة والسلام: **«يا فاطمة بنت محمد! سلينى من مالى ما شئت فإنى لا أُغنى عنك عند الله شيئًا»**.

ثم من اختار بعد فاطمة؟! قال: «**يا صفية بنت عبد المطلب اعملى لنفسك فإنى لا أغنى عنك من الله شيئًا**» فعدد النبى ﷺ ثلاثة أسماء أو أربعة؛ فدل على أن هذه الأسماء الثلاثة أو الأربعة لها قدر خاص عنده عليه الصلاة والسلام.

ودليله: أن النبى ﷺ ما اكتفى بذكر أسماء رجال، ما قال: يا أبا بكر، يا على مع أنه ابن عمه وصهره ورباه فى بيته، ما قال: يا عمر مع أنه صهره ومن أوائل المسلمين، لا بل عدَّد النبى ﷺ هؤلاء النساء وذلك لشرفهن وجلالة قدرهن.

صفية، كان لها أسلوب عجيب فى تربية ولدها الزبير منذ كان صغيرًا، كانت تربيه على الشدة، وعدم الخوف؛ قالوا: إنها كانت تأخذه معها إذا أرادت أن تذهب لقضاء حاجتها - هم كانوا فى السابق ما يجعلون قضاء الحاجة فى بيوتهم، أى: ما كانوا يضعون فى البيت كنفًا - الكنف جمع كنيف، والكنيف: هو دورة المياه (الحمام)، ما كانوا يجعلونه من أجل الرائحة وكذا، ليس مثل اليوم هناك المجارى والمواسير وكذا-.

فكانت النساء إذا أردن الاغتسال أو أردن قضاء الحاجة يخرجن إلى المزارع مثلما يفعل الآن فى بعض القرى ويقضين حاجتهن ثم يعدن.

فكانت تأخذ معها الزبير تذهب به إلى المزرعة فى الليل؛ لأنهن كن يخرجن فى الليل حتى لا يراهن الرجال، فإذا وصلت إلى المزرعة قالت له: قف هنا. ولا يزال عمره ست سنوات أو سبع. تقول: قف هنا وأنا سأذهب لقضاء حاجتى. فيلتفت الولد فإذا ليل وظلام فإذا أراد أن يبكى. قالت: ألست رجلاً؟ تَحَمَّل. كن رجلاً بطلاً. قف هنا، وتوقفه فى ظلمة الليل وتذهب إلى مكان.

هى طبعًا تراه لكنه لا يراها، تختبئ وراء شجرة تقضى حاجتها وتتوضأ وكذا وكانت تعود إليه، فالولد مع كثرة التدريب صار ما يخاف ووصل عمره إلى اثنتى عشرة سنة، فكان عمه يُعذِّبه على الإسلام، لماذا تسلم - وكان عمه - وهذا الولد عمره اثنتا عشرة سنة كان يعلقه فى البيت بيديه، ويأتى بحصير - الحصير هو سعف النخل. أغصان النخل، السعف إذا صار يابسًا يكون له رائحة مؤذية ودخان لذلك يقولون: نار ساعفة؛ لأنها تشتعل بسرعة وتنطفئ بسرعة.

فكان يأتى يعلق الولد فى السقف - وعمره اثنا عشر عامًا فقط، لكن انظر إلى

تربية التى ربته عليها فى البداية- ثم يأتى بهذا الحصير ويحرقه تحته فيبدأ الدخان يتصاعد على الولد، والعم يقول له: ارتد عن دينك. سبَّ محمدًا. افعل كذا، وهو يأبى عليه ذلك.

أرأيت تربية الأم لأولادها كيف تنتج لك رجالاً يقودون الأمة، الزبير وعمره اثنتا عشرة سنة فى يوم من الأيام سمع أن النبى ﷺ أُخذ ما علاقة القرابة بين الزبير وبين النبى عليه الصلاة والسلام؟ النبي ﷺ ولد خاله.

النبى ﷺ ابن خاله والزبير هو ابن عمته ﷺ - ولأن عبد الله بن عبد المطلب أبو النبى ﷺ هو أخو صفية بنت عبد المطلب – فسمع الزبير أن النبى ﷺ أُخذ يعنى: أن الكفار أخذوه لقتله أو كذا، فالتقط سيفًا عنده فى البيت وخرج من البيت وانطلق يبحث فى طرقات مكة.

هذا قبل الهجرة يبحث فى طرقات مكة وهو عمره اثنتا عشرة سنة.

يا جماعة! بالله. قارن هذا بشبابنا اليوم فمع الأسف الآن - والله فعلاً - تجدهم تجاوزوا العشرين وما تجد عندهم مثل هذه الشجاعة أحيانًا.

بل ابن اثنتى عشرة سنة الآن تجد همه كيف أرسل البلوتوث كيف أستقبل؟ كيف أدخل الشات فى الإنترنت؟ لكن فى التربية، ليس اللوم على الأولاد فقط، نحن أحيانًا نقول: يا أخى الأولاد فسدوا، ولكن أنت فسدت لذلك فسد أولادك.

فأحيانًا، يأتينى بعض الآباء يشتكى من ولده فأنظر إليه وهو يقول: يا شيخ الولد عاق والله يا شيخ، إنه يقول لى: الله يلعنك ويقول لى كذا وكذا.

فأحيانًا، يكون الولدُ أكثرَ مَن فرط فيه- وجعله يصل إلى هذه المرحلة من السوء فى الألفاظ والأفعال – هو الأبُ نفسه أو الوالدان، حتى الأم أحيانًا مع الأسف.

فإذا رحت تتأمل وجدت أن الأب والأم أصلاً ما مارسوا أى نوع من أنواع التربية ولا تعبوا، بل رباه التليفزيون، ورباه الإنترنت، ورباه الشارع، وربته المقاطع التى يستقبلها فى جوّاله، وربته المدرسة وأولاد الشوارع، ثم بعد ذلك أنت لا تجنى من الشوك العنب.

الزبير كان بطلاً كما ذكرنا وفى مكة كان له بطولات.

هاجرت به أمه إلى المدينة، وتربية صفية للزبير جعلت الزبير يربى ولده عبد الله بن الزبير مثل هذه التربية.

وهكذا يحصل الخير مثلما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ **[الكهف: ٨٢]** لما جاء الخضر مع موسى إلى جدار سيقع وأقاماه. ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ **[الكهف: ٧٧]**.

قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ **[الكهف: ٨٢]**، خشى أن يقع الجدار وهما صغيران ويأخذ الناس الكنز، فأقامه حتى يكبرا، ثم هما يحفرا عن كنزهما، قال: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ **[الكهف: ٨٢]**.

يقول ابن كثير فى تفسيره ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ **[الكهف: ٨٢]** لم يكن أبوهما المباشر ولا الذى فوقه ولا الذى فوقه كان أبوهما السابع صالحًا، من أجدادهما. الجد السابع فانظر لما صلح الجد السابع لا زال تأثير هذا الخير والصلاح حتى فى الذرية السابعة مثلما جاء فى بعض الآثار الإسرائيلية أن الله تعالى، قال: أنا الجبار إذا رضيت رحمت ورحمتى تسع كل شيء، وإذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع من الولد.

فلا شك أن صلاح الآباء ينفع الأبناء.

انظر صلاح صفية؛ لذلك أنا أدعو جميع أخواتنا إلى أن يقتدين بها.

إذا كنتِ تبكين على الإسلام ويسوؤك أمر الإسلام الآن وما وصل إليه، من الضعف فأعدى أولادك، وحاولى أن تعملى لتزيلى هذا الضعف ليرفعوا هذا الهمَّ عن الأمة.

أعدى أولادًا بحفظ القرآن، أعديهم ليصبحوا مثلاً مخترعين، ليصبحوا أطباء ماهرين.

احرصى على أن يكون أولادك هم بصمتك لهذا الدين.

صفية أحسنت تربية ولدها كما ينبغى فأصبح الولد كما ذكر عنه فى السِّير.

كيف كان يفعل الزبير مع ولده عبد الله؟

يقولون: لما وصل عبد الله بن الزبير إلى عمر اثنتى عشرة سنة، قالوا: كان إذا ذهب الزبير إلى المعارك يأخذ ولده عبد الله معه.

وكان يدخل به فى المعركة يركبه وراءه على الفرس يقول: تمسك بى، ويـأتى الولـد صاحب الاثنى عشرة سنة متعلقًا فى أبيه من الخلف والزبير يقاتل والولد يـرى الـدماء والصياح؛ لكن ما يستطيع أن يقاتل؛ فيداه صغيرتان وجـسده ضـعيف، فمنـذ صـغره تعود على ذلك.

قالوا: فلما وصل عمره إلى ست عشرة سنة أو سبع عشرة سـنة، كـان عبـد الله بـن الزبير هو الوحيد من الصحابة الذى كان يقاتل بسيفين.

كان يثبت الفرس برجليه يتمسك بفخذيه ورجليه على الفرس ويقاتل بسيفين.

لكن انظر إلى تربية صفية الأساسية، تربيتها للولد ثم انظر إلى تأثيرها أيضًا حتى فى الذرية التى تأتى من بعدها وكانت صفية أيضًا كان عندها قوة فى الثبات أمام المـصائب بشكل منقطع النظير؛ لذلك ترون لو كان النبـى عليـه الـصلاة والـسلام أمـام مجتمـع متهلهل ضعيف الشخصية لما استطاع أن ينشر الإسلام إلا أن يـشاء الله تعـالى أو إلا أن يأتى الله تعالى بقوم آخرين له.

لكن لما يكون النبى ﷺ يرجع من معركة أحد وقد قتل من الصحابة سبعون، ومع ذلك يرجع فيرى أمامه نساء كأنهن جبال. خذ مثلاً صفية ماذا عملت؟

فى معركة أحد قتل سبعون بين يدى النبى ﷺ ثم هؤلاء السبعون ليسوا سبعين من عامة الصحابة، بل هؤلاء من خيارهم، ذلك لأن النبى -عليه الصلاة والسلام- لما دعا الصحابة للخروج للقتال؛ خرج معه تسعمائة وخمسون، لما خرج التـسعمائة والخمـسون وصلوا إلى مكان المعركة، وكان معهم مجموعة من المنافقين يقولـون: ارجعـوا، المـسألة قتال صدقًا نحن ظننا المسألة غنائم مثل معركة بدر، يعنى: قتال سريع وغنـائم ومـا إلى ذلك، ورجعوا؛ مع أنهم فى بدر خرجوا لأجل القافلة ما خرجـوا لأجـل القتـال ومـع ذلك قاتلوا ونصرهم الله تعالى لم يعودوا بغنائم ولكن رجعوا بنصر.

فالمنافقون ظنُّوا أن أحدًا فيها غنائم ولما وصلوا ورأوا أنه سيكون قتال رجع عبد الله بن أبى ابن سلول ومعه ثلاثمائة شخص؛ فكم بقى من التسعمائة والخمسين؟ ستمائة وخمسون فقط، فالذين بقوا هم الصفوة بعد الصفوة.

وكان ممن قُتل أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب البطل رضي الله عنه، ولما قُتِلَ أقبلـت

هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان، وكان حمزة قد قتل أباها فأقبلت - وقد قتله وحشى بن حرب، وأخذت السكين وشقت بطنه، ثم أخرجت كبده - من القهر - وأكلت منه.

طبعًا هى لم تستسغها لكن ألقتها من فمها ثم جدعت أنفه ثم قطعت أذنيه ووضعتهما فى خيط.

وقد أسلمت هند بعد ذل وعفا الله عما سلف رضي الله عنها.

وبعدما انتهت المعركة نزل النبى ﷺ إلى الموتى من أصحابه يعرفهم، هذا عبد الله ابن حرام والد جابر، وهذا حمزة عمى وهذا... ويراهم النبى عليه الصلاة والسلام على هذا الحال، وقال ﷺ فى حمزة: **«سيد الشهداء حمزة»**.

فى هذه الأثناء جاء الناس من المدينة إلى مكان المعركة يمشون؛ فأقبلت صفية عجوزًا كبيرة، وأول ما أقبلت رآها النبى ﷺ من بعيد ، فأشفق عليها أن ترى أخاها حمزة ممزق كبده وملقية أمعاءه، وممثل به.

فقال النبى ﷺ: «يا زبير رد العجوز».

صعب أن ترى هذا وقد يحصل لها الآن صدمة نفسية أن ترى أخاها على هذا الحال.

قال: «ردها» فأقبل الزبير قال: يا أماه ارجعى. قالت: إليك عنى. فهى بطلة ربما أكثر منه.

قال: يا أماه ارجعى. قالت: إليك عنى، ودفعت الزبير وأقبلت قام وقال: يا أماه رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى فإذا التسليم والاستسلام الشرعى.

قالت: رسول الله أمرنى؟ قال: نعم- هو رسول الله ابن أخيها وهى عمته.

قالت: سمعًا وطاعة ووقفت ثم قالت: لكنى قد بلغنى ما فُعل بأخى، أنتم خائفون أن أراه، أنا أعرف ما حدث له. فنظر النبى ﷺ إليها وقال: **«دعها»**.

فما دامت تدرى وهى متصورة الواقع فلن تكون صدمة إذًا، هى قد شربت الصدمة من قبل فجاءت ونظرت إلى حمزة: الأنف مجدوع والآذان مقطعة والدم يسيل من الأنف ويسيل من الرقبة والبطن ممزق وربما وطئته الخيل.

فنظرت إليه فما بكت، قالت: اللهم إنى أحتسبه عندك، اللهم أنى أحتسبه عندك،

فقط، وأعطته ظهرها ومشت.

وكانت قد أتت بكفن له يكفن فيه.

فهذا موقف مبكٍ حقيقة لصفية وهى ترى أخاها على هذا الحال.

وأنا أوجه رسالة إلى كل بلدان المسلمين الذين ربما ابتلوا بحروب.

إخواننا فى فلسطين، إخواننا فى العراق، فى أفغانستان، فى الصومال، فى كشمير، فى كل بلد يقع على المسلمين فيه حروب.

ينبغى علينا ألا تكون المرأة حائلاً دون نصرة الإسلام، بل ينبغى أن تبين لزوجها وتبين لولدها وتقول: أصبر وجاهد فى سبيل الله رجاء إعلاء كلمة الله وأنا سأكون جبلاً وأصبر.

أما إذا كان الإنسان يعلم أنه ستنوح عليه النساء وتشق جيوبهن وربما فقدت أعصابهن، فلن يصبر على الجهاد ولن ينتصر، لكن الصحابى كان يقاتل ويعلم أن وراءه نساء جبالاً جبالاً، فعلاً تصبر على المصائب التى تنزل بها.

لذلك كانت صفية -يا جماعة- مثالاً إلى اليوم نذكره.

ترون امرأة ماتت من أكثر من ألف وأربعمائة سنة ونحن إلى اليوم نذكرها وسيظل الناس يذكرونها إلى اليوم بمواقفها هذه التى استطاعت فيها أن تثبت فعلاً للناس أنها تستحق أن تكون عمة لرسول الله ﷺ.

يقول البعض: من باب الحرص على تربية الأطفال نلجأ إلى الخشونة فى تربيتهم أسوة بما قال عمر بن الخطاب: اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم.

الحقيقة: هذا أمر مهم. لا أقول: خشونة ولكن الجدية فى تربية الطفل والواقعية معه، ألا يربى الطفل دائمًا على التدليل وعلى اللباس المترف، وكلما أراد شيئًا أخذه وإذا أراد غيره نفذ طلبه أو أنا أريد كذا أو أشترى كذا.

لا بد أن يُمنع الولد أحيانًا من أشياء حتى ولو بدون سبب حتى لو تقول: (لا) من باب أن يتعود أن يسمع كلمة (لا).

لا يتعود الطفل منذ صغره أنه كالزبدة التى فى اليد نخاف عليها أن تذوب. لا بل أنت كن كالحجر الذى يخالط الأرض؛ لأنك خلقت أصلاً من التراب، فلا بد أن تكون

فيك من هذه الشدة فى تعاطى أمور الحياة.

بعضهم يقول: أنا حرمت فى الصغر من الألعاب والترفيه فأحب أن أعوض أولادى عن أشياء أنا حرمت منها، فتجده ينفق فى هذه الأمور ببذخ، فى السفر، فى الألعاب، فى الملابس.

نقول: أن الترفيه والخشونة، كما قيل: كلا طرفى الأمور ذميم. بمعنى أننا لما نتكلم عن طريقة تربية صفية لولدها فهذا لا يعنى أنا ندعو إلى الشدة الدائمة ولا ندعو أيضًا أن يكون الانسان رخوًا دائمًا.

لكن أنا أعطيكم مثالاً واقعيًا: الآن لو أنك بالليل ستنام، ثم لاحظت مثلاً أن الأنوار مضاءة فى فناء المنزل، فقلت لولدك الذى يدرس فى السادسة الابتدائية- يعنى عمره مثلاً ربما عشر سنوات أو اثنتى عشر سنة - قلت: يا خالد انزل أطفئ الأنوار التى فى الفناء ماذا يقول؟ يقول: خائف. خائف من أيش؟ هل أنت فى بلد مخدرات وخمور وكل يوم عشرون ألف جريمة فى البلد؟!! أنت فى بيتك والباب مقفول فى الخارج.

أذهب أنا أحيانًا أقولها لولدى فيقول: أنا خائف، أقول له: تعال، خائف من أيش؟ هيا أعطنى الاحتمالات، ماذا يمكن أن يصير لك؟ ربما يوجد حرامى، كما فى المائة تتوقع أن يكون هناك حرامى؟ لا. يمكن فيه قطة. وإذا صار فيه قطة تخاف منها أنت؟! انزل الآن وكن رجلاً، وإلا فسترى غدًا ما أذهب بك إلى كذا وكذا.

وينزل، هو أول ما ينزل أول مرة يكون خائفًا مائة فى المائة. غدًا ينزل وهو خائف تسعين فى المائة، ثم تقل النسبة إلى أن يصبح نزوله عاديًا مثلما كانت تفعل صفية مع ولدها الزبير، تخرج به وتقول له: قف هنا وينتفض حتى تنتهى أمه من قضاء حاجتها، لكن بعد عشرين أو ثلاثين مرة هو بنفسه يذهب فى الظلام ويفعل ويرجع. انظر إلى القدوة فهى حقيقة لها تأثير قوى فى الأولاد.

هناك مسألة مهمة أذكرها قبل أن أنتهى وهى أن صفية كانت أيضًا بطلة فى إنقاذ المواقف، من ذلك أنه: لما اجتمعت قريش لأجل غزو المدينة وحفر النبى ﷺ الخندق كان عرضه أربعة أمتار على طول جهة من جهات المدينة؛ فتجمع الصحابة كلهم عند

الخندق لأجل أن يصدوا عشرة آلاف مقاتل قادمين، والصحابة لا يتجاوزون ألفين أو ثلاثة آلاف.

وكان النبى عليه الصلاة والسلام وضع مجموعة من النساء فيهن نساء المؤمنين وفيهن زوجاته وعماته، وضعهن فى حصن قلعة وقال: ابقين، وأغلق الأبواب عليهن ولم يضع عندهن حارس؛ لأن الرجال كلهم يحتاجهم فى القتال.

فأقبل نفر منْ يهود بنى قريظة، دخلوا المدينة قالوا: جيد المدينة ما فيها حراس ما فيها رجال، كلهم مشغولون تعالوا نعبث ونسرق من الأسواق ونعبث بالنساء، فأقبلوا إلى الحصن –اليهود فى طبيعتهم جبناء– فلما أقبلوا إلى الحصن أرادوا أن يدخلوا قالوا: قد يكون فيه رجال؟

فأرسلوا واحدًا منهم يتأكد، فدخل واحد من اليهود من أحد الأبواب – دبر نفسه ودخل– فرأته صفية بنت عبد المطلب من فوق غرفة من غرفات الحصن، رأته وعمرها ثلاث وستون سنة قالت – فى نفسها – الآن لو صرخت فسيفزع النساء والصبيان وإذا ظهر صراخ فسيعلم أنه لا يوجد رجال، وهى ترى أصحابه بالخارج ينتظرون الخبر منه. فماذا أفعل الآن؟

ما معها سيف، ما معها شىء، لكن معها خنجر، فهل تطعنه بخنجر وهى عمرها ثلاث وستون سنة وهو رجل شديد؟ فأقبلت إلى عمود من أعمدة الغرفة – هم كانوا يجعلون للغرف أحيانًا ثمانية أعمدة، أى: أعواد. أعواد سميكة فأقبلت إلى أحدها– ونزعته وحملته معها ونزلت تحت وأقبلت وإذا اليهودى ملتفت إلى جهة ورفعت العمود وضربته على رأسه، ووقع الرجل شبه مغمى عليه ثم ضربته مرة ثانية على رأسه فلما خمد أخرجت الخنجر – باسم الله أكبر – وقطعت رأسه وأخذت هذا الرأس وألقته من فوق الجدار على أصحابه.

رسالة: لما وصلتهم الرسالة وهم ينتظرونه أن يقول لهم: اهجموا وما كانت الرسالة إلا رأسه يأتيهم، هذا رأس فلان فقالوا: والله لقد ترك محمد جيشًا وليس عندهم تفاهم، ما فى أسر بل ذبح على طول؛ ليحمى من بقى فى المدينة.

وكان هذا الإنقاذ بالفعل بتوفيق الله تعالى ثم بفعل صفية.

لذلك أنا أقول لأخواتنا اليوم: لا بد أن يكون عندها شجاعة لا أقصد أنها تقتل ولا تفعل كذا؛ لكن فى التعامل مع المواقف فلا تكون المرأة ضعيفة دائمًا حتى لو تعرض لها رجل فى سوق، ينبغى للمرأة أن يكون عندها قوة أن تثبت وتدافع عن نفسها.

إن الفكرة الحالية لدى معظم النساء الآن أن حكمة المرأة وقوتها تتعارض مع أنوثتها، فتصبح عندهم الأنوثة ضعفًا وبكاء وعدم تدبير للأمور وعدم حكمة.

قدرة المرأة على أن تجمع بين الأمرين يمكن أن يكون. كما قيل:

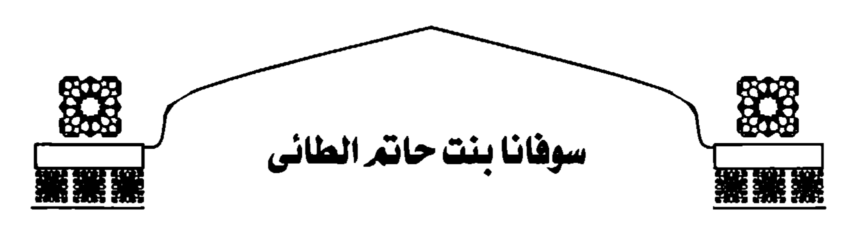
إذا قيل حلمًا قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

فكون المرأة تستطيع أن تجمع بين الأمرين: أن يكون عندها شدة فى مواقف الشدة، وهدوء ولين وأنوثة فى مواقفها. فهذا بلا شك من عقلها وقدرتها.

وبلا شك أن الكلام عن صفية رضى الله تعالى عنها يطول لكن أنا أدعو إخوتى وأخواتى خاصة إلى العودة إلى كتب السيرة لأجل النظر إلى ما ذكِرَ عنها.

أسأل الله لى ولكم التوفيق، وأسأل الله لكم أيها الإخوة والأخوات أن يجزيكم خير الجزاء وأن يوفقنا وإياكم إلى كل خير.

* * *



سوفانا بنت حاتم الطائى

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات.

وأحمد الله تعالى أن يسر هذا اللقاء معكم، أنا حقيقة مسرور لتجدد هذه اللقاءات بكم وأشعر بامتنان لكم علينا حقيقة بمتابعتنا.

فأسأل الله ألا يحرمكم جميعًا عظيم الأجر وجليل الثواب، أرحب بكم وأرحب بالشباب الذين معى.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يجعلنا جميعًا فى مجلس ذكر تحفنا فيه الملائكة، وتغشانا الرحمة ويذكرنا الله تعالى فيمن عنده.

نحن -يا شباب- كما يعلم الإخوة والأخوات نتكلم فى كل حلقة عن إحدى نساء الأمة اللاتى كان لها تأثير فى جانب أو فى جوانب متعددة من الحياة: أمٌّ مثلا فى علم أو دعوة أو طب كما سيأتى معنا إحدى الطبيبات من الصحابيات، نذكرها أيضًا ونذكر حولها بعض الأشياء أو أحيانًا فى إسلام غيرها أى فى دخول غيرها فى الإسلام.

اليوم سأتكلم عن امرأة عاقلة كريمة أبوها لا يكاد أن يجهله عربى أبدًا.

ومع أن أباها لم يدرك الإسلام ولم يدخل الإسلام، إلا أنه لا يزال يضرب به المثل فى الجود والكرم، حتى إنهم ليقولون: الكرم الحاتمى، إذا أرادوا أن يمدحوا فلانًا بكرمه قالوا: هذا بالكرم الحاتمى. من هو هذا الرجل؟.

الرجل هو حاتم الطائى، كان يسكن فى جبال طيئ، وجبال طيئ هذه فى شمال المملكة العربية السعودية فى (حائل) وكان رئيس قومه، وبرز عليهم بشدة الكرم، التى لم يكن لها نظير؛ حتى إنهم يقولون عنه بعدما مات – وكان لا يكاد يثبت فى يده مال ولا إبل ولا غنم من كثرة ما يذبح ويهدى-: حتى إنه أعطى ابنته يومًا أربعين من الإبل، فلم يمس عليها الليل إلا وقد فرَّقتها.

التى هى ابنته سوفانا بنت حاتم الطائى.

وسوفانا أدركت الإسلام وأسلمت -ولها قصة سنذكرها الآن- وهى التى سنقف معها إن شاء الله فى هذه الحلقة.

يقولون: أعطاها هذه الأربعين فوزعتها مباشرة: خمسةٌ هديةً لفلانة، وهذه لفلانة فنفدت مباشرة، فما كان يبقى بيد أبيها شىء ولا بيديها هى الأخرى شىء.

حتى إنه جاء إليها يومًا وقال لها: يا ابنتى إنه إذا اقترن كريمان فى بيت واحد هلك، لا يصلح أن أعطى أنا وأنت أيضًا تعطين، لا بد أن يمسك أحدنا بعض الشىء؛ حتى نستطيع العيش.

قالت: أما أنا فأُغلب على العطاء، أنا يا أبى لا أصبر. ويا للعجب بعض الناس – سبحان الله- اليوم تأكله يده إذا لم يحاسب، فمثلاً: يذهبون إلى مطعم أو نحو ذلك فتجده لا يستطيع إلا أن يحاسب، هكذا طبيعة عنده.

وأنا أعرف بعض الناس هكذا، والمشكلة تكمن فيما لو دعا أحدًا خاصة شخصًا من زملائه المقربين يأتى لمطعم إذ يكلفه هذا كثيرًا.

فأقول له: أيش يا فلان كل هذه التكلفة؟

يقول: يا أخى! لا أستطيع أن أقاوم نفسى؛ أى: أحيانًا يتجاوز الكرم إلى حد الإسراف.

يقولون: إنه قال لها: يا ابنتى نحن قرينان؛ فلا يصلح فى كل مرة أن أعطى وتعطى، فإما أن تمسكى وإما أن أمسك أنا ؟

قالت: أما أنت فإن أردت أن تمسك فأمسك – تريد أن تبخل فأبخل- أما أنا يا أبى فلا أستطيع.

فاتفق معها وأعطاها نصف ماله.

يقولون: فلم يمض عليه وقت حتى فنى.

ويقولون: إن حاتمًا الطائى بعدما مات مر رجل ببيته، فلما مر ببيته رأى إحدى بناته جالسة على الباب وعليها ثياب رثة قديمة، وواضح عليها الفقر، فقال لها: ابنة حاتم الطائى الكريم على هذا الحال؟

فقالت له: نعم. كرم أبى سيرنى إلى ما ترى، تقول: من شدة كرمه ما بقى معنا

شيء بعدما مات؛ لأنه وزَّع كل شيء. كرم أبي سيرني إلى ما ترى.

سوفانا هذه ما هي قصتها، سوفانا لها قصة عجيبة مع النبي -عليه السلام-:

لما بدأ النبي -عليه السلام- يرسل الناس إلى الأمصار يدعوهم للإسلام، كان أحيانًا يرسل دعاة إلى الأمصار، وأحيانًا القبائل أنفسها تأتي إلى النبي -عليه السلام- وتدخل في الإسلام أو تعطيه الولاء والطاعة؛ لأنه - عليه السلام- سيطر على المدينة وسيطر على مكة وخيبر.

وبدأ يرسل إلى اليمن، ويرسل إلى كسرى، وإلى قيصر، فالنبي ﷺ يمتد امتدادًا وتتسع دولته.

وصار أصحاب القبائل: خزاعة، بكر، أسلم، ثقيف، أصحاب حاتم الطائي وغيره، أصبح يرسلون إلى النبي ﷺ يدخلون في الإسلام أو يعاهدونه على أن يقروا له بالولاء والطاعة؛ ونبقى على ديننا إلى غير ذلك.

حاتم الطائي كان قد مات وصار عدي بن حاتم هو الرئيس على قومه وعنده أخته سوفانا وعنده زوجاته وبناته؛ فشعر عدي بن حاتم الطائي أن مجيء النبي -عليه السلام- إليه أمسى قريبًا، اليوم، غدًا، بعد غد.

فقال لراعي غنم عنده:قال:اسمع قال: نعم قال: أنت تذهب عادة لرعي الغنم يعني: تذهب جنوبًا وغربًا جهة المدينة.

قال الراعي: نعم.

قال عدي: فاسأل الرعاة الذين يأتون من هناك إذا كان هناك أي جيش قادم من المدينة، وتعال مباشرة وأخبرني. وأقبل عدي إلى مجموعة من الإبل عنده ووضع عليها الرحل وجهز معها الزاد (علق التمر والماء) حتى إذا جاء أي خبر مباشرة يركب الإبل ويهرب.

وجهز مجموعة من الإبل، ومضت الأيام، ثم أقبل إليه الراعي في يوم وقال له: يا عدي ما كنت صانعًا لو علمت أن محمدًا أرسل إليك جيشًا؟ قال عدي: أركب هذه الرواحل وأهرب.

فقال الراعي: فاصنع ذلك الآن؛ فإنه ممسيك أو مصبحك (بمعنى: إما أن يأتي

الليلة أو غدًا فى الصباح).

بالمناسبة كم المسافة بين المدينة وحائل ٤٠٠ كم اليوم بالطريق المسفلت، يعنى: فى ذلك الزمان تقريبًا مسيرة أسبوع. فقال: إنه سوف يصلك فدبر نفسك.

فأخذ عدى زوجته وأبناءه وركب الإبل ورحل مباشرة إلى الشام؛ لأنه كان نصرانيًا؛ ولأن أهلها نصارى وترك أخته سوفانا مع بعض محارمه، ووصل جيش المسلمين ولم يجد قائدًا يقاتل ويقود الجيش الآخر، فانتصر المسلمون وأخذوا النساء سبايا، ورجعوا بسوفانا وبعض النساء إلى المدينة.

جاءوا بسوفانا والنساء ووضعهن فى مكان معين؛ لأنهم قادمين من حرب ويحتاج الوضع إلى ترتيب.

خرج النبى -عليه السلام- من المسجد ماضيًا إلى حاجة له، فقامت سوفانا بنت حاتم الطائى، وقالت: يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الوافد وأنا ابنة سيد قومه، وقد كان أبى يكرم الضيف وينصر المظلوم ويعين الضعيف فأحسن إلىَّ.

فالتفت النبى ﷺ وقال: «هذه صفات مؤمن» فهو سيد الناس ويكرم الضيف ويعين الضعيف وينصر المظلوم هذه صفة مؤمن.

«من أبوك؟» قالت: أنا ابنة حاتم الطائى، فتذكر النبى ﷺ قال: **«أنت تقولين: هلك الوالد وغاب الوافد»**.

الوالد عرفناه حاتم، الوافد من هو؟ قالت: عدى بن حاتم. قال: آه الفار من الله ورسوله، لم يقف ليحارب أو يسلم أو يأتى يتشاور معنا لكنه يفر إلى النصارى، يذهب يقوى هرقل علينا. طبعًا النبى ﷺ لم يقل هذا الكلام؛ ولكن هذا ما يدور فى الذهن.

هو قال: «الفار من الله ورسوله» ثم سكت النبى ﷺ ومضى وتركها، فلما خرج إلى الصلاة التى بعدها، قيل: من غد. وقيل: الصلاة الأخرى؛ قامت سوفانا إليه، وقالت: يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الوافد وأبى كان سيد قومه كان يكرم الضيف وينصر المظلوم ويعين الضعيف. فأحسن إلىَّ.

فظن أنها امرأة أخرى، قال: **«من وافدك الذى غاب؟»** قالت: عدى بن حاتم، قال: **«هذه هى امرأة أمس»**، امرأة جريئة.

إذن ما دام عندها مسألة فاشرحى مسألتك.

فقال رسول الله ﷺ: «الفارُّ من الله ورسوله»، ذهب مرة ثانية.

فلما كان فى اليوم الثالث، لم تقم. فكان وراء الرسول ﷺ على بن أبى طالب رضي الله عنه فأشار لها أن قومى، فقامت وكان النبى ﷺ لا يسأل الشىء ثلاث مرات إلا أعطاه إياه، يخجل -عليه السلام- ويستحيى، إذا سأله مرة قال: لا يصلح، وفى المرة الثانية كذلك لا يصلح؛ فإذا سأله للمرة الثالثة يستحيى ويقول: خذوه.

وعلى يعلم أن النبى ﷺ إذا طلب منه الشىء ثلاث مرات وافق، فأشار إليها أن قومى الآن وأدركى نفسك، فقامت وقالت: هلك الوالد وغاب الوافد.

قال: «من وافدك؟» قالت: عدى بن حاتم. قال: **«قد أحسنا إليك، إذا رأيت قافلة ذاهبة إلى ديار قومك فأخبرينا نبعثك معهم»**.

نستفيد من هذه القصة: أن المرأة إذا كان لها حاجة وطلبتها مرة ولم تأخذها، فلا ينبغى أن تقول: انتهى الموضوع، إنى أخجل أن أطلبها مرة ثانية؛ بل الواجب عليها أن يكون عندها جرأة فى طلب ما تريده، وهذا نوع من الإصرار.

وهذه نقطة جيدة للإنسان عمومًا والمرأة خاصة. ما دام يوجد له طلب معين ويشعر أنه من حقه وليس فيها تعدٍّ على حقوق الآخرين ولا ظلم لهم.

والشخص الذى أمامك يستطيع أن يعطيك إياها، ما فى مانع من الإصرار، لكن لا تصل إلى عشرين مرة أو ثلاثين. فمثلاً: الاستئذان ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا يرجع، مثل قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

بعد أيام قالت: يا رسول الله، هنا قافلة ثقات من قومى سيذهبون إلى بلادنا فجاء النبى ﷺ وأعطاها بعيرًا وأعطاها زادًا وأعطاها مالاً.

أحسن إليها بأنواع الإحسان المختلفة، وهى ما زالت بنت أعدائه حتى الآن الذين فروا.

قال: «اذهبى إلى قومك»، معززة مكرمة وهى من ذكائها لم تذهب مباشرة إلى طيئ وجلست فى ديار قومها فى القصر.

لم تفعل ذلك بل كانت سببًا فى إسلام أخيها فى الشمال عند هرقل عند الروم.

ماذا فعلت وكيف استطاعت أن ترد أخوها ؟.

إن سوفانا بنت حاتم الطائى ذهبت إلى جبال طيئ ولم تستقر هناك، أخذت معها عبدًا مملوكًا ومضت مباشرة إلى الشام لتحضر أخاها.

ترون الهمة العالية التى عندها.

قالت: أخى هذا الذى ضيع ملكه وضيع الإسلام، وهذا النبى الصالح الذى يحسن إلى كل من يأتيه، كيف يغيب أخى عنه؟ فمضت حتى وصلت إلى الشام وجعلت تسأل عن عدى بن حاتم أين عدى بن حاتم أين عدى حتى دلوها عليه.

يقولون: فأقبلت عليه فإذا هو جالس مع قوم وقد ضاق صدره؛ فهو ملك على قوم، وهو الآن فى الشام فى بيت، وقد ضيع ملكه وأخواته.

فلما أقبلت إليه أخذ يعتذر منها وأخذت تسبه، تقول: كيف تضيع نساءك وتضيع إخواتك وتهرب مع امرأتين أو ثلاث وتترك نساءك وأخواتك؟

فقال: اعفى عنى... إلخ.

فقالت: دعك من ذلك.

وهى فى الطريق إلى هناك راودها عن نفسها العبد المملوك الذى معها.

ترى الخلوة يا أخى كيف تصنع بالإنسان حتى لو كان عبدًا مملوكًا؟ راودها عن نفسها؛ فتورطت فهم فى البر وحدهم، ثم سيسافرون من طيئ حتى يصلوا إلى الشام دمشق -يعنى: مسافة لا تقل عن ٧٠٠ كم، ٨٠٠ كم أو قد تزيد عن ذلك، فربما يستغرق أكثر من شهر تقريبًا فى هذا السفر.

فلما راودها العبد المملوك الذى معها عن نفسها أخذت تقول له: سيحصل فى وقت آخر وهكذا تتهرب منه، فهى تحاول أن تتخلص من الموقف حتى وصلت إلى هناك فسلمته إلى أخيها، وخبرته بما جرى.

فقتله عدى بن حاتم، وكان القتل عندهم مع الأسف منتشرًا فى أيام الجاهلية أو عند الجاهلين الذين لم يسلموا.

الشاهد: قالت له: يا عدى، أين ذهب بك عقلك؟ هذا الرجل والله كل من جاءه تراه يحسن إليه، وجعلت تقنعه حتى اقتنع، وجاءت به حتى أوصلته إلى طيئ وقالت:

اذهب الآن إلى المدينة أدرك نفسك وادخل الإسلام.

ترى يا أخى قوتها وجرأتها وثباتها، مضى عدى حتى وصل ودخل إلى المدينة، طبعًا هو دخوله إلى المدينة كان غريبًا؛ لأن الناس يعرفون عدى بن حاتم ويسمعون عن أبيه، فلما دخل، جعل الناس يقولون: عدى بن حاتم، عدى بن حاتم.

دخل على النبى ﷺ وأقبل إليه ثم مد يده، فقام ﷺ صافحه وقال ﷺ: **«من؟»** قال: عدى بن حاتم، قال ﷺ: **«الفار من الله ورسوله»** فسكت.

والنبى ﷺ من إكرامه له قام من مجلسه معه إلى بيته مبالغة فى إكرامه، إذ كان من عادته أنه إذا جاءه أحد يقول: يا أبا بكر، قم معه، يا عمر، قم معه، أما مع حاتم فلا أفعل بل أنا أقوم معك يا عدى.

فى أثناء الطريق حدثت ثلاثة مواقف أسوقها لكم سريعًا:

طبعًا، عدى الآن يمشى مع النبى ﷺ وهو يرى أن الرأسين متساويان:

أنا ملك على قومى وهو ملك على قومه.

أنا على دين سماوى النصرانية وهو على دين سماوى الإسلام.

أنا عندى كتاب مقدس الإنجيل، وهو عنده كتاب مقدس القرآن.

ما بيننا فرق. فى أثناء الطريق حدثت ثلاثة مواقف:

الأول: أقبلت امرأة، قالت: يا رسول الله، لى إليك حاجة، فأقبل يستمع إليها وهى امرأة ضعيفة.

أخذ عدى ينظر، فقال: ما هذه والله بأخلاق ملوك، هذه أخلاق أنبياء، الذى يقف مع امرأة ضعيفة ويستمع ليس بملك، لو أنه ملك من الملوك لقال: يا وزيرى انظر فى أمرها ويمشى.

الثانى: بعد قليل أقبل رجل وقال: يا رسول الله، الفقر أتعبنا والجوع... إلخ، طبعًا صعُب على عدى بن حاتم أن يسمع هذا الكلام، النبى ﷺ يريد أن يدخله فى الإسلام وهو يسمع أن المسلمين فقراء.

فقال النبى ﷺ للرجل كلمتين وجعله ينصرف.

جاء رجل آخر: يا رسول الله، أشكو إليك عدم الأمن فى الطرق وكلما ذهبنا يمينًا

أو يسارًا حاربنا الكفار، إنا لله! ما الذي جاء به أيضًا أمام عدى. فقال له النبى ﷺ كلمتين ومشاه.

دخلا إلى البيت وجلسا فقال ﷺ: «يا عدى ما يضرك أن تقول: لا إله إلا الله؟!» قال عدى: إنى على دينى. قال عليه السلام: **«أنا أعلم أنه ما يمنعك من الدخول فى الإسلام إلا خصاصة تجدها فى قومى، إن قومى فقراء مساكين، بدليل الرجل الذى جاء قبل قليل، وأنك ترى الناس مجتمعين على وعلى قومى».**

«يا عدى، هل أتيت الحيرة (مدينة بالعراق)**؟»** قال: ما أتيتها لكنى أعرف موضعها، قال ﷺ: **«يا عدى لئن طالت بك حياة لترين الظعينة** (المرأة) **تخرج على بعيرها من الحيرة حتى تأتى إلى الكعبة وتطوف عليها لا تخاف إلا الله».**

طبعًا، هى إذا خرجت من الحيرة حتى تصل إلى الكعبة فمعنى ذلك أنها ستمر بقوم عدى (قوم حاتم) يقول عدى: فقلت فى نفسى عجبًا: فأين عنها دُعَّار طيىء (سراق طيىء) الذين سعروا البلاد؟ أيمكن أن يتركها قومي تمر من غير أن يأخذوا منها شيئًا (من غير جمركة).

ثم قال ﷺ: **«وليفيضن المال حتى يهم الرجلَ من يأخذ صدقته»**، يخرج الواحد الزكاة ويقول: يا جماعة بالله ابحثوا لى عن فقير أعطيه الصدقة، فيقولون: لا يوجد فقراء.

ثم قال: «ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز»، ثم قال: «يا عدى ما يضرك أن تقول: لا إله إلا الله؟».

قال عدى: إنى على دينى، قال ﷺ: «أنا أعلم بدينك منك، ألست ركوسيًّا» «الركوسية ديانة محددة فى النصرانية» ما قال: ألست نصرانيًّا، بل عرفه مذهبه.

مثلما يقول لك: ألست حنبليًّا أو شافعيًّا؟ لا يقول لك: ألست مسلمًا. فتقول: يا أخى من أدراه أنى حنبلى أو شافعى وتستغرب منه.

قال: بلى، قال: فإنك إذا غزوت مع قومك تأخذ المرباع (المرباع أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة) قال: نعم.

قال: فإن هذا حرام فى دينك؟ بدأ يفتيه على مذهبه، قال عدى: والله حرام فى دينى،

قال ﷺ: تقول متمسك بدينك، وأنت تضيع دينك أصلاً.

«يا عدى: ما يضرك أن تقول: لا إله إلا الله، أو تعلم من إله أعظم من الله»؟! قال: فإنى حنيف مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ودخل عدى فى الإسلام ودخل قومه بعده فى الإسلام.

طبعًا، عدى يحدث بهذا الحديث بعد سنين يقول: والله لقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز مثلما أخبرنى النبى ﷺ ورأيت الظعينة تخرج ما تخاف من قطاع طريق لقوة الإسلام، وليأتين الثالث كما أخبرنى النبى ﷺ ترى ثقته فى النصر، طبعًا هو أسلم على يد سوفانا أخته.

شيخ، نحن استنتجنا حسن التعامل مع الأسيرات، وبعد الحادثة رجعت لأخيها لكى تهديه للإسلام.

أنا أظن أن سبب تأثرها بالإسلام ودعوتها لأخيها هو تعامل النبى عليه السلام معها، بالله انظر اليوم إلى أسيرات المسلمين فى فلسطين فى العراق ربما فى أفغانستان، فى عدد من البلدان.

انظر كيف يتعامل معهن سواء الأسيرات المسلمات أو غير المسلمات، ثم انظر كيف تعامل النبى ﷺ مع هذه الأسيرة بهذا الأسلوب الرائع.

أول شيء جرأتها العجيبة والآخر حسن تعامل الرسول ﷺ مع عدى بن حاتم ومع أخته، لو حصل هذا مع أحد من الزعماء أو الملوك وجاء إليه هذا الذى فعل مثلما فعل عدى بن حاتم إليه عند عرشه أو فى مكانه، لانقض عليه العسكر، ولوضع فى السجن، ولما قام معه وأحسن إليه.

هذا أيضًا مهم؛ إذ النبى ﷺ ليس قصده تثبيت ملكه وقوته على الآخرين، بل قصده هداية الناس إلى الخير، فكأنه يقول: يا عدى، ولو فررت منى وكنت تقول: كذاب وكاهن وساحر، فانسى الماضى مثلما قال النبى ﷺ لقريش -الذين قالوا فيه: كذاب وساحر وكاهن- عندما تمكن منهم فى فتح مكة قال: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**. وجاءوا مسلمين بعد.

يا أخى، من أعظم صفاته ﷺ أنه لم يكن ينتقم لنفسه، لم يكن يجعل المسألة حظ

نفسه؛ لكن أهم شيء حظ هذا الدين ونصرته.

النبى ﷺ جاءه عدى وهو فى ملكه وفى عرشه ويستطيع أن يقول: خذوه فغلوه، فى أقرب مكان اقطعوا رأسه فيه، لكن ما كان ذلك قصده، بل قصده أن تهتدى؛ لذا قام معه. انظر إلى إكرامه ﷺ لعدى.

درس آخر نتعلمه: وهو أن هذا رجل رئيس قومه يستحق الإكرام، ينبغى أن يكون له نوع معين من التعامل، لكن لو أن النبى ﷺ صافحه بطرف يده، من عدى بن حاتم؟ يا أبا بكر بالله قم تفاهم معه، ما كان ليتقبل، ولكن عندما يقوم النبى ﷺ ويحتفى به، فالأمر يختلف.

يا أخى، يبقى أن هؤلاء بشر؛ ولذلك ينبغى أن نكون مثلما قال النبى ﷺ: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم**».

أى: ينبغى أن يعطى كل إنسان قدره فى التعامل وفى الأخذ والرد.

أيضًا يا شيخ، حينما قالت سوفانا لأخيها: اذهب وانجُ، فكانت واثقة بنصر الله عز وجل وواثقة أن الله عز وجل لن يخيب ظنها، دلها على ذلك كرم النبى ﷺ، النقطة الثانية أيضًا هى ثقة عدى رضي الله عنه بأن الله سينصر هذا الدين.

الآن يوجد بعض المسلمين وهم يرون واقع المسلمين اليوم وهو واقع ربما يكون فيه آهات عليهم ونحو ذلك، فيتعجب أحيانًا بعض المسلمين من سماع أن هذا الدين سينتصر، وإن الله عز وجل ناصر دينه، وأن النبى ﷺ ذكر أن هذا الدين منصور وأنه لن يكون بيت وبر ولا مدر إلا سيدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عز يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الشرك، وتقول له: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣] فالدين ظاهر، الدين منتصر.

ويبدأ بعض الناس يقول لك وينظر يمينًا ويسارًا: كيف ينتصر يا أخى والمسلمون يفعل بهم كذا فى المكان الفلانى ويقع عليهم كذا فى المكان الآخر، ويحصل لهم كذا... إلخ.

يقيس الأمور بالقدرات البشرية الموجودة عنده، وينسى أننا إنما ننتصر بقوة الله

تعالى وليس بقوتنا نحن.

عدى بن حاتم وهو كافر بسمع من النبى ﷺ يقول له: الدين سينتصر ويصدق نعم سينتصر، ولما يُحدِّث بهذا الحديث بعد سنين يقول: أما التى أخبرنى النبى ﷺ أن الظعينة ستخرج فرأيتها قد خرجت، وأن كسرى سنفتح بلاده فأنا كنت فيمن فتحها.

ثم قال: والله لتأتين الثالثة.

أنا أقول: ينبغي ونحن نخدم هذا الدين اليوم رجالاً ونساءً ينبغى علينا جميعًا، أن نستشعر أننا نخدم دينًا منصورًا مثلما قال ابن القيم: يقول:

وَالْحقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلا تَعْجَبْ فَهَذِى سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

الدين قد يمر به أحيانًا أوقات ضعف؛ لكنه لا يموت؛ لأنه دين الله تعالى هو الذى أنزله، ما اخترعناه نحن.

أما الشيوعية التى اخترعها الناس وقاتلوا عليها وعملوا من أجلها، فماتت بعد ٧٣ سنة.

الدين البوذى لما كان من اختراع الناس فهو يموت.

طرق كثيرة من الطرق الفاسدة تموت؛ لكن هذا الدين الذى أنزله رب العالمين وهو الذى تكفل بحفظه باقٍ، والشرف لمن الشرف لمن يعمل شيئًا لأجل نصرته، هذا هو الذى نريده.

لذلك أنا أقول: لو لم نستفد من هذا وخاصة أخواتنا إلا أن تحرص على أن يكون لها تأثير فى خدمة هذا الدين، وأن تكون جريئة فى المطالبة بما لها وفى عرض أفكارها، وأن تكون جريئة فى دعوة غيرها.

سوفانا لم تذهب وتجلس فى بيتها، بل ذهبت إلى الشام وأحضرت أخاها ووجهته إلى النبى ﷺ.

امرأة ذكية وعاقلة وكريمة.

الأمر الثالث أيضًا: هو حسن العبارة فيما يريد الإنسان، فهى عندما أرادت أن تتكلم مع النبى ﷺ ما قامت وقالت: يا محمد أنا أسيرة ومسكينة، لا.

بل انظر كيف جاء الكلام مرتبًا، هلك الوالد وغاب الوافد، وأنا ابنة سيد قومى

وكان أبى يكرم الضيف ويكسب المعدوم وينصر المظلوم ويعين الضعيف، فأحسن إلىَّ.

ترى هذه المقدمة الطويلة كلها حتى تقول: أحسن إلى؛ حتى تحرجه، فالنبى ﷺ لما رأى أن المرأة أبوها بهذا الحال، وهى امرأة طيبة وأهلها طيبون، ما نملك إلا أن نقول: نعم.

كذلك لو أن المرأة أرادت شيئًا من زوجها أو من أخيها... فما أجمل أن تعطيه مقدمة قبل ذلك مقدمة رصيد عطف تمكنها أن تطلب بعد ذلك ما تريد، ويستجاب لها.

جزاكم الله خيرًا يا شباب.وبارك الله فيكم ورضى الله عن سوفانا بنت عدى وأنتم أيضًا وعسى الله أن ينفعنا وإياكم وأن يجمعنا فى جنته مع من نتكلم عنهن من الصحابيات الكريمات والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



مخة
أخت بشر الحافى

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يستفيدون بسير الأولين.

أرحب بكم أبنائى وبإخوانى الشباب، وإن كنا جميعًا نتكلم عن القوارير، نتكلم عن النساء، إلا أن القوارير هن اللاتى ولدننا هن أخواتنا وبناتنا وزوجاتنا، ولا غنى للرجل عن المرأة عمومًا، وهى نصف المجتمع، وهى التى تلد النصف الآخر؛ فهى المجتمع كله فى الحقيقة.

اليوم لن أتكلم عن صحابية من الصحابيات، كما جرت العادة أن نتطرق للكلام عن الصحابيات، تكلمنا عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن زينب بنت النبى ﷺ وتكلمنا عن عدد كبير من الصحابيات.

اليوم سأنتقل بكم نقلة طويلة حتى نصل إلى امرأة اسمها مخة أخت بشر الحافى.

بشر الحافى كان زاهدًا من الزُّهاد، معروف بزهده كان فى عصر الإمام أحمد وكان الإمام أحمد بن حنبل -رحمة الله-: يثنى عليه كثيرًا فى زهده وورعه إلى غير ذلك.

مخة أخت بشر الحافى أيضًا كانت امرأة عابدة عندها نوع من الورع.

الورع: يعرفه العلماء فيقولون: أن تترك ما لا بأس به خوفًا مما به بأس؛ يأتى إلى إنسان شخص معين يقول له: لقد اكتشفوا أو صنعوا نوعًا جديدًا من العصير جديد مثلا أو نوعًا من المرطبات مثل المرطبات المشهورة الآن مثل: البيبسى والكولا.

وهو مرطب جديد جميل ولذيذ ومسموح به ويباع فى محلات كثيرة، يشتريه الكبير والصغير؛ لكن يبدو أن فيه نسبة قليلة جدًّا جدًّا من مادة تستعمل فى صنع الخمر.

فقال: تعنى أنه مسكر.

قال: ليس بمسكر.

هل شُرْبُ الكثير منه يسكر، فالنبى ﷺ يقول: **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»**.

قال: لا. كثيره وقليله لا يسكر، لكن فيه مادة تشبه بعض المواد التي تستعمل في الخمر، لما تقرأ المكونات وتقرأ المكونات التي في الخمر تجد فيه تشابهًا في مادة واحدة، لكن بنسبة قليلة، فهو جائز الشرب مثلًا والعلماء أفتوا بجوازه، هذا المشروب الذي ليس مسكرًا ولا خمرًا، بل من المرطبات.

فيقول صاحبنا: والله يا أخي! ما دام أن فيه مادة تشبه الخمر إذًا ابعدني عنه كله.

قال: لماذا؟

فقال صاحبنا: يا أخي الأنواع كثيرة، أنا أشرب أي نوع من العصائر والمرطبات وليس ضروريًا أن أشرب هذا النوع.

أنا لن أتساهل بشربه حتى لا يكون هذا مرحلة للتساهل فيما هو أشد منه مثل: السارق، السارق لا تكون أول جريمة سرقة، سرقة خمسة ملايين أو ستة ملايين. في الغالب يسرق من البقالة التي بجانبه ثم يسرق مائتي أو ثلاثمائة ريال ثم يبدأ في سرقة الهواتف الجوالة ثم يسرق أكثر فأكثر حتى أنه ربما يهجم على بعض المصارف ويسرق ما فيها.

فالمقصود: أن الورع هو هذا النوع أن تترك ما لا بأس به خوفًا مما به بأس؛ خوفًا من أن تتساهل، ففي الصلوات مثلاً تجد الإنسان الذي يحرص على أن يصلي السنة التي قبل الصلاة دائمًا لابد أن يبكر للمسجد أصلاً، حتى يصلي السنة القبلية وبالتالي لن يضيع تكبيرة الإحرام ولا تفوته أبدًا، لكن لو تساهل في السنة القبلية فستفوته تكبيرة الإحرام.

وإذا تساهل في تكبيرة الإحرام شيئًا فشيئًا ستفوته الصلاة كلها، ويبدأ يصلي مع الجماعة الثانية التي في المسجد.

هذا كله من تساهل الإنسان في مثل ذلك، وهذا هو الورع الذي نذكره: هو أن تضع حول المحرمات سدًّا منيعًا حتى لا تستطيع الوصول إليها.

ما هي علاقة المرأة البطلة التي سنتكلم عنها بهذه القضية؟

المرأة كانت ورعة شديدة الورع وشديدة الخوف من أن يكون الشيء الذي تفعله محرمًا!

أعطيكم مثالاً: كانت المرأة تغزل وتتكسب المال من الغزل -والغزل: هو أن تأخذ خيوط الصوف وتصنع منها قماشًا- فأحيانًا ينطفئ السراج عندها فى الليالى المقمرة فتغزل على ضوء القمر، تجلس فى فناء المنزل وتغزل على ضوء القمر، وتبيع.

جاءت مرة إلى أحمد بن حنبل، قالت له: يا أبا عبد الله، قال: نعم، قالت: عندى استفتاء، قال: نعم. قالت: أنا أغزل على ضوء السراج فى الليل فينطفئ السراج وليس عندى زيت فأكمل الغزل على ضوء القمر، فهل يجب على عندما أريد أن أبيع أن أبين لهم أن هذا غزل على السراج وهذا غزل على ضوء القمر؟ الله أكبر الله أكبر مع أن الغزل واحد لا يوجد فرق، هو قماش واحد لا يوجد فرق.

فقال الإمام أحمد: أبينهما فرق؟

قالت: لا والله ما بينهما فرق، لكن جرت العادة أن الناس يظنون أننا نغزل إما فى النهار وإما على ضوء السراج، وأنا أستفيد أنى أوفر الزيت وأغزل على ضوء القمر، فهل يجب على أن أخبر الناس أم لا؟

فقال: أنت مَن؟ لأن المرأة محجبة تمامًا، قالت: أنا أخت بشر الحافى.

قال: آه من بيتكم خرج الورع، أنتم والله الذين عندكم مثل هذه الدقة ثم أفتاها بما أفتاها به وذهبت.

وفى رواية: أنها سألته سؤالاً آخر، قالت له: يا أبا عبد الله، أحيانًا وأنا أغزل فى فناء المنزل إذا جاء الشرط (الشرطة الذين يسيرون فى الليل) معهم شعل من نار (يشعلونها ويمشون ففى الماضى ما كانت توجد أنوار عندهم فى الشوارع) تقول: فأحيانًا يأتون هؤلاء ويقفون بجانب البيت يتحدث بعضهم إلى بعض، وشعلة النار مشتعلة وبالتالى تضىء لى وأنا فى المنزل، تقول: فأفرح وأطفئ السراج حتى أوفر الزيت وأغزل على ضوء هذه الشعلة.

ثم قالت: فهل يجب على أن أستأذن منهم؛ لأجل أن أغزل على ضوء الشعلة التى معهم؟ والله المستعان.

الناس الآن يأتى واحد ويسألك عن حكم معين تقول له: حرام، فيقول: يا شيخ حرام جدًا جدًا، ما فيه قول آخر، حرام كثير ولا حرام (شوى)، ولو بان أنه حرام

(شوى) يفعله، وأحيانًا يتساهل.

بالنسبة للتساهل تجد الشخص مثلاً إذا لم يجز له الشيخ ما يريد يذهب لشيخ آخر حتى يحصل على الفتوى التى يبغيها.

أحيانًا يذهب الشخص لتتبع الفتاوى، وتتبع الفتاوى لا يجوز؛ لكن هذا يجرنى إلى الكلام عن مسألة أنواع النساء فى الورع، ما دام حديثنا حول القوارير وحول أخواتنا وأمهاتنا ونسائنا عمومًا.

أنواع النساء حتى فى الورع ينقسمن إلى قسمين:

منهن المتساهلات فتجد الواحدة تأتى إلى الشيخ وتقول له: فضيلة الشيخ ما الحكم إذا أردت أن ألبس ملابسى إلى الركبة وأجعل (البلوزة) تخرج شيئًا من صدرى وشيئًا من ظهرى. يقول: هذا يا ابنتى لا يجوز.

فتقول: لا يرانى إلا النساء نحن فى عرس.

يقول: حتى لو فى عرس يا ابنتى لا يجوز مثل هذا اللبس.

تقول: يوجد شيخ مرة أفتى وقال: إن المرأة عورتها من السرة إلى الركبة، وشيخ آخر أفتى بكذا، فهذه متساهلة تبدأ فى تتبع الرخص مع أن الذين أفتوا أن المرأة عورتها من السرة إلى الركبة لم يقولوا: إن المرأة هذا هو أصل لباسها، إنما هى تخرج ما فوق السرة وما تحت الركبة عند الحاجة.

مثلاً: امرأة جالسة مع مجموعة نساء فأرادت أن ترضع ولدها فكشفت ثديها وأرضعت ولدها فهذا جائز، لكن لو أرادت مثلاً أن تحك فخذها فلا يجوز لها أن تخرج فخذها أمام النساء وتحكه حتى لو كان لحاجة، تذهب وحدها وتحك فخذها ثم تعود.

أو لوعندها مثلاً لزق أو مسحة طبية أو أى أمر فأرادت لأجله أن تعطى لنفسها إبرة أنسولين أو كذا فلا يجوز أن تكشف فخذها أمامهم، بل يجب أن تذهب وحدها؛ لأن العورة ما بين السرة إلى الركبة.

ومثلاً: امرأة جلست،فخرجت ساقها، وكانت تغسل فى البيت أو هكذا، فهذا الأمر فيه سهل، فليس الأصل فى الجواز أن المرأة تفصل لباسها أصلاً على هذا اللباس بالشكل الكاشف لا.

فلما تأتى امرأة متساهلة وتقول: يا أخى أصلاً أنتم لماذا تشددون علينا أنتم أعطيتم الموضوع أكبر من حجمه، هناك مشايخ يفتون بغير ما تقولون به.

أنت تقول:الأغانى حرام، ويوجد شيخ يقول: حلال...

هؤلاء المتبعات ليس عندهن أى نوع من الورع مع الأسف، **فهذه كيف تأتى إليها** وتحدثها بخبر مخة أخت بشر الحافى التى تقول: أنا أغزل على ضوء هؤلاء لا بد أن أستأذن منهم أم لا؟

أعجبنى سؤال من أحد الشباب سئل لى من عدة أيام يقول: يا شيخ أحد جيراننا ركب عنده (مودم خاص بالإنترنت) وهو شىء خاص بـ (DSL) للإنترنت وأحيانًا (المودم) يكون مداه طويلاً، فيقول السائل: يا شيخ، إننى عندما أشغل الكمبيوتر عندى أجد فيه (DSL) يعمل.

يقول:وأظنه من إحدى الشقق التى حولنا فى العمارة، وهو لا يضطره أن يضعه برقم سرى أو يتركه مفتوحًا؛ لايضره أن يتركه مفتوحًا لأن (الصرفية) واحدة بالشهر مثلاً: يدفع فى الشهر خمسمائة ريال سواء استعمله ٢٤ ساعة أو استعمله ١٠ دقائق. مدفوع التكلفة واحدة.

فيقول الشاب:أنا يا شيخ عندما أفتح الإنترنت عندى على ذبذبات تأتينى لا أدرى ممن؟ ولا أدرى من الذى يدفع حسابها؟ فهل يجوز لى أن أستعملها أم يجب أن أذهب إلى الشقق وأضرب عليهم الباب وأقول يا جماعة من منكم عنده إنترنت (DSL)؟ هل تأذن لى أم لا؟

أنا يعجبنى هذا النوع من الورع، فكنت أفتيه وأقول: ليس عليه ضرر وأنت لا تستعمله إلا فى طاعة، فلا بأس.

مثلما يأتى جارك ويضع (لمبة) أمام بابه وتأتى أنت وتجلس أمام بابه بغير ضرر، تذاكر كتبك اعتمادًا على الضوء الذى خرج منه، فليس عليه ضرر وأنت ليس عليك فى ذلك بأس؛ لكنى أوردته لأبين مسألة الورع عند البعض.

هذا هو النوع الأول من النساء المتساهلات.

النوع الثانى:المتشددات جدًّا بحيث أن كلِ شىء يجعلن فيه حرج، وكل مسألة من

الزينة المباحة تقول: لا والله مرة شيخ أفتى، إذًا أنا سأتركها مع أنه ربما يكون إجماع العلماء على جوازها، لكن مع ذلك تحاول أن تبتعد عنها.

من أنواع الورع:

الورع بالمناسبة له أنواع كثيرة:

منها ورع اللسان: وهو أن يخاف الإنسان أن يقول كلمة مثلا وربما تكون هذه الكلمة مرحمة، لكنه يقول: الأفضل أن أسكت.

وهذا يذكرني بحديث عائشة رضي الله عنها وكانت صائمة وفى أثناء صومها أذن المغرب وحل لهم الأكل، أحيانًا يؤذن عليك المغرب وأنت صائم ولست عطشانًا ولا جائعًا، فتأتى وتبكر من باب تطبيق السنة ويمكنك أن تواصل ساعتين زيادة على دخول الوقت.

فقالوا لها: يا أم المؤمنين نقرب إليكِ المائدة؟ هى لا تحتاج طعامًا!

قالت: هاتوا الطعام نعبث به، ثم قالت: أستغفر الله أستغفر الله، أعبث بنعمة الله، ثم أرسلت بمالها واشترت عبدين مملوكين وأعتقتهما لوجه الله؛ توبة من هذه المعصية.

ترى الورع فى اللسان؛ لأن النبى ﷺ يقول: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**» وفى رواية قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً تهوى به فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» كلمة واحدة.

ويقولون عن الإمام أحمد بن حنبل: إنه عاد رجلاً، فلما عاد هذا الرجل أقبل إليه فإذا الرجل مريض قد اشتد مرضه، فقال له أحمد: أتيت الطبيب (ركزوا معى فى اللفظ) قال: أتيت الطبيب، فقال الرجل: نعم. أتيت فلانًا الطبيب، فقال أحمد: لا، اذهب إلى فلان فإنه أطب منه أى: أفضل منه فى الطب.

ثم قال أحمد: أستغفر الله أرانى قد اغتبت الأول.

فكيف حالنا نحن اليوم؟

أرأيت ورعهم فى اللسان لذلك الذى يدقق على نفسه بهذه الكلمات، يدلك على أنه لن يتكلم متعمدًا بحرام مادام أنه لما قال: أترى فلان الطبيب أحسن من الأول

قال: أستغفر الله أرانى قد اغتبته.

لأن النبى ﷺ يقول: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره» فهو يكره هذا الكلام، ترى الدقة فى مراقبة النفس ومحاسبتها.

مسألة الورع مسألة مهمة.

ونعود إلى مخة أخت بشر الحافى وكيف أنها كانت تدقق فى محاسبة نفسها فى مسائل الورع حتى فى أسئلتها؛ حتى ذكر أنها جاءت مرة إلى الإمام أحمد – **وهى تأتى إليه لأنه** هو عالم ذلك الزمان – جاءت إليه يومًا فسألته قالت: يا إمام أنين المريض، تعنى قول المريض: آه آه، هل يعتبر الشكوى أم ليست شكوى؟

قال: كيف؟

قالت: هل يعد شكوى لغير الله فينقص أجرى أم لا توجد مشكلة؟

بينما الآن الناس إذا مرضوا أو مرض أولادهم لم يفكروا فى الأجر، بل يبادرون بقول لم يا رب... إلخ.

وهذا اعتراض على قضاء الله وقدره.

الورع فى المال والتساهل فيه:

مثل الأسهم: فتجد بعضهم يقول: أنا أرضى بفتوى شيخ واحد فقط أحلها وأنا أضعها فى ذمته، ولعله يكون عالمًا وموقنًا فى قرارة نفسه أنها حرام؛ لكنه يبغى شيخًا يقول: حلال.

والورع: أن يخاف الناس الله سبحانه حق الخوف فإذا وُجد شيخ واحد أفتى أن هذا الشىء فيه شك والباقين كلهم قالوا: لا يوجد فيها شىء؛ يتركه لوجه الله، وقال: يبدلنى الله خيرًا منها.

مثال ذلك: الأسهم كما ذكرت وغيرها، فكون الإنسان يتورع فى مسألة المال، أمر مهم؛ ذلك أن النبى ﷺ يقول: **«الحلال بيّن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس»**.

العلماء أنفسهم لا يقدرون أن يفتوا بما فيها؛ لأنه لا يعلمها كثير من الناس، ويأتينا الدواء قال ﷺ: **«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»**.

استبرأ لدينه؛ كيلا ينقص منى شىء وأصاب بسيئات، واستبرأ لعرضه؛ حتى لا يتكلم الناس فى عرضه.

مثلاً: الآن لو أن واحدًا رأيته داخلاً إلى سوق، اشتهر هذه السوق مثلاً بالتكشف والغزل، وفيها أكثر من محل يبيع الخمر ونحو ذلك، ودخل إلى هذا السوق أفلا يكون ذاك مدعاة لكلام الناس فى عرضه؟ بلى.

يقولون: ما السبب فى ذهاب فلان إلى هذه السوق؟ ما الذى أدخله هذا المكان؟ لو كان فيه خير لما ذهب إليه.

فالنبى ﷺ يقول: اتق هذه الأماكن التى بها مشكلة وشبهة، **«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه»**. لا أنظر إلى حرام.

واستبرأ لعرضه أى: لسمعته، بمعنى: طلب البراءة والسلامة لسمعته.

ثم قال: «ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام». هذا فى الذى يتساهل فى الوقوع فى الأمور المتشبهة شيئًا فشيئًا؛ مثلما ذكرنا عن السارق أول مرة يسرق حلويات وهو شىء صغير فإذا كبر سطا على المصارف والبنوك وغير ذلك، فيقول: **«ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام»**.

ثم قال: «كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه».

الحمى: كان فى السابق الملوك والخلفاء يجعلون لهم مجموعة من الإبل ويجعلون لها حمى؛ أى: مكانًا معينًا ممنوعًا أن يرعى الناس فيه إبلهم وغنمهم؛ هذا المكان وهذه الدائرة مخصصة فقط لإبل فلان وحده لا يشترك معه غيره فيها، فهذا هو الحمى.

فيأتى بعض الرعاة ويرعى حول هذا المكان والزرع والنبت فيه كثير؛ لأنه حمى، فيبدأ الراعى يقول: لن أدخل الحمى؛ ولكن أطوف حوله؛ فإذا جاء حول الحمى يوشك أن يرتع فيه؛ يعنى: يرعى فيه.

ثم قال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه».

الله تعالى وضع حمى بداخلها يوجد زنًا وشرب خمر... وإلخ ووضع سياجًا لا تقربوا هذه المحرمات؛ فكون الإنسان يجترئ ويقول: أنا لن أزنى لكنى أحوم حول الحمى، أدخل إلى المرقص وأنظر إلى النساء، أنظر فقط.



فهذا نقول له: أنت تحوم حول الحمى.

إنسان قال: أنا لن أشرب خمر؛ لكن أدخل البار وأنظر الذين يشربون.

أنت تحوم حول الحمى.

قال: لن أدخن؛ لكن أشم الرائحة وأخذ شرفة.

نقول له: أنت تحوم حول الحمى الآن.

قال: أنا لن أكلم بنات ولكن أدخل الشات وأرى المكالمات والمحادثات بينهم، نقول: أنت تحوم حول الحمى.

ابق بعيدًا ولا تكن: كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه.

الورع في النظر وإطلاق النظر:

عندما ذكر الله سبحانه وتعالى النساء قال: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور: ٦٠] ، امرأة عمرها مثلاً تسعون سنة، فهذه لا ترجو نكاحًا، حتى لو تزينت وتجملت ووضعت أنواع (المكياج) فلن يخطبها أحد.

قال: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾، أى: تنزع حجابها، تكشف وجهها ثم قال: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾، يعنى: لا تتزين ولا تضع (المكياج).

ثم قال: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾، حتى لو كان عمرها تسعين سنة فالأفضل لها أن تتحجب وتتغطى.

يا رب أنت قلت: القواعد، نعم قواعد؛ ولكن إذا سترت نفسها فأحسن وأفضل لأجل النظر.

لو جاءك إنسان وبدأ يطلق بصره فى النساء، وقال: هذه عمرها تسعون سنة ولا شيء على إن نظرت لها.

وهذه عمرها خمس وثمانون، ثم يقول: وهذه عمرها سبعون فهى قريبة منها، وهذه متزوجة وعندها عيال ولا توجد مشكلة، وهذه قريبة: زوجة عمى، زوجة خالى نحو ذلك؛ فربما ينساق حتى ينظر إلى ما هو أدنى من ذلك.

بالنسبة لموضوع المال والأوراق المالية - الورع فى المال:

تجد التجار والذين ينفذون المشاريع أمرهم عجيب، فعندما يكون المشروع مسئولاً عنه التاجر؛ تجد المسئول مثلاً يقول: ما شاء الله المشروع كلفك مبلغًا وقدره ١٠ ملايين مثلاً فيقول: لا أكثر من ذلك قاصدًا رشوة من الـ ١٠ الملايين، بالرغم من أن المشروع تم؛ ولكنه يقول: المرة القادمة حاول أن يكون لنا نصيب، فموضوع الرشوة مسألة كبيرة وخطيرة.

حتى فى الموظفين الصغار يا شيخ يمكن أن تتعقد مسألة فى معاملة معينة إلى أن تجد عن طريق غير مباشر شخصًا أو مكتبًا يدفع لهذه الجهة؛ لكى تتسير هذه المعاملة.

والله يا أخى أنا أقول: اليوم تساهل الناس بالرشوة بصراحة ووقوعهم فيها أصبح مشكلة عامة فى الأمة، النبى ﷺ يقول: «**لعن الله الراشى والمرتشى**» ومع ذلك نجد أن بعض الناس لا يوجد عندهم مشكلة فى الرشوة، والنبى ﷺ يقول: «**يأتى على الناس زمان لا يبالى الرجل من أين اكتسب المال من حلال أم من حرام**».

الرجل والمرأة سواء همهم الأكبر جمع الفلوس، ولا يضر أحلال أم حرام، لا تدخلنى فى هذا الموضوع؛ أهم شيء بدل أن يكون عندى ألف يكون عندى عشرة آلاف، وأن أزيد الأصفار أمام مالى وأزيد الرصيد.

قال: لا يبالى الرجل من أين أخذ المال من حلال أم من حرام، وهذه الحقيقة مشكلة وتساهل الناس بها سيؤدى بهم إلى عظام.

النبى ﷺ دخل بيته فلما جلس على فراشه التفت فرأى تمرة وكان جائعًا فأخذ هذه التمرة ورفعها ومسحها، فلما أراد أن يأكلها قال: «**لولا أنى أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها، فتصدق بها**».

يقول: الناس يجمعون عندى الصدقات وأنا أوزعها على الفقراء، فأخاف أن تكون هذه التمرة وقعت من أحد الناس.

وفى يوم آخر كانت الصدقة بين يديه ﷺ من تمر فأقبل الحسن أو الحسين ابن بنته طفل صغير أقبل وأخذ تمرة ووضعها فى فيه فقام النبى ﷺ وأمسك يده وأخرجها من فيه وقال: «كخ كخ. **أما علمت أنها من الصدقة، والصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**» ومسحها النبى ﷺ وأعادها مع التمر.

والآن -سبحان الله- نتساهل فى أكل الأموال الحرام وأموال اليتامى والاحتيال على الناس وهو مال حرام.

بعض الناس فى الحقيقة إذا رآك تتورع عن بعض الأمور، قاسك على نفسه، فإذا كان متساهلاً ١٠٠٪ ورآك أنت متشددًا إلى ١٠٪، ٢٠٪، قال: يا شيخ، لماذا تتشدد؟ أنا لا أريد ان أكون مثلك.

مثل مرأة عارية وترى امرأة قد لبست لباسًا قصيرًا فتقول: يا أختى لماذا تشددين على نفسك؟! نقول: بل أنتِ التى خربتِ الأمور كلها!!

فالمقصود: أن نضبط هذه المسألة؛ لذلك أنا أقول: ينبغى أن نستفيد أشياء منها:

أولاً: ورع الإنسان فيما يخرج من لسانه.

ثانيًا: ورع الإنسان فيما يدخل فى جوفه مثلما قال النبى ﷺ: «**إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع منكم ألا يدخل فى بطنه إلا طيبًا فليفعل**» أو كما قال ﷺ.

ثالثًا: الورع فيما ينظر إليه؛ فلا يتساهل الإنسان بالورع فى مثل هذا، ولكن مثلما قال النبى ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات**» أى شىء يعترضك فيه شبهة فقل: اللهم سلمنى.

«**فقد استبرأ لدينه وعرضه**» يا أخى، سلامة الدين لا يعادلها شىء.

كون الإنسان يبقى سليمًا فى دينه فهذا لا يعدله شىء.

وبالنسبة للقروض التى من البنوك، التساؤل عنها كثير وبعض الناس يقول: لماذا التشدد، فكل الناس تأخذها ولست وحدى فى هذا، ويوجد أكثر من شيخ تكلموا عنها وأحلوها؟

طبعًا، القروض التى من البنوك، ونحن الآن نكلم إخواننا الذين ليسوا فقط فى المملكة، بل فى العالم كله فى أوربا وأمريكا واستراليا وغيرها، ودول المغرب العربى ومصر وغيرها ودول العالم كلها.

البنوك تختلف، ولكنى أقول: إن البنوك التى لديها قروض ليست قروض شرعية وليست مبنية على فتاوى علماء ثقات؛ فلا ينبغى للإنسان أن يتساهل بها، بل ينبغى أن يحرص على ألا يدخل إلى جوفه إلا المال الحلال.

والنبى ﷺ يقول: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**». اللحم الذى ينبت من

المال الحرام النار أولى به كما قال ﷺ.

جزاكم الله خيرًا يا شباب.

وأسأل الله أن ينفعنا بهذه الكلمات، أنتم أيضا أيها الإخوة والأخوات، أيتها القوارير، وأسأله أن ينفعنا وإياكم بما قلنا وأن يجعلنا مقتدين بما ذكرنا من سلف هذه الأمة ونسائها الصالحات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



مريم العذراء

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات.

وأحمد الله تعالى أن جدد هذا اللقاء معكم، وأسأل الله تعالى أن يجعل كلامنا الذى نقوله كلامًا نافعًا مؤثرًا، وألا يذهب أدراج الرياح.

أنا حقيقة واثق -إن شاء الله- فى قدراتكم ومتابعتكم وفى حرصكم على الاستفادة- وأسأل الله ألا يحرمكم عظيم الأجر وجليل الثواب- أرحب بكم من كل قلبى.

وأسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء على حضوركم.

حقيقة لعلنا نتكلم عن أمر يحرك القلوب، تكلمنا كثيرًا عن العلاقات الاجتماعية: عن الزواج، عن تربية الأولاد، تكلمنا عن بذل بعض الناس من النساء مثلًا فى مسائل الجهاد، والصدقات... إلخ.

مررنا على سيرة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، وعلى سيرة زينب بنت رسول الله ﷺ، تكلمنا عن سيرة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكيف أنها تزوجت عبد الله بن أبى بكر ثم عمر... إلخ.

وهنا سنتكلم عن امرأة ليست من أمة محمد ﷺ، هذه المرأة حدثت لها حادثة عجيبة مع ولدها ولا تزال إلى اليوم تذكر، ويعرفها الناس من جميع الأديان وهى مذكورة قصتها فى الإنجيل ثم فى القرآن، ولها أعاجيب فيما يتعلق بقصتها.

تعالوا نتكلم الآن عن مريم ابنة عمران، التى قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[التحريم: ١٢]. امرأة عفيفة ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾، من القانتين؛ يعنى: من العابدين، والقنوت هو طول الصلاة.

مريم ابنة عمران أمها كانت صالحة أيضًا وأبوها كان صالحًا، وزوج خالتها زكريا كان صالحًا، إذن البيت الذى كانت أصلا فيه كان بيت صلاح.

فلما حملت فيها أمها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران: ٣٥]. فكانوا فى السابق أحيانًا يهبون أولادهم لله، كما أن أم أنس بن مالك جاءت إلى النبى ﷺ وقالت: يا رسول الله هذا أنس بن مالك لك، يخدمك.

أنا متبرعة بهذا الولد لك يخدمك، لن أستفيد منه شيئًا، اجعل الفائدة كلها لك.

كذلك كانوا هم فى السابق كانوا إذا حملت المرأة أو بعد أن تلد تأتى بولدها، وتقول: هذا لخدمة بيت الرب؛ يعنى: المكان الذى يعبد فيه الرب سبحانه وتعالى، الكنيسة أو مكان العبادة، فأم مريم أول ما حملت بها نذرتها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ محررًا؛ يعنى: خالصًا لك لا أريده، منذ أن يولد أضعه عند العباد فى الكنيسة يربونه حتى ينشأ فى الكنيسة ويصبح هو الخادم فى الكنيسة أو العالم أو نحو ذلك. فلما وضعتها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

كانت تتوقع أن تضع ولدًا، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ الله يعلم أنها أنثى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ فقال الله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ ثم قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إذًا هى عبارتها أصلاً ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فأدخل الله تعالى من وسط عبارتها كلامًا من عنده؛ إذا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ ليس من كلامها هى بل من كلام الله تعالى. مثلما قال الله تعالى فى كلام بلقيس لما قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٤-٣٥]. فكلمة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله ليس من كلام بلقيس.

فكلامها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ فأدخل الله تعالى فيه كلامه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أى: صدقت أنهم إذا دخلوا قرية فعلوا ذلك.

المقصود: أن مريم وُلِدت فجعلتها أمها فى المعبد: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ وزكريا زوج خالتها، وكانوا قد ألقوا أقلامهم أيهم يكفل مريم؟

فأقبل جميع العُبَّاد، كل واحد يريد أن يعتنى بها، فجاءوا إلى ماء وألقوا أقلامهم فى هذا الماء، فمن بقى قلمه ولم يغرق فهو الذى يكفلها.

فأتوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] فألقوا أقلامهم، فبدأ هذا القلم يتشبع بالماء ويغرق والآخر يغرق، حتى بقى قلم زكريا. قال الله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ كلهم يتمنون كفالتها والعناية بها طلبًا للأجر.

وذلك قبل أن يحرف الدين؛ كانوا هم على دين موسى عليه السلام؛ لأن موسى هو الذى بُعث بعده عيسى، فلما بُعث عيسى ظهرت المسيحية (النصرانية)، وإلا فمن قبلهم كانوا على دين موسى، وكلها ديانة واحدة عمومًا هي الإسلام.

كلها شرائع متحدة فى أصولها ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢]؛ لكن يختلفون فى بعض الطرق الفروع العبادية مثل كيفية الصلاة والصوم، بعض الأشياء الحلال الحرام... إلخ.

المقصود: أن زكريا كفلها، ثم وبدأ يرى لمريم كرامات ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

فكأنه قال: أنا المسئول عن إحضار الطعام لكِ فمن الذى أحضر لكِ الطعام ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

فلما رأى زكريا أنها تأتيها فاكهة الشتاء فى وقت الصيف وفاكهة الصيف تأتيها فى وقت الشتاء، وأنها يأتيها الطعام من غير سبب ظاهر، فهو لم ير ملائكة ولم ير شيئًا؛ وكلما دخل وجد طعامًا؛ قال: يا مريم كيف جاءك هذا؟ فكانت تقول: رزقنى الله بدون أن أبذل أسبابًا.

وكان زكريا – عليه السلام – قد وصل عمره إلى مائة سنة ولم يرزق بأولاد، وكان يدعو دائمًا ولم يرزق بأولاد، والمشكلة ليست عنده فقط، فهو قد كبرت سنه ورق عظمه وشاب رأسه وعظم همه وكربه، وزوجته أيضًا عاقر، وزوجته عمرها تسعون سنة وعاقر.

اجتمع عليها الأمران؛ فلو كانت فى العشرين فلا يمكن أن تحمل لأنها عاقر، فكيف وعمرها تسعون؟!



لكن زكريا عندما رأى مريم يأتيها الطعام قال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

قال الله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ يا ربي يا من ترزقها من غير أسباب مباشرة هكذا ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾، تأثرًا بمريم، قال الله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ معجزة ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

أنت تريده تقيًا صالحًا، فالله جعله نبيًا، قال الله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾، واستمرت مريم على هذا الحال، وفي يوم من الأيام بعدما كبرت قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ لأجل أن تقضي حاجتها؛ خرجت من المعبد. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.

لماذا اتخذت حجابًا؟

حتى تستر وتقضي حاجتها، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[مريم: ١٧] ، الذي هو جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[مريم: ١٧] ، المرأة مختفية تقضي حاجتها، طبعًا هي إلى الآن لم تكشف عورتها؛ لكن عندما اتخذت الحجاب وجهزت المكان لقضاء الحاجة، فإذا برجل أمامها!

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[مريم: ١٨] ، أي: إذا كنت أنت تقيًا فاقبل استعاذتي بالرحمن واذهب، وهذا ليس معناه: إن كنت فاجرًا فلا أعوذ بالرحمن منك. مثلما تقول أنت لإنسان: إن كنت تخاف الله مثلاً فقم افعل كذا وكذا، فليس هذا معناه: إذا كنت لا تخاف الله لا تفعل.

لكن تذكره بالله، فهي تقول له: أنت اتق الله في، تقول: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾، الآن هي خافت من خلوتها برجل، فإذا هو يأتيها بشيء أعظم ويخبرها بأنك ستحملين الآن.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾[مريم: ٢٠] ، أنا امرأة لست بغيًا وأنا نشأت وتربيت في معبد؛ فحتى الرجال لا أراهم، إلا زوج خالتي يأتيني

بالطعام ويكفلنى؛ إذًا كيف يأتينى أولاد، ولم يمسسنى بشر ولم أكن بغيًا؟

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [مريم: ٢١] نريد أن نجعله آية أى: معجزة للناس ورحمة من الله للناس أيضًا لأنه سيبعث نبيًا ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾.

انتهى الموضوع فلا نقاش سواء تقولين: موافقة أو غير موافقة فأنا لم أحضر لآخذ رأيك فى الموضوع أنا نازل بأمر أنفذه وأصعد للسماء مرة ثانية، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ يعنى، انتهى الموضوع، مثلما يناقشك ولدك يا أبى أريد أن أذهب، فتقول له: لا، يا ولدى انتهى الموضوع.

فهو يقول: دعينا من مسألة (لم يمسسنى بشر، لم أكن بغيًا) انتهى الموضوع ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾، قال الله: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ فحملته. نفخ جبريل فى جيب درعها، جيب درعها هذا قيل: نفخ جبريل فى صدرها، وقيل: نفخ فى كمها، كما ذكرها المفسرون، كما قال الله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، وروحنا أى: جبريل، جبريل اسمه الروح مثلما قال الله تعالى فى سورة القدر: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر: ٤].

فحملت فى عيسى، كم استمرت حامل بعيسى؟! تسعة أشهر، حمل طبيعى، وبعض الناس يفهم أنها حملت وذهبت لتلد مباشرة.

كيف لم يظهر عليها الحمل؟! كيف لم يبن؟

لم يتبين للناس أنها حامل لعدة أسباب:

أولاً: المرأة التى تحمل أول مرة لا يتبين عليها أوائل حملها ويمكن ألا يتبين عليها إلا فى الثامن، وهذا بالنسبة لمن تحمل أول مرة بخلاف المرأة التى حملت عدة مرات.

ثانيًا: أنها كانت جالسة فى المعبد أساسًا ولم تكن تلبس لباسًا ضيقًا أمام الناس؛ فطبيعتها فى المعبد وطبيعة لبسها أنه لباس فضفاض وواسع.

فمرت تسعة أشهر وهى تتعبد ولم تستطع أن تخبر أحدًا أنها حامل، فهى لا تبحث عن مشاكل، فسكتت.

قال الله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ [مريم: ٢٢-٢٣]،

أحست بالولادة فى المعبد فخرجت إلى جذع النخلة، نخلة ولها جذع، فلما جلست تحت الجذع وبدأت الولادة قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾، يا ليتنى مت قبل أن تأتى هذه المشكلة التى بين يدى.

متى قالت: يا ليتنى مت قبل هذا؟ هل قالتها أثناء ألم الطلق والولادة، أم قالتها بعدما خرج الولد؟

بعدما خرج.

بعض النساء تستدل على قوة ألم الطلق: وتقول يا أخى مريم قالت: يا ليتنى مت قبل هذا، اعتقادًا بأنها قالت هكذا على الألم.

لكن فى الحقيقة هى لم تقل هذا من أجل الألم؛ بل هى عندها مشكلة أكبر من الألم، وهى أنه جاءها ولد من غير زوج، فماذا تفعل الآن؟ فلما وضعته قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾، قال الله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾، فى قراءة (مَن تحتَها) الذى هو عيسى: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾، أنطقه الله ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾﴾، والسرى هو النهر الصغير، ليس عيسى، أجرى الله فى نفس الوقت نبع نهر وجرى بين يديها ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾[مريم: ٢٥-٢٦]، أريحى نفسك فنحن سنحل الموضوع.

هنا عدة فوائد من ضمنها:

- أن الله سبحانه وتعالى قادر أن يسقط الرطب من غير أن تهز الجذع، وأيضًا لاحظ أنه جذع نخلة، فالشجرة مثلاً تستطيع أن تهزها وحدك، لكن جذع النخلة ربما يحتاج إلى عشرة رجال حتى يستطيعوا أن يهزوه.
- الرطب عادة يكون شديدًا لا يسقط بالهز، لكن الله تعالى أراد أن تفعل سببًا مثلما قال الشاعر:

ألم تر أن الله قال لمريم	**وهزّى إليك الجذع يساقط الرّطب**
ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها	**جنته ولكن كلّ شيء له سبب**

نستطيع أن ننزل عليك رطبًا؛ لكن اعملى، فأنطق الله تعالى عيسى، فعيسى أعطاها توجيهات: قال: كلى واشربى.

لماذا اختار الله تعالى لها نخلة رطب مع أن فلسطين التى ولد عيسى بها أكثر ما فيها شجر الزيتون وشجر التين وفلسطين لم تشتهر بالنخل؟

لأن التمر والرطب عمومًا فيه أول سكر الجلوكوز وهذا فيه ميزة أنه قادر على شد العضلات، فعضلات الرحم عندما انفتحت وولدت تحتاج إلى شدها مرة ثانية كى تنغلق، فأمرها الله تعالى أن تأكل الرطب وتشرب من الماء حتى يتحلل السكر بسرعة ويدخل فى العروق مباشرة فتنغلق العضلات.

مع أن الله قادر على أن يغلق الرحم بدون رطب ومن غير شىء، لكن هى أسباب يجعلها الله عز وجل فى هذه الأمور، فقال لها عيسى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾، صومًا أى سكوتًا.

أخذت الولد ولفته وقامت وهى لا تدرى ما الذى يحدث.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾، يعنى: شيئًا كبيرًا مهولاً، أنت جئت بشىء عظيم، يا أخت هارون، وهى ليس عندها إخوان، فلماذا قالوا: يا أخت هارون؟

كانوا يشبهونها بالنبى هارون – عليه السلام – من شدة العبادة، مثلما تقول: أنت يا أخى تعرف عبد الله؟ أقول: لا أعرفه نقول: رأيت خالدًا؟ يقول: نعم، تقول: عبد الله أخو خالد؛ وأنت تعنى أنه أخوه فى الأخلاق وفى الطريقة بمعنى مشابه له.

فهم يقولون: أنت العابدة الزاهدة عندنا وتأتيننا بولد من غير زوج ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾، وهى ساكتة وحاملة الولد.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾، فأنطقه الله ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ما قال: إنى ابن الله، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾، ما قال: وجعلنى إلهًا بل قال: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾، هذه ميزاتك من ناحية النبوة، وفى الأرض ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾.

وعلاقتك بأمك ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾، ثم سكت عيسى.

بعض الناس يقول: إن عيسى بدأ يتكلم وعمره شهر أو شهران أو ثلاثة فهو منذ

المهد استقام لسانه، وهذا ليس بصواب فهو تكلم فى هذه الفترة فقط، تكلم ثلاث أو أربع جمل فقط، تكلم لأجل أن يفك الأزمة، ويحل المشكلة لأمه، ذكر هذا الكلام وسكت وظل يعيش مثل بقية الأطفال بعد ذلك.

فلما وصل إلى سن معين نزلت عليه النبوة، ثم بعد ذلك لما وصل عمره إلى ثلاث وثلاثين سنة رفعه الله تعالى.

بالنسبة للتعبد الآن تجد نساء المسلمين فى الدول العربية أو فى دول الخليج يتعذرن بأشغال البيت وأشغال المطبخ، ويهملن مراقبة الأولاد فى الصلاة والتعبد، والمفروض أن يقتدين بمريم.

فعلاً مريم قدوة، والحقيقة: أن المرأة تحتاج دائمًا إلى التعبد، فرب العالمين عندما ذكر مريم قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾، ما قال: صلِّى، لكن قال: ﴿ٱقْنُتِى﴾، ونحن ذكرنا أن القنوت هو طول الصلاة؛ فهو ليس بصلاة الثلاث أو الأربع الدقائق ينقرها الإنسان نقر الغراب؛ لا، بل يعطيها وقتها فى السجود والجلوس والركوع ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

فكانت هذه ميزات لمريم فاختارها الله لهذا الشرف أن تكون أم نبى من الأنبياء، وأن تكون معجزة أيضًا فى نفسها، فكونها تلد ولدًا من غير أب فهذا أمر، والأمر الآخر مما جعل مريم تصل إلى هذه المرحلة هو كثرة العبادة؛ قال ذلك الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ لأنه قال: ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ قانتة عابدة، والله سبحانه وتعالى ضرب بمريم مثلاً لنا جميعًا فى آخر سورة التحريم قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم:١١]، ثم قال فى الآية التى بعدها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴾.

لاحظ فى الآية قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، فمريم مضروبة مثلاً لنا نحن للرجال والنساء، لا النساء فقط.

وهذا من شرف المرأة يا جماعة، أن الله يقول لنا ونحن رجال: اقتدوا بمريم، اقتدوا

بها فى عبادتها، اقتدوا بها فى إحصانها لفرجها ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، امرأة عفيفة وهذا يدلك على عظم منزلة العفة عند النساء.

وبعض النساء يشترطن أننا ما دمنا نتكلم عن العبادة أن تكون عبادتهن كالصلاة مثلاً فى المساجد وإن كن فى مكة أن يكن فى المسجد الحرام، فهل العبادة فقط الصلاة، أليست طاعة المرأة لزوجها، وإتقانها لعملها فى بيتها، وتربيتها لأبنائها كلها عبادة؟

العبادة ليست فقط مسألة صلاة أو صوم، العبادة لها مفهوم أوسع من هذا بكثير، تبسمها فى وجه زوجها ووجه أولادها وفى وجه الناس عبادة، كثرة ذكرها لله عبادة.

بعضهن تقول: أنا ليس عندى وقت أتعبد، نقول: ليس عندك وقت أن تكثرى من الذكر؟ فكم من الوقت يضيع منك أمام التليفزيون، أمام الإنترنت، أمام الاتصالات الهاتفية... إلخ؟

كم من الأوقات تضيع فى (الشات) وغيره، وربما شاشات القنوات وغيرها؟

لو أن المرأة أحسنت طريقة التعبد لله سبحانه وتعالى.

حتى زوجات النبى ﷺ كان لهن أعاجيب فى العبادة. ففى «البخارى» من حديث أنس أن النبى ﷺ دخل يومًا إلى المسجد فرأى حبلاً بين عمودين، فقال: **«ما هذا؟»** قالوا: هذه زينب إذا خلا المسجد من الناس فى الليل تدخل وتقيم الليل، فإذا تعبت وصارت رجلاها لا تحملانها تمسكت فى الحبل من شدة العبادة.

فالنبى ﷺ عندما رأى هذا التعبد الذى قد يصل أحيانًا إلى حالة الملل، قال ﷺ: **«اقطعوه ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد»**.

ونحن اليوم لا نقول لإخواننا أو لأخواتنا: أن يضعوا حبالاً، لكن نقول: على الأقل أقم صلواتك الخمسة فى أوقاتها، كن من القانتين من المصلين؛ حتى يفتح لك الله تعالى أبواب الرزق.

ماذا نقول للذى يقول: أنا لسانى ثقيل أثقله الشياطن؛ ولكنى والله أستغفر فى عقلى بكثرة؛ لكنى لا أنطقها بلسانى لثقل لسانى؟

أقول له: إن هذه مشكلة لأن الذكر أفضله أن يشترك اللسان والقلب معًا؛ فيقول الواحد: سبحان الله سبحان الله وقلبه معه.



والثانى: أنه يمكن أن يكون اللسان وحده دون القلب: مثل إنسان يصلح شيئًا فى الكمبيوتر أو يصلح أنوارًا عنده فى البيت أو يصلح السيارة ويقول: أستغفر الله أستغفر الله، دون أن يتفكر فيها، فهذا مأجور أيضًا؛ لكن أجره أقل من الأول.

الثالث: أن يكون الذكر بالقلب وحده دون اللسان فهذا أيضًا يؤجر؛ لكن الأصل أن يجرى الذكر على اللسان، لذلك الذكر عبادة قولية.

نحن عندنا عبادات مالية مثل الصدقات، وعبادات بدنية مثل الصلاة، وعبادات قولية هى الذكر وقراءة القرآن هذه كلها عبادات قولية.

ذكروا أن رياح القيسى خطب امرأة، فسألت عن صلاحه، فقيل لها: إنه رجل صالح، وسأل عنها فقالوا: امرأة صالحة.

يقولون: فدخل بها فى ليلة العرس ثم تناوم – يعنى: يختبرها كيف قيامها لليل– يقولون: فقامت تصلى، رأته نائمًا فقامت تصلى.

يقولون: فمضى ثلث الليل فالتفتت إليه، قالت: يا رياح، قم صل، يقول: فتركها، واستمر فى تناومه، يقولون: فزادت، فلما اقترب الفجر رفعت يديها وقالت: يا رب من غرنى بك يا رياح؟ من لعب على واحتال على وقال: عابد؟ من غرنى بك يا رياح، من غرنى بك؟ سبحان الله، كانوا يستشعرون مثل هذا.

وكلما زادت المرأة تعبدَها لله تعالى؛ صار لها مقام عند رب العالمين؛ ذكر بعضهم أنه أصابهم مطر وكان بجانبهم بيت لامرأة عابدة عندها أيتام يقول: سمعت صوت السقف –وما كانت الأسقف عندهم مثل ما هى عليه الآن: أسمنت... بل كانت من سعف النخل وهكذا– يقول: فسمعت صوت السقف مع الهواء، فسمعتها ترفع يديها وتقول: يا لطيف الطف بنا، يا لطيف الطف بنا، يا لطيف الطف بنا.

قال: فوالله ما كررتها إلا حتى توقف المطر عنا.

انظر يا أخى، إلى العبادات وأثرها، سبحان الله تعالى.

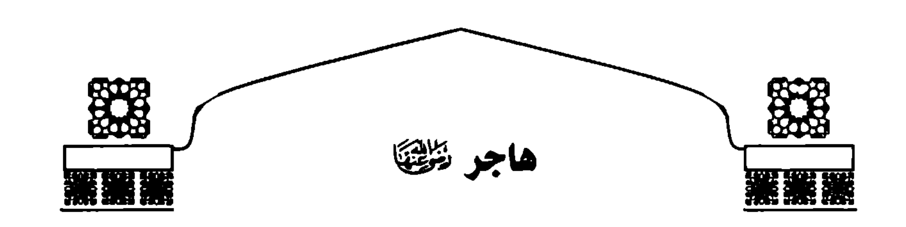
أنا أدعو إخوتى وأخواتى خاصة إلى الاقتداء بهؤلاء الصالحات فى إقامة الصلاة فى أوقاتها والحرص على الذكر وعلى قراءة القرآن، وصدق المحبة لله سبحانه وتعالى وأن تكون محبة الله مقدمة على محبة الفضائيات، مقدمة على محبة الإنترنت، مقدمة على محبة

الغَزَل وعلى محبة المكالمات الهاتفية حتى يوفق الإنسان للخير.

أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



هاجر رضي الله عنها

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات أنا مسرور والله من كل قلبى بتجدد اللقاءات معكم.

وأشعر بنوع من الامتنان لكم على ذلك.

لن نتحدث عن زوجة من زوجات النبى ﷺ بل هى أم من أمهاته، وهى من مصر وولدها هو جدنا هو جد النبى ﷺ ينتهى نسب النبى ﷺ بولدها.

هى هاجر، وهى تتميز بعدة أشياء:

هاجر هى أول من سعى بين الصفا والمروة.

هاجر هى أول من سكن فى الحرم.

هاجر هى أول من شرب من زمزم.

هاجر لها بعد ذلك مميزات فى تربيتها لولدها إسماعيل عندما جاء الشيطان وكان إبراهيم عليه السلام سيذبح ولده.

وقصة الذبح مشهورة، ثم أقبل الشيطان إليها ورمته... إلخ.

وإذا ذهبنا نتكلم عن سيرتها فربما لن ننتهى.

لكنى سأتكلم عن أمر مهم تميزت به هاجر وهو سرعة الاستجابة لأمر الله والاستسلام لأمر الله، سأتكلم عن الاتباع والاستسلام.

تعريف الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.

هذا حفظناه وهو أن الاستسلام لأمر الله يكون بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، أن يكون الإنسان إذا جاءه الأمر من الله سبحانه وتعالى؛ ما عنده فى المسألة قولان ما دام الله تعالى أمرنى معناه سمعًا وطاعة.

انتهى الموضوع، نفذ وأنت ساكت سواءٌ اقتنعت أو لم تقتنع، فعائشة رضي الله عنها جاءت إليها امرأة، فقالت لها: يا عائشة يا أم المؤمنين ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ -تسأل لأنه إذا جاء الحيض فى رمضان فإنها تترك شيئين: الصوم الصلاة. فالمرأة تسأل وتقول: يا أم المؤمنين ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟!

فقالت لها عائشة: أحرورية أنت؟!

الحرورية: هم الخوارج، خوارج عن الدين – قالت: لا والله ولكننى أسأل. فقالت لها عائشة وأعطتها نصًا ودرسًا قالت: قد كان يصيبنا ذلك – تعنى: الحيض- على عهد رسول الله ﷺ فكان يأمرنا بقضاء الصوم ولا يأمرنا بقضاء الصلاة فسكتت.

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى، تريدينى أن أقنعك عقليًا فلن أقنعك عقليًا، هذا أمر أمرنا الله تعالى به وانتهى الموضوع.

وأم سلمة رضي الله عنها كانت ماشطتها تمشطها فى البيت – حيث كانت بيوت النبى ﷺ ملاصقة للمسجد كانت بيوتهم ملاصقة للمسجد وكان المسجد مثلا مستقيم وبيوت النبى ﷺ ملاصقة له ومباشرة، والباب من البيت إلى المسجد مباشرة، ولم يكن هذا حال بيوت النبى ﷺ وحده، بل كذلك بيوت الصحابة أيضًا- فأم سلمة كانت تمشطها ماشطتها فسمعت النبى ﷺ يقول: «أيها الناس أنصتوا أنصتوا»، فكانت أم سلمة تتكلم مع ماشطتها وتتكلم مع النساء اللاتى عندها.

النساء مجتمعات، فلما سمعت النبى ﷺ يقول: «أيها الناس أنصتوا أنصتوا»، سكتت وأسكتت الماشطة فقالت لها الماشطة: لماذا، إنما يكلم الرجال؟!

فقالت: لا، إنما قال: يا أيها الناس وأنا من الناس، ما دام قال: أنصتوا، فوجب أن أسكت.

يا جماعة! شدة الاتباع التى كانت عند الصحابيات؛ ينبغى أن تكون عند الناس جميعًا.

أعود إلى هاجر، هاجر عليها السلام عندما جاء بها إبراهيم عليه السلام مع ولدها إسماعيل جعل معهما جرابًا فيه تمر وسقاءً فيه ماءً – وهى: قربة صغيرة من جلد فيها ماء- جاء بهما من مصر ثم فلسطين ثم جاء بهما إلى وادٍ غير ذى زرع.

أنت الآن لو تذهب إلى مصر، رأيت نهر النيل ورأيت الخضرة، والجو أحسن من مكة أبرد وألطف، ومكة حر شديد، وتذهب إلى فلسطين تجد أيضًا الخضرة والماء وغير ذلك؛ فلم ينقلها إبراهيم عليه السلام من مصر إلى فلسطين، ثم يذهب بها مباشرة إلى الجنوب ويذهب بها إلى مكة ويدخل بها بين جبال؛ فمكة تعرفون أنها بين جبال أصلاً؛ لذلك سماها الله تعالى واديًا؛ والوادى هو المكان المنخفض بين الجبال.

فجاء إبراهيم ووضعها ووضع ولدها إسماعيل، وأعطاهم ظهره، فنظرت فلا أنيس ولا جليس، فقالت: يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا أنا والولد فى البر لوحدنا وما تحتنا إلا الرمل والتراب حتى إنه لا يوجد فيه زرع؟ فسكت ومضى.

قالت: يا إبراهيم ماذا فعلت لتتركنى – لأن إبراهيم عنده زوجة أولى فوقع فى قلبها كيف وأنا زوجتك الثانية ترمينى فى البر ومعى الولد– يا إبراهيم، فسكت.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

فلم يلتفت إبراهيم وقال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا. رجعت وجلست عند ولدها.

شدة الاستسلام لأمر الله، ما قالت: نعم؛ لكن الأكل لا يكفى يا إبراهيم، أو تعال اجلس معنا على الأقل يومين أو ثلاثة حتى نأنس؛ لكن ما دام أن الله أمرك إذن انتهى الموضوع، إذن لن يضيعنا.

وإبراهيم – عليه السلام – اختبأ وراء ثنية من الثنايا – هضبة– ورفع يديه وقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

الطلب الأول: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

والثانى: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يا ربى أريد أن يكون معهم ناس وعندهم طعام حتى يطمئنوا.

سؤال: هل كان البيت (الكعبة) مبنيًا عندما وضع إبراهيم ولده وزوجته؟!

الجواب: البيت لم يكن مبنيًا، فكيف قال إبراهيم: عند بيتك المحرم، ولم يكن فيه بيت؟ قال ذلك لأن القواعد كانت موجودة.

قواعد البيت الحرام أول من بناه هم الملائكة، ثم انهدم فبناه بعض أولاد آدم ثم

انهدم، فبناه إبراهيم عليه السلام؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ما قال: يبنى البيت، لا هو حضر ووجد قواعد فوضع عليها الأحجار ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾.

ومعنى هذا أن الكعبة، كانت موجودة قبل إبراهيم، كانت موجودة فى عهد من كان قبله، فى عهد نوح وغيره وانضمرت بالطوفان؛ لذلك قال جبريل لهاجر: هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، قال هذا لما جاء وحرك الأرض بعقبه أو بجناحه (روايتان) فنبع الماء، قال: هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، بنفس المقاسات التى كانت وضعتها الملائكة.

طبعًا الكعبة الآن ليست كما كانت فى أول مبناها، الحجر أخرجته قريش عندما بنت وقصرت بهم النفقة، وإلا فالحجر أصلاً فى الكعبة، والكعبة كذلك ليس شكلها مربعًا، لكن شكلها يبدو من جهةٍ زوايةً حادة أقل من ٩٠ درجة، ومن جهة قوسًا؛ لذلك عائشة لما طلبت من النبى ﷺ أن تصلى داخل الكعبة، قال: **«صلى فى الحجر فإنه من الكعبة»**.

فالذى يصلى اليوم فى الحجر فكأنما صلى فى الكعبة، لذلك يمكن أن تسأل واحدًا مسألة وتقول له: ما تقول فى رجل تعمد أن يولى الكعبة ظهره وصحت صلاته؟

الجواب: هذا فى الحجر.

أنت الآن إذا دخلت الكعبة وأردت أن تصلى، وأنت داخل الكعبة تتوجه إلى أى جهة، شرقًا غربًا شمالاً، أى حهة وبالتالى فعندما تكون داخل الحجر وتصلى فأنت فى الحقيقة داخل الكعبة، وبالتالى إذا أعطيت الكعبة ظهرك وصليت، فصلاتك صحيحة؛ ولكن لا ننصح ألا يفعلها الواحد أمام الناس حتى لا يضطرب الأمر عليهم وتكون مشكلة.

نعود إلى قصة هاجر.هاجر -عليها السلام- صار لها نوع استسلام مثلما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ما فى أن الواحد يختار، إذا جاء الأمر من الله، فلا يوجد مجال للاختيار.

لا يوجد إلا سمعنا وأطعنا مثلما قال الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾ [النور: ٥١].

فيجب على الإنسان أن يكون هذا هو دأبه، فعائشة قالت: أحرورية أنت؟!، لأن الصحابة الكرام كانوا إذا جاءهم الأمر وأرادوا أن يقترحوا شيئًا فى الدين فقبل أن يقترحوا يتأكدون ويقولون: يا رسول الله ﷺ يمكن أن نقترح أم لا؟

لما جاء النبى ﷺ فى معركة بدر وخرج إلى القتال فجاء ﷺ إلى مكان المعركة وجاء إلى بئر بدر فجعل البئر بينه وبين الكفار ونزل بالجيش فأقبل إليه الحباب بن المنذر، قال: يا رسول الله، هذا الموطن الذى نزلت فيه هل هو أمر من الله تعالى أمرك به فلا نملك إلا السكوت والاتباع، أم هى الحرب والمكيدة؟

فقال ﷺ: «بل هى الحرب والمكيدة»، هذا رأى خاص بى. فقال: يا رسول الله،، هذا المكان لا يصلح، لكن تقدم عن البئر فيكون البئر وراءنا، فإذا صار البئر وراءنا نحن إذا عطشنا أثناء القتال نشرب؛ لأن البئر خلفنا، أما هم إذا عطشوا أثناء القتال فلا يستطيعون أن يشربوا؛ لأنه حتى يصلوا إلى البئر فلا بد أن يشق الجيش جيشنا ويشرب، وبالتالى لا يستطيع أن يشق الجيش فيبقوا عطشى، وبالتالى يتعبون أثناء القتال.

فقال ﷺ: «نعم الرأى»، ثم تقدم.

انظر إلى شدة الاتباع.

الآن ليست القضية عند الصحابة فقط أن يعرفوا الحكم الشرعى، القضية أنه إذا جاء الأمر من الله سبحانه وتعالى أو من الرسول ﷺ مثلما قال الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فلا يوجد اختيار، مسألة الحكمة والاقتناع بالحكم الشرعى أطبقه أم لا؟ عند العجز عن تطبيق الحكم الشرعى، كيف يكون التعامل معه؟

الإسلام هو الاستسلام لله، يكون الإنسان كالميت بين يدى مغسله يقلبه كما يشاء وهو يغسله، ومثل المريض الذى الطبيب فتح بطنه ويشتغل فى عملية معينة، لا يوجد عنده اقتراح، يقول: يا دكتور المصران اعمله كذا وكذا.

لا اقتراحات ولا مناقشات أنت مريض وأنا طبيبك.

وبالنسبة لمسألة الاتباع، يوجد بعض الأشخاص عندما يعملون بحكم معين أو

يسمعون حديثًا ما، فيه افعل كذا ولا تفعل كذا أو يحرم كذا، يقول: ما الحكمة؟ مثلاً لماذا لا يلبس الرجال الذهب، ويحاول أن يبحث عن الحكمة، بالرغم من أن رئيسه فى العمل إذا أمره بأمر نفذه دون نقاش، بينما مع ربه لا بد أن يعرف الحكمة، سبحان الله!

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[الذاريات: ٥٦]** نحن عبيد لله سبحانه وتعالى، فالانقياد واجب علينا، لو قال: لماذا صلاة الظهر أربع ركعات والفجر ركعتان؟ نقول: نحن عبيد لله سبحانه وتعالى.

لو للإنسان خادم عنده وقال له: أعطنى قهوة، وقال الخادم: لا اشرب الشاى.

يقول له السيد: أنا أريد قهوة، فالخادم ينفذ ما يريده السيد، فما بالك ونحن عبيد؟

طبعًا الإنسان إذا أقر بالعبودية لله فالأصل أنه ينفذ الأمر سواء عرف الحكمة أو لم يعرف.

الأمر الثانى: نحن نعلم أن الله تعالى ما أمر بشىء إلا لحكمة ولا نهى عن شىء إلا لحكمة، مثلما قال الله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ **[المؤمنون: ١١٥]** نحن نعبث ونحن نخلقكم؟!!

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **[الدخان: ٣٨]** نحن ما خلقناهم إلا بالحق، مثل ما جاء فى سورة الأنبياء.

أولًا: الأصل إذا جاء الأمر ينفذ سواءً اقتنعنا أم لم نقتنع.

والأمر الثانى: أن نقتنع تمامًا أن الله لا يأمر بشىء إلا لحكمة، قال: الخنزير حرام لحكمة عرفناها أم لم نعرفها، قال: الخمر حرام لحكمة عرفناها أم لم نعرفها، قال: صلى الظهر أربع ركعات فهذا له حكمة قد يعرفها من بعدنا.

مثلما يظهر الآن فى الإعجاز العلمى، لماذا قال: الخمر حرام وإذا سقطت الذبابة فى الإناء فاغمسها؟

نقول: اكتشفوا أن فى إحدى جناحيها ميكروبًا وفى الثانى مضادًا له.

لماذا حرم الزواج من أختك من الرضاعة؟

نقول: اكتشف أن الحليب فى خلال السنتين الأولين من حياة الإنسان يؤثر فى تكوينه الفسيولوجى والنفسى وغير ذلك؛ فيكون مؤثرًا إذا تزوج من أخته فى الرضاعة

تظهر أمراض وراثية.

وليس هذا تضييقًا على العباد، فإذا كان الله عز وجل يريد أن يضيق هكذا لكان قال: حرام شرب الماء البارد، حرام أن تأكلوا اللحم مشويًا كلوه فقط مسلوقًا بالماء، حرام أن تعصروا الفواكه كلوها هكذا برتقالاً، أو: المانجو حرام أن تعصر.

الله تعالى لا يقصد إتعاب عباده والتضييق عليهم.

لذلك الأصل أنه إذا قال لك إنسان: ما الحكمة؟ قل له: لا يلزم أن تعرف الحكمة، بدليل، أنك إذا كان عندك موظف معين وقلت له: بالله اطبع لى هذه الورقة بالخط الكوفى، فقال: لا سأطبعها بالأندلسى.

فستقول: اطبعها بالكوفى أنا الذى أصرف لك راتبك آخر الشهر والورقة هذه تخصنى.

قال: لا أنا غير مقتنع سأطبعها بالأندلسى، تقول له: طيب هذه حقوقك وأنت مفصول من عملك. لو أن عندك خادمًا وقلت له بالله عليك اعملى قهوة وقال الخادم: لا والله أعملك شايًا أو اقنعنى لماذا القهوة؟، تقول له: اذهب وسوف آتى بألف خادم غيرك أيصح أن تأتي نحن ونعامل الله بذلك؟!

تجد الإنسان يقول: اقنعنى أن الزنا الآن حرام، فى السابق كان يمكن، تجده يقول لك: يا أخى الموسيقى لا تؤثر فى قلبى، ولا تشغلنى عن الصلاة.

لا تبدأ تبحث عن الأسباب، فالله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ **[الأحزاب: ٣٦]**. نفذ وأنت ساكت.

يوجد بعض الناس يقولون: نعجز عن بعض الأحكام الشرعية.

هناك بعض الناس خففت عنهم الشريعة؛ كما لو عجز عن الصلاة أو الوقوف فى الصلاة، أو عن الوضوء أو ما أشبه ذلك، الشريعة خففت عنهم لذلك روى فى الصحيحين من حديث عمران بن الحصين أن النبي ﷺ قال: **«صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»**. يعنى: إذا عجز فالشريعة جعلت له مخارج والدين يسر.

حتى فى أكل المحرمات، الله سبحانه وتعالى عندما ذكر المحرمات قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ **[البقرة: ١٧٣]** لو أكل الخنزير وهو مضطر ولم يبغ ولم

يتعد وأكل بقدر ضرورته فلا إثم عليه، وهذا يقيسه بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

مثال على الاضطرار: كنا مرة مسافرين على إحدى الخطوط الأجنبية، فأحد الزملاء كان فى وجبته خنزير، فقال: نحن مضطرون أن نأكله الآن، فقلت له: يا أخى الرحلة كلها خمس ساعات فما الداعى للاضطرار ولأكل الخنزير؟، ونحن لن نهلك إن لم نأكل.

مسألة الاضطرار تكون إذا وصل إلى حد الموت.

وكنت مرة فى (كلايس جير) فى جنوب (نيوزلاندا) كنت أدرس لغة إنجليزية هناك، فخرجت من المعهد ومررت بمطعم يبيع بيتزا، فقلت: أتغدى ثم أعود إلى المنزل، فدخلت وقلت: ما البيتزا التى عندك؟ قال: عندنا كذا وكذا، فقلت له: هات لى خضارًا فقط بدون أى إضافات.

قال: خضارًا فقط؟

قلت: نعم خضارًا فقط.

فأعطانى بيتزا خضار، ووضع فوقها جزرًا وطماطم؛ فجئت وقطعت أول قطعة، وأكلت فشعرت أن فيها قطعًا صغيرة لونها وردى، والعجيب: أن الخنزير له أحد عشر اسمًا عندهم؛ لذلك الذى يسافر الخارج لا بد أن ينتبه ويحفظ الأسماء كلها.

الشاهد: أننى لما شككت أخرجتها ووالله ما أكملتها، وأخذت المنديل مباشرة وأخرجت ما فى فمى وأخذت الطبق وقمت عنه، وقلت له: ما هذه القطع؟ قال: هذه قطع صغيرة، قلت: ما هى؟ قال: خنزير. قلت: أنا أقول لك: لا أريد لحم خنزير.

المقصود: الانتباه والشورع، حتى لو قال أحدهم: ما الحكمة -يعنى: أن هذه القطع الصغيرة لن تقتلك؟ ليست القضية ما الحكمة؟ إنما القضية أن الله تعالى قال: لحم الخنزير محرم. فانتهى الأمر.

قال: صلوا صلاة الفجر قبل طلوع الشمس. فنصلى قبل طلوع الشمس، انتهينا، ليس شرطًا أن يقتنع الإنسان بعقله عندما يريد أن يفعل شيئًا، لأن هذه أصبحت الآن مشكلة، فتجد بعض الناس يقول: اقنعنى عقلاً، أنا ليس عندى استعداد أن أسلمك عقلى، اقنعنى عقلًا بهذا الحكم.

إذا لم تقتنع بالأمر الربانى وبالعبودية لله تعالى، تقنعك النار يوم القيامة – نسأل الله

العافية-.

فلا بد للإنسان أن يتبع مباشرة مثلما كان الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم- يفعلون، يتبع ليس فقط للأمر القرآنى، بل يتبع حتى ما جاء فى السنة.

والنبى ﷺ يقول:يعنى: مثلما قال الله فى وجوب الاتباع، وإلا فهو بشر والله رب سبحانه وتعالى، لكن المقصود لزوم الاتباع.

يخرج لك بعض الناس ويقول:أعطنى دليلاً من القرآن على أن السجائر حرام، أو أن الأغانى حرام؟

بعضهم يقول:الأحاديث هذه من آلاف السنين والزمان اختلف - وهذا لجهلهم بالسنة-.

نحن ابتلينا بأقوام هم يجهلون مصطلح الحديث ويجهلون طرق اكتشاف الحديث الصحيح والضعيف، ثم ترى السنة ليست من آلاف السنين، أول ما كتبت السنة فى عهد عمر بن عبد العزيز كتبها ابن شهاب الزهرى المتوفى فى سنة ستين أو سبعين؛ يعنى: كتبت والصحابة لا زالوا موجودين الذين سمعوها من النبى ﷺمباشرة.

فلما يقول لك واحد:يا أخى النبى ﷺمات من ألف وأربعمائة سنة، ما يدريك أنه قال الحديث؟! نعم، لكن الحديث كتب بعد وفاة النبى ﷺبوقت يسير ثم إنه كتب فى أقوام سمعوه منه مباشرة، فلم تكتب السنة بعد وفاة النبى ﷺبمائتى سنة مثلاً أو ثلاثمائة سنة. بل كُتبت مباشرة، ولو جئت مثلاً إلى مسند الشافعى، أو مسند أبى حنيفة، أو مسند الإمام أحمد أو عند البخارى أو عند مسلم كلهم كانوا فى السنين الأولى، فأما بعضهم فقد أدرك الصحابة كحال ابن شهاب الزهرى وغيره، وأما بعضهم فأدرك من أدرك من الصحابة وروى مباشرة عن فلان من التابعين الذى سمعها من الصحابى.

فتجد من روى عن الحسن البصرى الذى سمعها مثلًا من فلان إن كان قد صح أنه قد سمع أحدًا من الصحابة.

فأنا أقول:الحقيقة ينبغي أن الإنسان إذا جاءه الأمر من الله سبحانه وتعالى أو من الرسول ﷺاتبع.

قال الله تعالى للمرأة:تحجبى، فتتحجب، يوجد فتنة أو لا توجد فتنة، إذا جاء الأمر

الشرعى بتحريم الاختلاط، فلا تقل: نعم. لكن أنا سأختلط وأحافظ على نفسى، ولكن ما دام الشرع جاء انتهينا، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١]. جاء الشرع وقال صل الصلاة فى الوقت الفلانى، نقول سمعنا وأطعنا وهذا هو الأصل.

لذلك لما قال الله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. قال: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ ثم قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

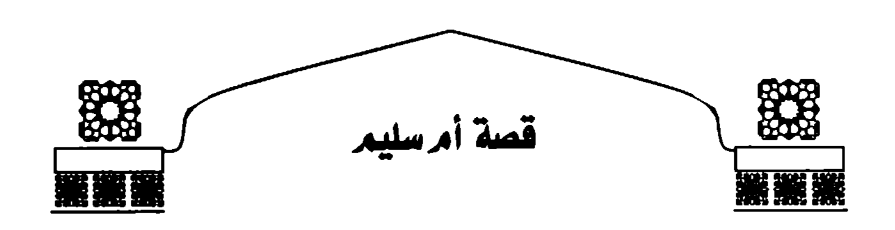
هؤلاء هم الذين يفوزون عند الله، بحرصهم على هذا الاتباع، وإذا وقع الإنسان فى شىء من الريب والمخالفة؛ فليسارع إلى الاستغفار.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يجزيكم خير الجزاء، وأن يجعلنا وإخواننا جميعًا وأخواتنا من أتباع من تكلمنا عنهم من رسول الله ﷺ وممن كان قبله أيضًا، من أتباع هاجر فى شدة اتباعها، أو عائشة أو غيرهن من الصالحين.

أسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد وأشكركم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



قصة أم سليم

أبو طلحة رجل كريم وبطل وزوجته كذلك وهى التى تزوجته من خلال شهادة أن لا إله إلا الله؛ فاجتمع هذان فى بيت واحد.

وأبو طلحة فى الإسلام ولد له ولد اسمه أبو عمير، وله مع النبى عليه السلام قصة حيث كان لأبى عمير طير صغير اسمه النغير ومات الطير وكان النبى عليه السلام يمر به ويقول له: «**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**» فيقول: مات يا رسول الله ويضحك النبى عليه الصلاة والسلام.

وكان أبو طلحة يحبه حبًّا عظيمًا ولم يرزق منها إلا بهذا الولد فتعلق قلبه به؛ ومرض أبو عمير واشتد مرضه وحزن أبو طلحة، ثم قام إلى النبى عليه السلام لعمل له.

وبقيت هى عند ولدها، فإذا به يحتضر ويموت بين يديها وليس عندها إلا أنس وهذا الولد.

وليس عندها من أبى طلحة إلا هذا الولد فقط.

ولما حصل ذلك؛ صاح من فى البيت فالتفتت إليهم وقالت: من أرادت أن تبكى فلتخرج الآن.

وإذا جاء أبو طلحة فلا تخبروه بموت ولده ودعونى أخبره بما حصل.

لقد كان عندها قدرة على تغليب عقلها على عاطفتها أكثر من الرجال الذين لا يستطيعون ذلك الآن.

مات ولدها ولكنها مضت إلى المطبخ وصنعت العشاء لزوجها ومشطت شعرها وتطيبت ولبست لباسًا حسنًا، وجاء أبو طلحة فأراد أن يتوجه إلى الولد فقالت له: دعه. فقال: كيف هو؟ قالت: هو أسكن ما كان.

وقصدها بكلمة (ساكن) أنه ميت فظن هو أنه نام فأكل طعامه وجلس مع زوجته حتى أتى منها ما يأتى الرجل من أهله.

علمًا بأن ولدها ميت، وهذا كله من الإيمان بالقضاء والقدر، وهنا يقول مؤلف كتاب (العادات السبع) وهو من أشهر الكتب التى ألفت لأربعين لغة يقول: لو عرفت عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين لما ألفت كتابى ولكنت قلت للناس: اقرءوا القضاء والقدر عند المسلمين؛ لأن الكتاب كله يتكلم عن تحمل الهموم وكيف تستطيع إذا فاتك شىء أن تتحمل فواته عنك.

نعود إلى حديثنا: أصاب من المرأة زوجها فلما ارتاح، قالت له: يا أبا طلحة ألا يعجبك أمر جيراننا؟

قال: ما بالهم؟

فقال: استعاروا عارية من جيرانهم، فلما جاء إليهم أصحاب العارية أبوا أن يعطوهم عاريتهم.

فقال: ما لهم حق بهذا الفعل.

فقالت: احتسب ولدك عند الله تعالى.

فولدك كان عارية عندك وقد استرده الله منك. فقال: سبحان الله تركتنى حتى إذا تلطخت بما تلطخت به تخبرينى.

فقال: لا تغلبينى على الصبر سوف أصبر أكثر من صبرك؟

فقالت: قم وأصلح من حال ولدك، فقام أبو طلحة وغسل ولده مع زوجته، فجاء أبو طلحة مع ولده إلى النبى عليه السلام ليصلى عليه، وانتهوا من الصلاة؛ فجعل أبو طلحة يحدث رسول الله بما فعلت أم طلحة. فقال عليه السلام: **«اللهم بارك لهما فى ليلتهما»**.

يقولون: فولدت ولدًا اسمه عبد الله، ولقد رزق عبد الله بعشرة من الولد كلهم حفظوا القرآن الكريم وكانوا من قراء المدينة.

لم يبارك الله بالولد الذى دعا له فقط بل بالأولاد أيضًا.

منصور: هناك مشكلة تحدث عندنا أنه أحيانًا يتصل بك شخص ليخبرك عن موت أحدهم فيقول لك مباشرة: فلان مات دون تمهيد، فهنا أحيانًا قد يصاب الإنسان بمرض أو حالة نفسية من خلال هذه المفاجأة فى نقل الخبر؟

محمد: أحسنت؛ فهذا سؤال مهم، فطريقة إبلاغ الخبر إلى الآخر عند الموت أو عند المصائب كسرقة سيارة أوموت أحدهم وهو عزيز عليك لا بد أن يتبع التخفيف فى إبلاغ هذه المصيبة للآخرين، وقد يحدث هذا أحيانًا مع الشرطة فيتصل ويقول: هذا بيت فلان؟

فيقول: مات فلان فتعالوا وخذوا جثته من عندنا، وهنا قد يقع من يستمع إلى الخبر بحالة نفسية عظيمة فلا بد أن نتعلم من أم سليم.

أبو فيصل: من وجهة نظرى يا دكتور، أن أم سليم لا بد أن تكون قدوة لنساء المسلمين ونحن الآن نرى مشكلة فى إخبار المرأة بموت عزيز عليها والقصة بخلاف الواقع.

محمد: هذا كلام صحيح، وهذه قصة ليست فقط للنساء بل للرجال، وأنا اليوم لا أتكلم عن الرجال؛ لكننى أتكلم عن امرأة هى خير من آلاف الرجال.

والنبى عليه السلام يقول فى حق أم سليم: «سمعت خشفة فى الجنة فإذا هى أم سليم تمشى فى الجنة».

لقد بشرها بالجنة وهى حية، بالله عليكم كم من الصحابة مات دون أن يبشر بالجنة، فالمسألة كما قال الشاعر:

فليس التأنيث لاسم الشمس عيبًا ولا التذكير مدح للهلال

فالمسألة ليست أنها أنثى أو ذكر؛ **فالله تعالى قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] أيًا كان أنثى أو امرأة ماذا عندك يا حمد؟**

حمد: الدعوة غير مقتصرة على الرجال بل هنالك نساء لهن أعمال أفضل من الرجال؟

محمد: صحيح بل أكثر من ذلك. انظر إلى شدة تأثيرها فى زوجها فالآن يتصل كثير من الأخوات بى ويرسلون لى (إيميلات) يسألوننى فيه أنه هنالك مشاكل مع أزواجهن وهى تسأل عن الطلاق منه.

وهنا أسألها لماذا تفكرين بالطلاق ولا تؤثرين فى زوجك فيغير ما هو عليه؟ وأنا

أعرف مجموعات من الشباب، وبعضهم كان من طلابي في الجامعة تزوج وربما كـان لا يصلي إلا قليلاً، وربما كان مبتلى بتدخين وبالسفر إلى بعض البلدان وشرب الخمر، ولما تزوج لاحظته فإذا به يصلي الفجر ويصلي الجمعة عندي مبكرًا، وفي السابق كـان يـأتي متأخرًا بعدما تبدأ الخطبة.

فأسأله وأقول: الظاهر أن زوجتك ملتزمة؟

فيقول: نعم. وهي تكرمني إكرامًا، أضطر أن أمشي وراءها في الحق.

لهذا أنا أوجه هذا الكلام لكثير من الأخوات فأقول: إن أول شيء لأجل أن تـؤثري في زوجك الذي يشرب الخمر أو لا يصلي أن تكسبيه بأخلاقك وطيبك واحتفائك به.

إضافة إلى الدعاء للزوج بالصلاح؛ فأم سـليم كانـت علاقتهـا بربهـا علاقـة قويـة ولابد أن تنتبه نساؤنا لهذه العلاقة فغالب نـسائنا يتـوجهن نحـو أسـباب الأرض دون أسباب السماء.

يا أختي لماذا لا ترفعين يدك إلى السماء وتدعين لـه ولا تـشعرينه بأنـك نـد وأنـك عدوة له؟

وكوني كما فعلت أم سليم عندما جاءها أبو طلحة فقالت: يـا أبـا طلحـة، والله إنـي فيك راغبة؛ لكنك كافر فحبذا أن تسلم، وإسلامك هو مهري.

وكذلك النساء اليوم لو فعلت بالرجل كما فعلت أم سليم وقالت له: والله إنك عزيز عندي ومكانتك عالية لولا ما فيك من كذا، فإذا تركته فستجدني طائعة لك.

أبو عبد الله: هناك ملاحظة من قصة أم سليم في مسألة تخفيف المصائب التي تنـزل على الزوج.

محمد: أحسنت. مسألة تخفيف المصائب التي تنزل عليه مسألة مهمة فأحيانًا يكـون عنده مشكلة مع رئيسه فيأتي ويشكو رئيسه لزوجته، والأصل: أن الزوجة مع زوجهـا كالجسد الواحد وروحان في جسد واحد فلا بد أن تظهر له أنها تعيـش معـه ولا بـد أن تمتص غضبه وتبعد عنه ما يكدر عليه صفو حياته إن استطاعت، وتفعل كـما فعلـت أم سليم عندما قالت لمن حولها: لا أحد يخبره فأنا سأخبره.

وهنا هل زوجاتنا عندهن مثل هذا الكلام من خلال تهدئة مـا يـشعر بـه الـزوج؟

للأسف هناك كثير من النساء يفتقدن مثل هذا الأمر، وهـذا يعـود إلى تطـوير الـذات، وسيكون لنا حلقة فى تطوير الذات تتعلم المرأة من خلاله تطوير فهمها وذاتها وطريقـة تعاملها.

وهنا وقفة صغيرة سأقف معها وهى نقطة مهمة وهى:

أن أم سليم عندما جاءت بولدها إلى النبى عليه السلام وقالت: هذا أنس بن مالك يخدمك بماذا توحى إليكم هذه النقطة من العبر؟

أم سليم عندما رأت النبى عليه السلام قادمًا، وكل واحد من الصحابة يقدم شـيئًا للإسلام، فأبو أيوب الأنصارى يقول: يا رسول الله انزل فى بيتى، وآخـر مـن الأنـصار قال: يا رسول الله، ابنوا المسجد فى أرضى، ثم اشتراها النبى عليه السلام.

ففكرت أم سليم ماذا يمكن لى أن أقدم للإسلام؟

فقالت: ولدى أجعله خادمًا للنبى عليه السلام وعمره تسع سنوات.

ولو أن كل امرأة قالت: ماذا أستطيع أن أقدم للإسلام لكانت النساء بخير.

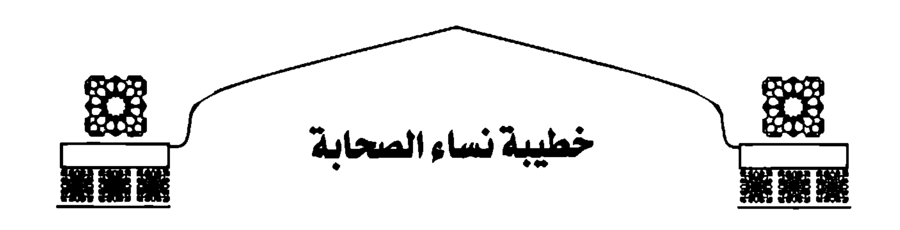
فهذه مثلاً تقول: لدى أيتام بجانبى سأهتم بتعليمهم احتسابًا لله تعالى، ورجل قال: مسجدنا فرشه متسخ سأستأذن الإمام وآتى أنا وزوجتى لننظف المسجد.

هى بصمة للإسلام؛ فأنا لا أستطيع أن آتى بشركة تنظـف المـسجد عـلى حـسابى؛ لكننى أستطيع أن أفعل ذلك مع عائلتى؛ فافعله لله تعالى.

وأيضًا شخص ثالـث جـاء ووجـد أن المـسجد أو الأيتـام أو الفقـراء بحاجـة لـه فأحضره لهم فهذا قدم الإسلام شيئًا.

فإذا فعلنا مثل ما فعلت أم سليم بقدر ما تستطيع من خدمة الإسـلام؛ فلـن تبقـى الأمة على حالها، لكن سيصبح لدينا ملايين الناس من المسلمين كل واحد له بصمات فى الإسلام.

* * *



خطيبة نساء الصحابة

اليوم لن أتكلم عن صحابية برزت فى العلم أو العبادة أو الجهاد، إنما سأتكلم عن طبيبة من الصحابيات، وهذه الصحابية اشتهرت بالطب وكانت تعالج الناس وهى معروفة اسمها: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس.

دخل النبى يومًا على حفصة وكان عليه السلام قد أخبر حفصة بكلام فأخبرت به، وكما تعلمون أن الزوج أحيانًا يخبر الزوجة بشىء فتتكلم الزوجة بهذا الكلام فيغضب الزوج، ويقول: «لماذا أخبرتهم وأنا نبهت عليك أن لا تخبريهم؟»

فوجد النبى عليه السلام فى نفسه عليها؛ لأنها أخبرت بسره؛ فدخل النبى يومًا على حفصة، فرأى عندها الشفاء بنت عبد الله فقال: «من هذه؟» قالوا: هذه الشفاء بنت عبدالله فقال عليه السلام: «يا شفاء أفلا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة؟»

ما رقية النملة؟ لقد كان عند العرب رُقًا فى الجاهلية مشهورة منها: أنهم إذا قرص أحدهم من قبل النملة كان يقرب القرصة إلى فيه ثم يقول:

العروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شىء تفتعل غير أن لا تعصى الرجل.

فالنبى يقول لها: علميها واجعليها تكرر قولك، لا تعصى الرجل، وأراد النبى عليه السلام أن يعلم حفصة ألا تتكلم بما أخبرها به مع النساء الأخريات حتى لا تفشى السر.

والشفاء رضي الله عنها كانت مشهورة بالرقية وهو نوع من الطب، كما نعلم الرقية الشرعية فى واقعنا؛ لهذا فإن بعض الأطباء النفسيين ربما يأتيه المريض فلا يعطيه دواء، إنما يجلس معه جلسات نفسية فيجلس معه مدة ساعتين يتكلم معه ثم يشفى بعد جلسات، وهو لم يعطه دواء إنما هى أشياء نفسية ناقشه فيها.

والرقية لا تبعد عن ذلك؛ فهو كلام نافع من كلام الله تعالى ومن كلام رسوله عليه السلام وهى أدعية شرعية يستطيع الإنسان أن ينفع الناس بها بإذن الله تعالى كما قال عليه السلام: «اعرضوا علىَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا».

فكان عندهم فى الجاهلية رقًا ومن ضمنها رقية النملة التى ذكرتها ولما قالوا: يا رسول الله، رقانا ما نأتى منها وما نذر؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «اعرضوا علىَّ رقاكم» فأقر ما فيها من موافقة للدين، وأنكر غيرها كالتى فيها مناداةً للجن أو اللات والعزى ونحوها.

وكانوا يعتقدون أن الرقى نافعة كما نعتقد فى الإسلام أن الرقية نافعة بكتاب الله تعالى، ومن ذلك ما رواه البخارى أن أبا سعيد الخدرى ﷺ سافر مرة مع بعض الصحابة فمروا بحى من أحياء العرب لم يكونوا مسلمين ولما مروا بهم أقبل الصحابة على هؤلاء فاستقروهم فلم يقروهم – أى: طلبوا منهم قرى الضيف؛ لكن ما معنى قرى الضيف؟

قرى الضيف: هو الطعام الذى يوضع للضيف كما وضعنا لكم عصيرًا وفاكهة، فهذا من القرى للضيف كما قال الشاعر:

أحادث ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر ... ولكن وجه الأكرمين خصيب

فالشاعر يقول: ليست الضيافة بأن أكثر من الطعام للضيف، إنما الإكرام يكون بالترحاب والوجه المبتسم والرحابة فى الكلام.

المهم: أنهم استقروهم فلم يقروهم ولم يعطوهم شيئًا فلدغ سيد القوم بعقرب أو ثعبان، فأقبل القوم وقالوا: إن سيد القوم لديغ أفيكم من راقٍ؟

كانوا يعتقدون بالرقى – والشفاء بنت عبد الله التى نتحدث عنها كان عندها رقية – فقال أبو سعيد: أنا أرقيه؛ لكن والله لا أرقيه لكم إلا بقطيع من غنم فقالوا: لا مانع.

فأقبل وجلس عنده وأخذ يقرأ الفاتحة ويكررها وينفث عليه، ولما انتهى من قراءة الفاتحة عليه سبعًا؛ قفز الرجل ليس فيه بأس، فأخذوا المال، وعادوا إلى النبى عليه السلام وفى نفس أبى سعيد شىء فجاء إلى رسول الله وقص عليه ما جرى معهم فقال عليه السلام: **«إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله تعالى»**.

والمقصود من هذا: أن الشفاء ﷺ كانت ترقى الناس وتنفعهم طبعًا.

أبو مروان: بعض الناس لديهم مفهوم خاطئ فى قضية الرقية فمثلاً نراهم يعتمدون

اعتمادًا كليًا على القراءة، ويتجنبون الطبيب والمستشفى، وبعضهم يعكس الصورة هذه وأنا أرى أن الجمع بين الطرفين أفضل فما رأيك بهذا الفعل؟

د. محمد: أحسنت، الطب ينقسم إلى قمسين: فهناك الطب الشرعى وهو ما يكون بالرقية وهو نافع بإذن الله تعالى، وهناك طب آخر وهو الطب الدنيوى.

ولا مانع أن يجمع بين الأمرين والأولى أن يبدأ بالدعاء، ولا مانع أيضًا وأنا أذهب بالسيارة إلى الطبيب أن أرقى نفسى ثم أذهب إلى الطبيب، والنبى عليه السلام يقول: **«فليضع يده على الذى يألم من جسده وليقل: باسم الله»** -ثلاث مرات- **«أعوذ بقوة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»** يقولها سبع مرات فإنه يذهب ما به.

فلا مانع من ترديد الذكر عن الذهاب إلى الطبيب للرقية.

عمر: مما ذكرته أنه لا بأس على من أخذ الأجرة على القراءة فبعض الناس يقول: إن كان الراقى ممن يأخذ المال على الرقية فلا تذهب إليه؟

د. محمد: أخذ المال على الرقية ورد عن النبى عليه السلام لكن أبا سعيد الخدرى ﷺ أخذه لسبب وهو أنهم قوم بخلاء ولا يستحقون الخدمة ولديهم مال، وكأنه رد عليهم للاعتبار؛ لكن لا يمنع أخذ الأجرة على القراءة؛ لأنه نوع من الطب فلما أرقى أحدًا يجوز لى أن آخذ المال، وإن كان الأفضل عدم الإشقاق على الناس؛ فقد يأتى أحدهم فقيرًا لا يجد ما يقدمه؛ فلا بد من مراعاة أحوال الناس فى هذا.

ولا يشترط أن تذهب إلى متخصص بالقراءة فقد تذهب إلى إمام مسجدكم وقد تقرأ على أمك وعلى نفسك؛ فالقراءة حقيقتها الدعاء، والدعاء إذا كان من قلب محب وقلب صافٍ فلا يمنع أن ترقى أنت، ولعل الله تعالى أن ينفع بك.

ولا أريد الإطالة فى قضية الرقية؛ ما دمنا مع الشفاء فى شفاء غيرها، وبالنسبة عما يتعلق بطب الآخرين، فقد تكلمنا سابقًا عن دخول المرأة فى الطب أو فى التمريض هل هو يؤيد أو لا وسأعيد شيئًا قليلاً عما تحدثنا عنه فى الحلقات الماضية.

وبالمناسبة نقول: عائشة ﷺ كانت لديها معرفة بالطب، والعرب قديمًا ألفوا فى الطب وكانت لديهم مقدرة عليه، ولا تزال الأمة تحتاج اليوم إلى أن تغطى فى هذا المجال من الأطباء والطبيبات.

وأنا أدعـو أخـواتى إلى دراسـة الطـب والتمـريض إذا كـان منـضبطًا بالـضوابط الشرعية، لا اختلاط ونحن عندنا فى المملكة كليات التمريض الخاصة بالبنات وكليات خاصة بالشباب، ونرجو الله تعالى أن تكون كليات الطب غير مختلطة وهـى فى الأصـل غير مختلطة؛ لكن بعض المواد العملية ربما يكون فيها شىء من الاختلاط.

ونسأل الله تعالى أن يكون الأمر معزولاً تمامًا وأن نستغنى عن دول الكفـر فى هـذا الأمر.

ونحن الآن نأتى بمن ليسوا على ديننا ونسلمهم أرواحنـا، والأصـل القـدرة عـلى الاستغناء؛ ولهذا فإننى أشد على أيدى الإخوة والأخوات الـذين يدرسـون التمـريض والطب، لعل الله تعالى ينفع بهم.

سلطان: لقد ذكرت فى القصة أنهم رقَوا قومًا كافرين فهل تنفع الرقى للكافر؟ وهل هى نافعة لهم؟

د. محمد: هذه لفتة جميلة. وسؤاله هو هل إذا قرأت رقيـة شرعيـة عـلى غير مسلم يمكن أن يستفيد؛ إذ هذا الحديث يدل على اسـتفادته إذا اعتقـد هـو أن قراءتـه نافعـة؛ فسيد القوم لم يرسل وراء الصحابة للقراءة إلا لاعتقاده أن لديهم شيئًا نافعًا ولم يعطهـم القطيع إلا عندما رأى الاستفادة.

فالقراءة على غير المسلم مفيدة، وبعض الناس قد يزور بعض أصحابه كـما حـصل لى عندما زرت أحد الإخوة وكان مصابًا بمرض فى العين، فنظرت فإذا بجانبـه فلبينـى غير مسلم يعمل مهندسًا فى الشركة، وعنده مشكلة فى العين.

وسألتهم عن سبب مرضه فقالوا: كان على مكتبه فشعر بعمى والآن مع العـلاج لا يرى إلا قليلاً حتى إنه قام إلى الحمام فكان يتلمس الجدران فقلت لهم: قد يكون عمل له من السحر عمل، والطبيب يقول: لا أدرى ما مشكلته؟ فكل شىء عنده صحيح.

فقلت لهم: سأقرأ عليه فـذهب إلى الحـمام ولم تتيـسر القـراءة عليـه؛ لكنـى نـدمت وودت أننى قرأت عليه كما قرأ أبو سعيد على الكافر.

أبو فيصل: هنا نذكر حديث النبى عليه السلام الذى معناه أن خير النـاس أنفعهـم للناس، بعض الناس أحيانًا يلجأ إلى الغير فى القراءة، ونحن قرأنا أن الأفضل للإنـسان

أن يقرأ على نفسه ثم على أهله؛ فحرصه على المنفعة سيكون أكثر من حرص غيره عليه.

د. محمد: لقد أشرنا إلى شيء من هذا قبل قليل، وجميل أن أثرت المسألةِ مرة أخرى، فالقراءة في أصلها دعاء للآخر، وهذا يظهر من الدعاء في الرقية الذي نقول فيه: اللهم رب الناس، أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا.

وأنا الآن أدعو له وكذا في قولي: باسم الله أرقيك من كل شر يؤذيك، فالمعنى باسم الله أطلب شفاءك.

وهكذا فإن القراءة في حقيقتها دعاء، وكلما كان القارئ أقرب نفسيًّا إلى المقروء عليه كانت الفائدة أكثر، وقراءة الإنسان على نفسه أيضًا لا تمنع، وأنا عندما أقرأ على نفسي بالآيات والأذكار الشرعية أفضل من أن أذهب إلى غيري فأطلب القراءة منه.

محمد: هناك حديث لمسلم قال فيه النبي عليه السلام: **«لا يرقون ولا يسترقون»**، فمن هم؟

د. محمد: الحديث جاء عندما ذكر النبي عليه السلام السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب من أمته فقالوا: يا رسول الله، صفهم لنا. فقال: **«هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**.

وورد في «صحيح مسلم» بغير لفظ: (لا يرقون) أي: صفاتهم أنه لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية من الناس؛ لكنهم قد يرقون الآخرين؛ لهذا فإن النبي عليه السلام رقى الآخرين لكنه لم يكن يقول: ارقوني واقرءوا عليَّ.

ومن صفاتهم: أنهم لا يتطيرون أي: لا يتشاءمون، وعلى ربهم يتوكلون.

أما من يرقى الناس فهو على أجر عظيم بلا شك، وهنا يقول ابن تيمية وهو يتكلم عن الرقية على الآخرين من المس والعين والسحر قال:

وهذه من أعظم الصفات؛ لأنك تقاتل عدوًّا هو يراك وأنت لا تراه.

والمقصود بهذا: أنك تقاتل الشيطان الذي يراك وأنت لا تراه وهذا من أعظم

الجهاد، والنبى عليه السلام عندما سئل عن الرقى قال عليه السلام: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

أبو مروان: إكثار المريض التنقل بين أهل الرقية وكأن الرقية جرعة دواء ويقولون له: لا تكثر من القراءة حتى لا تتأثر بالجرعة فما رأيك؟

د. محمد: لقد ذكرتنى بأحدهم – عفا الله عنه، لا أدرى عن صدقها وسئلت عنها- أن شخصًا يقرأ فى ماء رقية شرعية وكان قد كتب على هذا الماء أقرأ قراءة مركزة وقبل أن تشرب خففها بالماء.

وكأنه يقول: هذه القراءة فيها خشوع وانكسار لله تعالى فلا بد أن تخففها بالماء.

طبعًا لا يوجد قراءة مركزة وجرعة زائدة؛ لأن القرآن كله خير، ولا ينبغى تتبع القراء.

والذى أشير إليه أن يعتمد الإنسان على نفسه حتى يستفيد، أما مسألة تتبع القراء فهو أمر منهى عنه.

عمر: هل هناك ضوابط معينة للقراءة فى الرقية؟

د. محمد: الذى كان مشتهرًا بين الصحابة كالشفاء بنت عبد الله وهى بطلة حلقتنا والتى هى مِفتاح كلامنا عن القراءة؛ لأنها كانت ترقى النساء، وكانت تعلمهم الكتابة، وهو أمر مهم أن نعرف القراءة والرقية.

لكن هل هناك أشياء تقرأ على أمراض معينة أم لا؟

أنتم تعلمون أن الرقية فى أصلها طب والطب يعرف بالتجربة، فإذا كان لدينا مريض مصاب بمرض معين فهناك آيات ربما تصلح لهذا المريض ولا تصلح لغيره.

مثلاً: إنسان مصاب بعين حاسدة فتقرأ عليه الآيات التى وردت فى العين كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١].

ومثل سورة الفلق فى آخرها قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ٥]

ومثل قوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧] ثم قال: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ

قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: ٦٨].

ومثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤].

أو إنسان مصاب بمس أو لديه ضيق لا يدرى ما سببه، يقرأ عليه الآيات التى فيها كلمة الانشراح مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح: ١] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤] ونحو ذلك.

فكون القراءة على الناس بالآيات التى تتوافق مع ما هو مصاب به فلا بأس: لأن قراءة الآيات التى يكون فيها شيء من النفع بلا شك تفيد.

وهناك قراءة آيات عامة كقراءة سورة الفاتحة؛ فالنبى عليه السلام عندما أتاه أبو سعيد وذكر له أنه قرأ الفاتحة على الرجل قال له النبى عليه السلام: «**وما يدريك أنها رقية**» أى: فعلاً هى رقية.

وقراءة آية الكرسى، وقراءة قل هو الله أحد والفلق والناس ثلاث مرات أو سبعًا فالنبى كان إذا دعا دعا سبعًا.

ورقم سبعة لها ميزة فى الشريعة كالسموات عددها سبع والأرضون سبع والفاتحة السبع المثانى والطواف سبع مرات والسعى سبع مرات.

والنبى عندما ذكر العجوة فى الصباح قال: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه سم ولا سحر**».

والإمام ابن القيم ذكر فى «زاد المعاد» خصائص الرقم سبعة والسبعين ففى كلام الله تعالى موجود فى قوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

ولقد ذكر الإمام ابن القيم الأشياء التى جاء فيها السبع وقال: وعلى ذلك فلو أن أبا سعيد الخدرى عندما قرأ على ذلك الرجل قرأ الفاتحة سبع مرات، والنبى عليه السلام كان إذا دعا الله تعالى دعاه سبعًا.

فرقم سبعة له معنى فى الشريعة وإن كان لم يرد به نص فى الشريعة؛ حتى لا ينقل على لسانى أن له مستندًا من نصوص الشرع.

وهذا لا يعنى أن السبعة لا بد أن يعمل بها فى كل الأشياء، إنما أقول: إن الشريعة عمومًا جاءت بخصائص لهذا الرقم.

وقال ابن القيم: ما دام أن النبى عليه السلام كان إذا دعا دعا سبعًا وذكر العدد سبعة فى كثير من الأشياء فيقول ابن القيم: إن القراءة إذا حصلت فلا بأس أن يقرأ سبعًا عليهم أو إذا أراد أن يرقى نفسه فليرق نفسه سبعًا.

* * *



الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

نحن عادة نتكلم عن أشياء تتعلق بنساء السلف والنساء اللاتى كان لهن تأثير، إما فى دعوة، وإما فى تربية أولاد، وإما فى تجارة، وإما فى نشر الإسلام، وإما فى اختراعات أوغير ذلك.

ليس فقط نساء السلف بل أيضًا نعرض أحيانًا أيضًا لبعض النساء فى الواقع.

كنت أقرأ قبل أيام حادثة لسعيد بن المسيب.

سعيد بن المسيب واحد من العلماء، عنده طلاب وفقد واحدًا من طلابه وكان هذا الطالب اسمه أبو وداعة، وهو طالب جيد ففقده يومًا ويومين وثلاثة أيام، ثم فى اليوم الرابع جاء الطالب، فلما انصرف الطلاب امسكه على جنب فى المسجد، قال: لماذا احتبست ثلاثة أيام عن الدرس –يعنى أنت غائب ثلاثة أيام– قال: والله يا شيخ، ماتت امرأتى وانشغلت بدفنها والعزاء وكذا فغبت ثلاثة أيام.

فقال: تزوجت. قال: من يزوجنى؟ أنا امرأتى كانت بالكاد تصبر على فقرى، ما عندى إلا دراهم معدودة.

قال: أنا أزوجك.

قال: ها.

قال: بنت عالمة فقيهة خطبها ابن الخليفة؟

فقال: أنا أريد زوجًا يكون لها وحدها لا يكون مشتركًا بينها وبين غيرها. انتبه للعقل والتفكير. لابنتى وحدها.

لا ينشغل عنها ابن الخليفة عنده جوارٍ وعنده أصدقاء. لكن عندها يكون زوجًا مسكينًا ففى الغالب يكون هو مع ابنتى دائمًا والمرأة كلما صار زوجها أقرب لها ومحتويها وجالسًا معها ويصرف وقته لها؛ تكون مستمتعة أكثر. وشاور ابنته ووافقت وجاءوا

وعقدوا له الزواج في نفس اليوم.

يقول أبو وداعة: فذهبت إلى بيتي وأنا غير مصدق أني تزوجت ابنة سعيد بن المسيب.

يقول: فلما كان في الليل وضعت زيتًا وزعترًا وخبزًا أتعشى. – فقير مسكين- يأخذ الخبز ويضعه في الزيت والزعتر ويأكل. يقول: فطرق على الباب. فقمت وقلت: من بالباب؟

قال: سعيد.

قال: فطرأ في فكري كل شخص اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب. ما توقعت أنه سعيد بن المسيب.

تخيل أنت لما يكون هناك واحد من كبار علماء البلد ويطرق عليك الباب فجأة من غير ميعاد ويجيئك والناس يتقاتلون حتى يظفروا منه بدقائق معدودة.

يقول: فجاء في بالي كل واحد اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ففتحت الباب فإذا بسعيد بن المسيب.

يقو ل: قلت: الشيخ؟

قال: نعم.

قال: ورأيت سوادًا وراءه. امرأة لابسة عباءتها.

فقال سعيد بن المسيب: إنا قد كرهنا أن تبيت عزبًا الليلة وأنت متزوج فأحضرنا لك امرأتك.

يقول: ثم ابتعد(انظر إلى بساطة الزواج عندهم). وقال: ادخلي يا ابنتي البنت دخلت والرجل إلى الآن غائب عن شعوره ما يدري.

لا يصدق بل يظن أنه في حلم يقول: فلما أغلق أبوها الباب وقف مندهشًا.

قال سعيد: السلام عليكم أغلق الباب فوقعت وأغمي على البنت من شدة الحياء. يقول: فضاق صدري (يا بنت الناس قومي لا تورطينا الليلة ليلة العرس) يقول: فصعدت إلى أمي وناديتها، وأمي لا تدري حتى الآن قلت: يا أمي أنا تزوجت.

قالت: يا ولدي تزوجت. كيف تزوجت؟

قال: والله يا أمى تزوجت ابنة سعيد بن المسيب.

قالت: يا ولد تمزح.

قال: يا أمى تعالى انظرى إليها فهى فى الأسفل مغمى عليها. تعالى دبرينى.

يقول: فجاءت أمى وأيقظتها مما هى فيه.

وأقسمت على ثلاثة أيام، ألا أدخل بها تقول حتى نجهز لك عروسك ونأنسها قليلا والبنت متفاجئة بك يقول: فدخلت بها بعد ثلاثة أيام. يقول: فلما بت معها ليلتين أو ثلاثًا أردت أن أخرج إلى الدرس، درس الشيخ فقالت: إلى أين تذهب؟ أعجبت به وانبسطت.

قلت: أذهب إلى درس سعيد، يعنى درس الشيخ.

قالت: ولماذا تذهب إلى درس سعيد؟

قلت: أطلب العلم.

قالت: كل ما فى رأس أبى من علم هو فى رأسى. تعال اجلس أدرسك أنا العلم.

يقول: فأخذت أقرأ عليها المتون. يقول: فلما كبر وصار عالمًا من العلماء كانت الفتوى تخرج بتوقيعين: بتوقيعه وتوقيع زوجته. انظر إلى العلم.

المقصود حقيقة: أن حاجة الإنسان إلى الزواج حاجة فطرية طبيعية ولو ترى الآن فكثير من دعاء الفتيات ودعاء الشباب يكون عن الزواج: اللهم زوجنى. اللهم ارزقنى زوجة اللهم...

ولا أذكر أنى قلت لواحد من الشباب: الله يزوجك إلا قال: آمين.. آمين..

أحيانًا أقول: الله يرزقك الجنة فيقول: آمين بصوت منخفض. أما إذا قلت: زواج اشتغلت البطاريات الساكتة عنده. ما أدرى عن المتزوجين أنا أتكلم عن العزاب حتى لا تسبب لى مشكلة أيضًا.

يا شيخ: ما يحصل الآن فى بعض القنوات الفضائية وأيضًا فى الإنترنت من الدعوة إلى الزواج، يدعون أنهم يوفقون بين زوجين والأدهى والأمرّ أنهم الآن يفصلونها لك تفصيلاً بمعنى يقول: طولها وحجمها والخصر.

فى الإنترنت أم فى الفضائيات؟

فى الفضائيات!

فى الفضائيات.

لا حول ولا قوة إلا بالله، يعنى هى ترسل مواصفاتها. الطول ١٦٥. الخصر ما أدرى.. كم.. الوزن..

البنت نفسها ترسل وكذا الشاب، وتحصل الخطبة بدون علاقة.

ما رأيك فى هذا يا شيخ؟

أنا أستفسر عن شىء -أنا عندى معلومات عنها يسيرة- لكن ربما تفيدونى أكثر كيف تكون طريقة توفيقهم بين الشباب والفتيات. هل يعطونك رقمًا معينًا أو كذا؟

لا. إذا اتفقت أنت وهى.

إذا أرسلت موصفاتى وهى أرسلت موصفاتها.

الآن أنت تعجبك المواصفات الفلانية، وكل قناة لها رقم تتصل عليه ويقومون بإعطائك رقم الفتاة أو العكس. يعنى لدرجة أنه لا أهل. وربما لا يدرى أهلها عن البنت شيئًا.

إذا اتفقت أنت وهى يعطونك رقمها وتذهب وتتزوج رسميًّا وإذا وافقت هى قالت: أعطونى رقمه أنا أتفاهم معه.

لا. يا شيخ.

هناك بعض القنوات الآن تتعامل مع الفتاة مباشرة، أى: بدون علاقة القناة. أنت ترى المواصفات وترسل على رقم الاشتراك الخاص بها رقمك أنت وتتصل بها.

بالبنت نفسها.

أو هى ترسل لك رقمها وتتصل بها بدون علاقة القناة.

أظنها وصلت الآن إلى كم قناة؟ أظنها ست أو سبع قنوات تقريبًا كلها بهذا الحال أو ربما أكثر.

ماذا يستفيدون ماديًّا؟

يستفيدون من سعر الرسالة SMS.

هذا سعره خمسة ريال، ٦ ريال وربما يأتيهم فى اليوم ألف رسالة أو ألفان؛ فالشريط

لا يتوقف.

خداع واستهزاء و(استهبال).

أكثر من هذا يا شيخ فلكى تشترك بهذه القناة ترسل أكثر من رسالة ويستدرجونك، فالرسالة الأولى ترسل فيها الرقم أو شيئًا من هذا القبيل؛ فيرسلون إليك ويقولون: تم وصول كذا أرسل كذا وكذا.

حقيقة: يا جماعة أنا طبعًا سمعت عنها ورأيت قناة أو قناتين منها.

وماذا عن مواقع الإنترنت التى فيها مثل هذا؟

هى نفس الطريقة.

يوجد فى عدد من مواقع الإنترنت هذا الأمر لها نفس الطريقة ولها إدارة؛ لكن يبدو لى أن القنوات أكثر فتكًا - إن صح التعبير.

أنا جاءنى مرة رسالة على هاتفى فتاة تقول: إننى تعرفت على شخص عن طريق إحدى القنوات التى توفق بين رأسين (تجمع بين رأسين). مثل الزواج وغيرها.

تقول: ثم أصبح يلعب بأخلاقى وكل يوم يقول: أرسلى لى صورتك حتى أنا أقرر أتزوجك أو لا؟

أنا موافق، لكن. أنا إنسان جاد وأنا ما أدرى كذا وكذا.

تقول: حتى عبث بعواطفى إلى درجة أنه قال: لابد أن نتقابل مع بعض؛ حتى أتأكد إذا كنت تصلحين لى أو لا. **إلى هذا الدرجة؟! كيف يجربها والعياذ بالله.**

وهذا حقيقة هو حقيقة البغاء الذى كان فى الجاهلية، فالمرأة تدعو إلى نفسها أو يكون هناك أشخاص يعنى يجمعون بين الرجال والنساء بالحرام، هذا حقيقة طريقة من الطرق.

أنا وصلنى عدد من الشكاوى عبر الهاتف وعبر الإيميل من فتايات كن يعبث بهن عبر هذه الطريقة، وشباب أيضًا تائبين اتصلوا بى.

وجاءنى واحد فى المسجد قبل فترة صلى معى الجمعة وقف معى وقال: يا شيخ هذا الهاتف وأخرج لى جوالاً معه وقال: يا شيخ هذا الرقم يتلقى يوميًا ما لا يقل عن مائتين إلى ثلاثمائة اتصال كلها -يا شيخ- غزل.

قلت: كيف؟

قال: أنا يا شيخ على مدى سنتين، أراسل جميع القنوات التى فيها أنا أبحث عن زوجة وأنا إنسان جاد أراسلها وأضع رقمى هذا.

يقول: حتى بدأ ينتشر بين البنات أنفسهن.

يقول: والآن أنا تبت والله يا شيخ الآن أنا أغلقه، ولو أشغله وأوقفه أمامك فستجد الرسائل الواحدة تلو الأخرى ١، ٢، ٣، ٤، ٥ لما يكون مغلق بهذا الشكل.

لذلك أنا أقول أولاً: لا ينبغى أن تكون الفتاة خفيفة العقل وتجرى وراء كل قناة تنشر أنها يمكن أن تبحث عن زوج وغير ذلك.

الأمر الثانى: كون الفتاة تتعرف على شباب عن هذا الطريق ربما يجعل الشاب يشعر بعدما يأخذها أنها هى التى تعرفت إليه أصلاً. أنت التى تبحثين عنى... فما تشعر بالعزة.

ليس الأمر يا أخى، مثل البضاعة التى ذهبت تبحث عنها فى السوق؛ لذلك تلاحظ أنه إذا أهدى إليك شىء فإنه لا يكون قدره ومنزلته عندك ليس مثل الشىء الذى تعبت حتى بحثت عنه ووجدته.

وقليل فى الحقيقة من يتزوج بهذه الطريقة.

فى أوروبا والدول الأخرى توجد أماكن مثل هذه للمتزوجات، ما يتزوجون على الأقل حسب ملتهم ومذاهبهم، يتعرف إليها فى الشارع وإذا أعجبته تزوجها؛ لكن يستحيل أن يتزوج عن طريق قناة.

حقيقة أنا لاحظت أنها ما فيها جدية وليس لها نتائج؛ إنما هى مثل ما ذكرت.

يا شيخ، إنهم لا يوجد عندهم ضوابط، ولو وضع لها ضوابط ما تنجح العلاقة الزوجية.

الزوجية يستحيل أو يندر أن تنجح بطريقة مثل هذه. لا نقول مستحيل ولكن قول الغالب لن تنجح.

مثلاً: لو حصل مائة زواج فسينجح منها ستة أو سبعة مثلاً فى الغالب بهذه الطريقة؛ لأن حتى الفتاة ستقدم تنازلات لأجل أن يتزوجها فقط.

فأنا حقيقة أحذر إخوتى وأخواتى من المشاركة فيها، ويوجد بعض الخاطبات أو الخاطبين إن صح التعبير الثقات يمكن الاستعانة بهم فى هذا.

لو أن امرأة مثلاً: عندها بنات ما تزوجن ماذا تفعل؟ يمكن أن تتصل على إحدى الخاطبات أو أحد الخطابين وتقول: عندى بنتان عمرهما كذا وكذا، وتسأل إن كان هناك أحد مناسب إلى آخره.

أما حقيقة أن البنت تبدأ تراسل هذه القنوات وتجعل اسمها عندهم وصفات خاصة إذا كانت تذكر موصفات فحقيقة هذا أمر مزعج جدًّا ولا ينبغى أن يُلعب بالعواطف.

وأنا أقول حقيقة لكل شاب يلعب بعواطف الفتيات: لا تأمن دعوة عليك فى آخر الليل أو ربما ابتلاك الله تعالى بأنواع من الفقر والهموم والغموم بسبب هذه المعاصى التى تؤذى بها أعراض المسلمين.

أنا فقط كنت أقول: إن الأمهات وبعض البنات أنفسهن يقولن: لا نلجأ للخاطبة؛ لأنهم لا يريدون أن يشعرن بحرج أو بنقص.

أنا طبعًا ما أرى أن الذهاب إلى الخاطبة ليس فيه مشكلة.

يا أخى، الرجل الصالح الذى رآه موسى – قال: إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج، وذكرنا سابقًا أن عمر ﷺ لما تأيمت حفصة– أى:لما مات زوجها– ذهب إلى عثمان قال: إن شئت أنكحتك حفصة ذهب إلى أبى بكر قال: إن شئت أنكحتك حفصة. هذا ليس عيبًا أن يختار الرجل لابنته الرجل المناسب.هذا ليس عيبًا.

لكن كذلك كون الفتاة تبدأ ترد الشباب عنها وتعرض عن الزواج حتى يتقدم سنها ثم ترضى بـ(ربع رجل) ليس فقط برجل كامل. وترضى أن تكون رابعة؛ نقول أنت ليتك لما جاءك الخير من البداية قبلتِه.

يا شيخ، جرت العادة بين القبائل أن كل شخص يتزوج بنت عمه أو بنت خاله، وإذا وجد شخص تزوج مثلاً من خارج القبيلة يقال: لا. لا يوجد تكافؤ فى القبيلة ولا يوجد تكافؤ فى النسب وهكذا. فما تعليقك؟

مسألة التكافؤ فى النسب هذه ذكرها الفقهاء، ذكرها بعضهم أن من شروط النكاح أن يكون هناك تكافؤ كـ (أن) تكون المرأة مثلاً من قبيلة والرجل من قبيلة؛ فكلاهما ينتسبان إلى قبيلة وألاَّ يكونوا من الموالى –الموالى هم الذين ربما كانوا عبيدًا مماليك ثم أعتقوا.

لكن شرط التكافؤ ليس عليه دليل شرعى من الكتاب أو من السنة؛ لكنه كلام للفقهاء لئلا تقع مشاكل بين الناس.

النبى عليه الصلاة والسلام زوج زيد بن حارثة وكان مولى – أى: عبدًا مملوكًا أعتق كان مولاه– زوجه من زينب وكانت زينب من رءوس القرشيات.

بلال رضي الله عنه وهو عبد أسود حبشى تزوج ثلاثًا من نساء قريش، فكان المقياس عندهم هو الدين الشرعى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ما قال: لتفاخروا. إنما قال: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ فلا يوجد بأس شرعًا أن القبيل يتزوج غير القبلية أو غير القبيل يتزوج القبلية، لا يوجد فيه بأس شرعًا إلا إذا كان سيؤدى إلى مشاكل ربما فى القبيلة والعائلة وخصومات ومقاطعات ونحو ذلك؛ فتجنب هذا أولى.

أنا أعلم طبعًا أن هذا موجود ربما فى بعض الدول دون بعض، فبعض الدول ممن ربما يشاهدوننا الآن ليس عندهم مثل هذا الشىء.

إجبار البنت – يا شيخ – على ولد عمها أو ولد خالها؟

أحسنت هذا أيضًا موجود.. هذا ما يجوز لما جاءت فتاة إلى النبى ﷺ وقالت: يا رسول الله، إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع خسيسته– قالت: هذا معترضة – فقال النبى عليه الصلاة والسلام: **«إن شئت رددت نكاحه»**.

أنا أفسخ النكاح الآن، لأن النكاح باطل، لأنك غير موافقة. إن شئت فسخت نكاحك الآن.

فقالت: لا. يا رسول الله بل أنا موافقة؛ لكن أردت أن يعلم الآباء أن لا سلطان لهم فى تزويج بناتهم. انظر إلى المرأة العاقلة.

تقول: أنا موافقة لكن فعلت ذلك كى يتأدب الباقون حتى لا يأتى واحد ويزوج

ابنته رغمًا عنها.

فالمقصود: أنه ما يجوز أنه يلزمها بذلك، والمشكلة يا أخى: أن بعض الفتيات اليوم مع الأسف لا يطالبن بحقوقهم يا أخى.

يا أخى، يوجد رجل دخلت فى قضيته أنا وواحد من المشايخ دخلنا لحلها، عنده ثلاث بنات أصغرها عمرها ٢٥ وأكبرهن ٣٣، الرجل كل من جاء يخطب، يطرده يقول: ما عندى بنات للزواج ما عندى... وهو رجل أصلاً غير صالح فهو رجل يسافر إلى الخارج ويفسق ويشرب الخمور وكذا... رجل قريب من الستين.

فالبنات وصلت أعمارهن لهذا السن والأب هكذا يرفض دائمًا من غير سبب وهو رجل تاجر فلا يحتاج إلى وظائفهن ورواتبهن.

فاتصلت إحدى بناته بهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكلمت صاحبى هذا الشيخ محمد الماجد.

قالت له: يا شيخ، عندنا قضية كذا وكذا بالله حلوا الموضوع.

فقال: أعطينى رقم واحد من إخوانك، فكلم أحد إخوانها وهو شاب عاقل قال له: هل الواقع كذا؟ قال: نعم والله يا شيخ، وأنا حاولت مع أبى عدة مرات؛ لكن أبى رافض وصعب أن أذهب وأشتكى أبى فى المحكمة.

قال: انزع ولايته، والولاية تكون عندك أن تزوجهم قال: والله يا شيخ ما أريد مشاكل.

يقول الشيخ: فذهبت بنفسى إلى القاضى وشرحت له الموضوع وأخبرته باسمهن.

يقول: فاستدعاه القاضى ليتفاهم معه، فجاء وسأله، فقال: نعم ما أبغى زواج بناتى. فقال: لم؟

بعض الناس عنده مرض نفسى فلا يريد أن يزوج، فنزع القاضى الولاية منه وجعلها عند أخيه ليس عند أخى البنات؛ لأن أخا البنات خائف، فجعلها عند عمهن فتزوج الثلاث فى شهر واحد، والآن هن سعيدات. أظن صار لها سبع سنوات هذه القصة.

فالمقصود: أن المشكلة يكون مصدرها أن بعض البنات ترضى بالخضوع



والانكسار.

يا أختى.. يوجد قضاة يوجد محاكم، وإذا كانت فى غير المملكة العربية السعودية أو مثلاً كانت فى بلد آخر، ربما يكون القضاة ممن يساعد فى مثل هذه المسائل.

عندك من يحل المشكلة من أقوام يكون لهم تأثير: عم، خال، أحد من العائلة كبير فى السن، هيئات حقوقية يمكن أن تتدخل فى الموضوع دون أن يستغلوك.

لا بد للفتاة أيضًا أن لا يستغلها من تذهب إليه، وأهم شىء ألا تسكت البنت حتى يصل عمرها إلى الأربعين، مثل الفتاة التى نزل بها الموت وعمرها ٤٥ سنة وهى لم تتزوج وأبوها يرفض الناس يقولون: فلما جاء أبوها عند رأسها وهى تموت، قالت: يا أبى قل: آمين، قال: آمين، قالت: الله يحرمك من الجنة، مثلما حرمتنى من الزواج؛ لأن المرأة -يا جماعة- فيها من الشوق حقيقة إلى الزواج كما عند الرجل من الشوق؛ لكن بعض الآباء ربما لا يتصور مثل هذه القضية.

بعض البنات أيضًا يا شيخ يخجلن أن يشتكين من آبائهن.

صحيح: أحيانًا تخجل، والقضية يا أخى هى أن كل مرة نقول: أنا والله أخجل أنا والله...

الإنسان الجبان لا ينجح فى الحياة، تريد أن تنجح فى الحياة عليك أن تكون شجاعًا، شجاعًا فى استخراج حقوقك شجاعًا فى نصح الناس شجاعًا فى اتخاذ قراراتك فى حياتك. الإنسان الجبان عمره لا يبنى مشروعًا فى الحياة أبدًا.

أما الإنسان المبادر المقدام الجرىء فهو الذى يكون له بصمة فى حياته وينجح.

أماالإنسان الجبان لا ينجح فى زواج ولا فى تربية أولاد ولا فى تأثير فى الأمة ولا فى فتح مشروع تجارى ولا فى عمل، ولا شىء لا بد أن يكون منضبطًا بالضوابط الشرعية.

توجد مسألة أخيرة مهمة حقيقة فيما يتعلق بالزواج..

إن الفتاة عندما يخطبها أحد،لا ينبغى أن تشترط فيه شروطًا ربما لا تكون مجتمعة إلا فى عدد من الرجال، فمثلاً تقول: أنا أريده يكون جميلاً مثل فلان وقويًا فى بدنه مثل فلان وكثير المال مثل فلان، وتختار أربع أو خمس صفات متفرقة من رجال تريدها فى رجل واحد. ثلاثة فى واحد!

كذلك الزوج إذا أراد أن يخطب امرأة ينبغى عليه أن يكون منضبطًا فى مثل ذلك، لا تكون القضية عنده بالنظر إلى بعض من يراهن فى التلفاز إذ ربما ينخدع وأعجب بهن ويبغى واحدة تشبه فلانة، فتموت وأنت ما لقيت من تشبهها ربما.

وربما لا يوجد هذا أصلاً بسبب المساحيق وعمليات التجميل أيضا؛ لذلك النبى ﷺ يقول: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة**» يعنى لا يبغض المؤمن مؤمنة بغضًا تامًّا يدعوه إلى طلاقها أو فراقها، قال: «**إن كره منها خُلقًا رضى منها آخر**».

فكون الرجل يكره من امرأته بعض الأخلاق لا يعنى أنه يطلقها أو يفارقها؛ لا سيرضى منها أمورًا أخرى، وهذا الذى كان النبى عليه الصلاة والسلام دائمًا يوجه إليه.

توجد مسألة أخيرة أيضًا تذكرتها قبل أن نختم وهى فى الحقيقة تساهل بعض الناس اليوم ببعض أنواع الزواج الذى خرج جديدًا عندنا، وهو ما يسمى بزواج المسيار والمسفار، إذا أراد أن يسافر يتزوج واحدة يقضى معها شهرًا، أو الزواج السياحى وغير ذلك.

حقيقة أحيانًا قد يجد المتزوجون بمثل هذه الأنواع يجدون مخرجًا فقهيًّا له، فى الزواج المرأة تقول: أنا أتزوجك؛ لكن فى زواج المسيار تقول: أتزوجك لكنى لا أشترط أن تعطينى نفقة ولا تبيت معى ليلة أبدًا، متى أردت أن تأتينى إلى آخره.

المشكلة يا أخى: أنه صار بها نوع من العبث بأعراض الفتيات، وأصبح البعض منهن أيضًا لا تدقق فى انتهاء عدتها، فربما تزوجت أربعة رجال أو خمسة خلال سنة واحدة حقيقة؛ فلا تخرج من عدتها وربما تزوجت ثلاثة فى وقت واحد.

فهذه الأمور قد يكون أحيانًا هناك مخرج لكلام الفقهاء فيها، وقد يجدون أيضًا أدلة.

فأبو بكر ﷺ كان عنده امرأة فى السنح - يعنى فى بعض عوالى المدينة، العوالى: بعض المتنزهات أو البساتين التى حول المدينة- وكان يذهب إليها فى الأيام أى فى كل ثلاثة أيام أو أربعة يذهب إليها ليلة.

فهذه يستدلون بها عمومًا على المسيار أى: أن المرأة إذا قالت: أسمح لك أن لا تبيت عندى بالقسمة الشرعية فهذا جائز.

لكن مع ذلك أنا الذى أتكلم عنه مسألة اللعب بالعواطف وعدم التدقيق.

وربما تزوجت أو زوجها غير وليها أحيانًا يزوجها ابنها ووالدها موجود. أحيانًا بعضهن يكون ابنها ربما لم يبلغ أحيانًا أيضًا وهو الذى يعقد لها حتى ما يعرف أبوها أنها تزوجت ومشاكل تحصل بسبب هذا.

إذن لا بد أن تضبط المسألة بالضوابط الشرعية.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يرزقكم زوجات صالحات.

وأسأل الله تعالى أيضًا أن يجزيكم أنتم أيها الأخوة والأخوات، وأن يعف شبابنا وفتياتنا بزوجات وأزواج صالحين.

وأن يكتب لنا وإياكم السعادة الدائمة.

وصلى الله وسلم على رسول الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



امرأة ذات تأثير

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لن أتكلم اليوم عن سيرة امرأة معينة من القوارير، فقد جرت العادة أن نتكلم مثلاً عن سيرة فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام أو عن سيرة غيرها، ومما تكلمنا كلامنا عن سيرة مريم عن سيرة هاجر عن أنواع من النساء، كل واحدة برزت فى شىء معين.

اليوم سوف أطوف بكم فى بساتين متعددة؛ لأجل أن نوصل فكرة معينة إلى أخواتنا اللاتى يشاهدن معنا.

الناس يتنوعون إلى أنواع فى حياتهم:

بعض الناس عنده نوع من البروز وله تأثير تجد مثلاً مُدرسة صار لها تأثير فى المَدْرسة، طبيبة صار لها تأثير فى مستشفاها، امرأة لها تأثير فى بيتها لها بصمة على أولادها لها تأثير على زوجها ربما لها تأثير أيضًا حتى فى المسجد الذى بجانبها مع أنها لا تصلى فيه، وكلما كانت للإنسان قدرات أكثر ومطورًا لنفسه أكثر استطاع أن يكون أكثر تأثيرًا فى هذا الأمة.

أنا أعطيكم مثالاً: جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن إلى النبى عليه الصلاة والسلام، قالت: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، نحن نريد أن نتعلم، ودائمًا الرجال هم الذين يتزاحمون عليك، فاجعل لنا يومًا، اجعل للنساء يومًا. فقال ﷺ: **«لكم يوم الاثنين»**. فجعل للنساء درسًا فى كل يوم اثنين.

انظر حرصها على أن تطور نفسها، جعلها تأتى وتقول: أنا لا بد أن أطور نفسى لا بد أن أتعلم دينى يا رسول الله، كيف أستطيع التعلم وأنا كلما جئت فإذا حولك عشرة أو عشرون رجلاً لا أستطيع أن أزاحمهم.

لا بد أن توجد لى حلاً يا رسول الله دبرنا. فجعل لهن النبى عليه الصلاة والسلام

يوم الاثنين.

عائشة كانت من أكثر الناس استفادة من النبى ﷺ لذلك تزوجت النبى عليه الصلاة والسلام وهى امرأة عادية تزوجت وقد تربت فى بيت أبى بكر، لكن انظر عندما استفادت من النبى عليه الصلاة والسلام وطورت نفسها كثرت الأسئلة: يا رسول الله أكل ما يكتمه الناس يعلمه الله؟ يا رسول الله؛ هل يوجد عذاب قبر أم لا؟ عندما جاءت إليها امرأة يهودية وسألتها اليهودية أن الناس يعذبون فى قبورهم أو ينعمون؟ فسألت عائشة النبى عليه الصلاة والسلام.

طورت ذهنها إلى درجة أن يقول عبد الله بن الزبير أو عروة يقول: كنا إذا اختلفنا فى شىء فى المدينة لا نجد لنا مخرجًا إلا عائشة. نأتى إليها نسألها فى المواريث، نسألها فى كل شىء.

بل قال لها عبد الله بن الزبير: يا أم المؤمنين لا أعجب أن يكون عندك علم فى الحديث وعلم فى التفسير وعلم فى الفقه؛ لكنى أعجب أن عندك علم فى الطب، فكيف ذلك؟

قالت: لما مرض النبى ﷺ كان الأطباء يأتون إليه فكانوا يعرضون عليه طبهم، كل واحد يأتى لرسول الله ويقول: يا رسول الله هل تشعر بحرارة مثلاً فى جسدك؟ يقول: نعم، يقول: إذًا لعلك مصاب بكذا وكذا، إذًا الدواء ١،٢،٣ كذا وكذا.

يأتى الثانى: يا رسول الله عندك صداع؟ فإذا قال: نعم، قال: إذًا الدواء كذا وكذا.

يأتى الثالث: تشعر بثقل فى قدميك؟ يقول: نعم. فيقول: إذًا الدواء كذا وكذا فعائشة كانت تفهم وتتلقن بسرعة وتحفظ وحريصة على أن تستوعب هذا كله؛ حتى صار لها مثل هذا التأثير فى الأمة.

المقصود: أنهم يحرصون على أن يطوروا من ذواتهم.

أى إنسان لا يطور نفسه سيعيش فى آخر الركب ولن يلتفت إليه أحد، كذلك أنا أقول لكل أخت الآن تشاهدنا وتتابعنا: احرصى على أن تطورى نفسكِ لا يكون يومك مثل أمسك.

يقول الوزير ابن هبيرة: من كان يومه مثل أمسه فقد عق يومه، وظلم نفسه.

الذى يمر عليه يوم واليوم الثانى والثالث والرابع وهو ما تطور فى أى شىء فهذا ظالم لنفسه ومضيع لوقته؛ لكن ينبغى على الإنسان إذا أراد أن يكون له تأثير أن يعرف كيف يعنى: يدرس المسائل ويتعلمها.

أذكر تجربة قرأتها فى بعض الكتب تتكلم عن تطوير الذات، ذكروا أن رجلاً أراد أن يكتشف اكتشافًا يتعلق بالضفدع، كل واحد يطلع علينا باكتشاف جاذبية، اكتشاف كذا، يريد أن يكتشف اكتشافًا يتعلق بالضفدع، يقولون: فجاء بضفدع، وقال: له اقفز قفزة، فجاء وقطع يده هذه -مثال- وقال له: اقفز فقفز.

فجاء وقطع إحدى رجليه، قال: اقفز، فما بقى إلا يد ورجل؛ لكن استطاع أن يقفز فقزه سريعة.

فجاء وقطع الرجل الباقية عنده، وقال: اقفز ما بقى إلا يد ومع ذلك اتكأ على اليد وقفز.

فجاء وقطع اليد الأخيرة -أى: القوائم كلها راحت- فقال له: اقفز فما قفز.

تدرون ما هو الاكتشاف الذى كتبه؟

إن الضفدع إذا قطعت يداه ورجلاه يفقد السمع، هو ما فقد السمع لكن ما يقدر أن يقفز بعد أن قطعت يداه ورجلاه.

فكذلك الإنسان الذى يريد الأخوات اللاتى يردن أن يطورن أنفسهن، لا بد أن تعرف الطريقة التى ستطور بها نفسها، ليست القضية دائما بالإجماع أنك إذا سلكت الطريق الصحيح تصل، أما إذا سلكت الطريق الخطأ فلا يمكن أن تصل مهما بلغت بالعلم أو الفضل أو نحو ذلك.

وحتى يكون كلامنا عمليًا أريدكم يا شباب أن تعصفوا بأذهانكم قليلاً: أفرض الآن أن بعض الأخوات أو الإخوة من المشاهدات والمشاهدين قال: فعلاً أنا لا بد أن أطور ذاتى؛ لأجل أن يكون لى تأثير فى مجتمعى ولا يكون حضورى كغيابى مثلما قالوا:

ويُقضى الأمر حين يغيب تيمٌ ... ولا يستأمرون وهم شهودُ

أنا ما أحد يعرفنى ولا تأثير ولا شىء، كيف تستطيع المرأة يا جماعة أن تطور من ذاتها؟

أعتقد يا شيخ، بثقة المرأة بنفسها.

جميل: أن يكون عندها ثقة بنفسها، أنها تستطيع أن تؤثر فى المجتمع، المشكلة أن بعض النساء وبعض الرجال تجد عندهم نظرة دونية لأنفسهم وما دام كلامنا عن النساء فلنجعل الأمثلة عن النساء، تنظر إلى فلانة عندها أسلوب جميل فى المجلس فتقول: لماذا لا أكون مثلها؟

ثم تقول فى نفسها: أصلاً أنا لا أستطيع. أنا إنسانة عاجزة فاشلة: ما عندها ثقة فى نفسها أبدًا نفسها محبطة.

أو مثلًا رأت فلانة لها تأثير عندها عشرون عائلة فقيرة هى التى تجمع لهم صدقات فتقول: يا ليتنى أكون مثلها.

ثم تقول فى نفسها: لكن أنا لا أقدر أنا لا أستطيع أنا إنسانة أصلاً ضعيفة ومسكينة.

ثم تنظر إلى فلانة الثالثة حافظة القرآن فتقول: ما شاء الله يا ليتنى مثلها، ثم تقول: لكن أنا أصلاً لا أقدر أحفظه، وأنا غبية وهى ذكية.

فإذا لم يكن عندها ثقة فى نفسها فلن ترى أنه يمكن لها أن يصيرلها أى نوع من التأثير؛ لذلك انظر كيف كان النبى ﷺ يزرع الثقة فى الصحابيات فى زوجاته فصار لهن تأثير:

مثلاً: أم سلمة لما كان النبى ﷺ فى الحديبية وكتب الصلح بينه وبين المشركين على أن يرجع من غير عمرة فرجع إلى الصحابة وهم مُحرِمون وجاءوا لأجل العمرة وقال: احلقوا رءوسكم واذبحوا هديكم.

قالوا: يا رسول الله، ما اعتمرنا.

قال: تعتمرون السنة القادمة، احلقوا رءوسكم واذبحوا هديكم. فتثاقلوا ولم ينفذوا الأمر؛ رجاء أن يغير رأيه، ويقول: هيا اعتمروا.

فدخل على أم سلمة..أم سلمة ما جلست هكذا ما تتكلم حتى تُسأل ولا تنطق حتى تستأذن، لا. أم سلمة امرأة جريئة وعندها ثقة بالنفس فقالت: يا رسول الله، لماذا أنت متضايق؟ والنبى ﷺ كان يحب الذى عنده ثقة بنفسه ما قال: ما دخلك أنت؟ أنت أيش دخلك؟ احمدى ربك أننا جئنا بك أصلاً، لا قال: **«يا أم سلمة، أمرتهم أن يذبحوا**

هديهم ويحلقوا رءوسهم ولم ينفذوا».

قالت: يا رسول الله، أنا عندى رأى -واثقة فى نفسها- تعرض رأيها فإن قبله فالحمد لله وإن لم يقبله فلا توجد مشكلة أجرب رأيى ثانية وثالثة ورابعة، ترى الثقة بالنفس.

قال: «ما هو؟»، قالت: اخرج أنت إليهم الآن ولا تقل أى كلمة ولا تكلم أحدًا، وادعُ حالقك وقل له: احلق رأسى، واذبح هديك، فإذا فعلت ذلك نفذوا هم.

فخرج النبى ﷺ برأى أم المؤمنين، خرج وأم سلمة أصغر منه ﷺ و ﵂ بسنين وهى أم المؤمنين من عدة نساء عنده، خرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى هديه ونحر الهدى وحلق الرأس ففعل الصحابة ذلك.

أول شىء يكون عندها ثقة فى نفسها، وتدع عنها كلمة (لا أقدر، لا أستطيع، لا أفهم) فهذه الكلمات كلها اجمعيها وألقيها فى البحر.

دائما الكلمات ما أقدر ما أستطيع وأنا مسكينة والكلمات هذه التى تؤدى إلى الإحباط التى تقتل الناس.

تعقيبًا على كلامك يا دكتور، أنا من وجهة نظرى أن الإنسان يجب أن تكون همته عالية وخاصة النساء أكثر من الرجال؛ لأن طابعَ النساء أن الحياءَ يغلب عليهن. فمثلما قال المثل:

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

فيجب على الإنسان أن يرسم لحياته أهدافًا؛ فتطور الذات يلزمه أن يضع له هدفًا معينًا وأن يكون له مشروع فى حياته.

لو افترضنا أنه فى هذا العام (١٤٢٩) أعرف أنى يجب خلال هذا الشهر أن أحقق هدفًا، فبهذه الطريقة أعمل تقييمًا كل ستة شهور لشخصيتى أو للإنتاج الذى حققته.

وأنا أتوقع أن الإنسان بهذه الطريقة يمكن أن يطور ذاته وينجح ويصل للهدف المنشود.

هذا أيضًا مهم جدًّا كون للمرأة أوالرجل عمومًا، لكن ما دمنا نتكلم عن النساء فنقول يجب أن يكون عندها مشروع معين وبرنامج معين فى حياتها تمشى عليه، إذا

وضعنا لها برنامجًا ومشروعًا أفلحت.

أذكر أن امرأة عمرها ستون سنة جاءت إلى إحدى دور التحفيظ النسائية التى تعمل العصر، قالت: أنا أريد أن أحفظ القرآن، قالوا: يا أمى أنت ستون سنة والدار مفتوحة لبنات (١٨، ٢٠) قالت: لا. حفظونى.

قالوا: تفضلى، قالوا فى أنفسهم: ستداوم أسبوعًا:.. أسبوعين وتبدأ العجوز.

فجاءت ودخلت إلى أحد الفصول، أعطتها المعلمة المصحف؛ تريد أن تمتحن قراءتها فأمسكت المصحف بالمقلوب. قالت: يا أمى لا المصحف يمسك هكذا.

قالت: والله يا بنتى ما أدرى لأنى لا أعرف أن أقرأ ولا أكتب، كيف نحفظك القرآن وأنت لا تقرئين ولا تكتبين قالت: دبروا نفسكم.

قالت: أنت عمرك ستون سنة نعلمك الآن القراءة والكتابة.

قالت: والله دبروا نفسكم؛ فأدخلوها قسم محو الأمية ودرست سنة كاملة كيفية القراءة، ثم دخلت وعِمرها إحدى وستون سنة، انظر الإصرار والكفاح، دخلت وعمرها إحدى وستون سنة إلى قسم حفظ القرآن، وحفظت بعد أربع سنوات القرآن كاملاً، همة تخرجت وعمرها خمس وستون سنة، هذه واقعة فى إحدى مدارس الرياض.

قدرة المرأة على أن يكون عندها مشروع مثلما ذكرت، تقول: أنا مشروعى للسنة القادمة مثلاً حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن.

مثلاً: تحفظ القرآن لثلاث أو أربع شغالات أو ثلاث أو أربع ممرضات أو ثلاث أو أربع من المسلمات الجدد أو كبيرات السن.

أهم شيء أن يكون عندى مشروع معين أشعر أننى خلال هذه السنة انتهيت منه.

إذا تحقق مثل هذا المشروع استطاعت المرأة فعلاً أن تشعر أنها فعلت شيئًا.

والآن الحمد لله عندى معطيات عندى منتجات.

فلا بد من حرص المرأة على تطوير ذاتها ولا بد أن يكون لها مشروع معين أو خطة معينة فى حياتها تحاول أن تسير عليها.

تعقيبًا يا دكتور على كلامك أقول: إن الأهداف التى توضع لمرحلة معينة النتائج المحققة منها تكون أكبر دافع لاجتياز المرحلة التى بعدها.

وتوجد نقطة معينة أحب أن أعقب عليها وهى: أن بعض النساء لا توجد عندهن جرأة على السؤال فإذا كنت لاأعرف خلاص أسكت؛ خشية أن يقولوا: هذه جاهلة أو مزعجة بأسئلتها.

ولا يوجد حرج من التعلم فلا بد أن يسأل ليعرف السبب، يكون عندها جرأة فى المجتمع. فمثلاً بعض النساء يحرمن من كثير من حقوقهن؛ لأنهن ليس عندهن جرأة كى يطالبن بحقهن، ويدافعن عن أنفسهن فى الأعمال النسائية.

يوجد نساء جائرات نوعًا ما وجريئات تجاهد لئلا تهضم حقوق النساء، والساكتات اللاتى يقلن: والله نستحى، ما علاقة استحى الحياء لايمنعك أن تأخذى حقك ولو كان فى العلم.

أحسنت جميل أنت ذكرت نقطة مهمة الحقيقة وهى مسألة الجرأة فى المشاركة فى المجتمع بأى شىء، فينبغى على المرأة ألا يقتلها الخجل إلى درجة أنه يكون حصنًا حولها لا يمكنها من فعل شىء.

أنا أتذكر ما رواه البخارى لما ذكروا أن النبى عليه الصلاة والسلام كان فى الحج فوقف عليه الصلاة والسلام فى عرفة وكان راكبًا على بعيره.

وفى أثناء ركوبه على البعير رفع النبى ﷺ يديه يدعو، فاختلف الناس؛ لأنه أطال الدعاء، هل هو صائم، أو ليس بصائم.

والذى حل الموضوع امرأة مؤمنة جريئة.

قالت: يا جماعة أنا أدبر لكم الموضوع.

قالت: تعال يا ولدى، فجاء، فقالت: خذ هذا اللبن اذهب به إلى النبى ﷺ وهو على بعيره وناوله إياه، نعرف أهو صائم أم غير صائم؟

انظر إلى فعلها. مع النبى ﷺ آلاف الناس ولا واحد منهم حل المشكلة إلا هذه المرأة، ولو أنها قالت: أنا أيش دخلى ما دام الرجال موجودين، أنا أيش علاقتى بالموضوع لا أحل الموضوع.

فذهب به ابنها إلى النبى ﷺ فرفعه إليه وهو على بعيره فتناوله النبى ﷺ وشرب.

فقال الناس: إذًا ليس صائمًا كلوا واشربوا.



فقدرتها فى الحقيقة على أن تكون جريئة فى إتخاذ قرارتها فى إبداء رأيها، وجرأتها فى الدفاع عن حقوقها أيضًا.

لا يتكلون على أن غيرهن يحل المشكلة، غيرى يمكن أن يحمل همّ الدعوة إلى الله يوجد دعاة، أنا ليس عندى علم ولا عندى منشورات، إذن اطلب علمًا خذى منشورات، ادعى مثلك مثلاً، غيرك.

الحقيقة: لو أن النساء فعلن مثل ذلك أعنى مثلما ذكرنا المدرسات الطالبات الأمهات فى البيوت إلى غير ذلك لو صار عندها مثل هذه القدرة حقيقة وهذه الجرأة لانطلق الإنسان فى أشياء كثيرة.

الحقيقة عندى شيئان:

الشىء الأول: قرأته من خلال قصتين ذكرتها يا شيخ، **الأولى هى أن تبدى رأيها** بشكل ملائم للواقع هذا شىء جميل.

الشىء الثانى: وهو الأهداف والمشروع والخطة والهمة والموضوع والشهر والشهران والسنة، أن يكون شىء واضح أمامها.

أنا عندى مثال لرجل ولكن ما يمنع أن يكون لامرأة، كان هناك تحد لطالب فى السنة الأخيرة فوجد درجاته ضئيلة جدًا فى مادة، فقال: أنا سآخذ شهادة أخرى، وبعد فترة فعلاً أخذ شهادة أخرى غير تخصصه وصار طالب علم فى البخارى ومسلم والقرآن وابن ماجه وأصبح علمه ما شاء الله بسبب كلمة واحدة وهى: أنا أقدر أن أفعل أفضل من ذلك.

نحن نبهنا إلى هذا لأنه لا يوجد شىء يقتل الهمة مثل مسألة: لا أقدر.. لا أستطيع.. أنا مسكين، أنا لست فى ذكاء فلان ولا فى قوة فلان...هذا يقتل الهمة عند الناس.

السؤال يا دكتور.. بعض النساء ما يسألن ويكن جاهلات بأشياء كثيرة، حتى لو سألت إحداهن وأخذت وأعطت فى السؤال لا يكون عندها إصرار وعزيمة فى الشىء نفسه الذى تسأل فيه.

هذا أمر مهم جدًّا أحيانًا يغلبها الخجل تكون جاهلة فى عدة أشياء ولا تسأل.

مثلاً: تجد أنها راكبة مع زوجها فى السيارة ودخلا فى نفق مثلا فينطفئ الهاتف معها

إنها إذًا لم تسأل لأنها تخشى أن يقول لها زوجها: أنت لا تدرين، هذا واضح لأن الذبذبات تتوقف؛ لأنك تحت وهذا كل الناس يفهمونه، إلى آخره.

اجعليه يضحك عليك أول مرة وثانى مرة، أفضل من أن تبقى جاهلة، ولذلك قيل لابن عباس ﵄: كيف حصلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وبكور كبكور الغراب.

أطلع الفجر للدروس وأستفيد مما يلقى على سواء من عهد الصحابة ﵃ أو من عهد النبى عليه الصلاة والسلام.

أنا أدعو جميع الأخوات حقيقة إلى أن يسألن عن أى شىء لا يعرفنه مسألة فى دينها أو فى دنياها، حتى لو جاءت وأكلت عند واحدة من زميلاتها طعامًا لا تخجل أن تقول لها قولى لى: كيف عملت هذا الطعام، كونك تشعرين بالإحراج الآن ويضحكن عليك ويقلن: ما تعرفين أن تطبخى الأرز أو كذا سيسبب لك مشاكل لكن اجعليهن يضحكن عليك قليلاً أفضل من أن تبقى جاهلة بالموضوع.

ترى يا جماعة ما قتل العلم وقتل التطور مثل خجل الإنسان من السؤال عما يجهله.

أى شىء لا تعرفه اسأل عنه، حتى يكون عندك علم به.

وهذه نقطة مهمة، وأيضًا كذلك من يوجه إليه السؤال، إذ بعض الآباء عفوًا إذا سألته ابنته أو بعض الأزواج أو بعض المشايخ وربما طلبة العلم، إذا سأله سائل سواء امرأة أو رجل سؤالاً عاديًا يسخر به ويهزأ منه.

أنا ذات مرة اتصل بى سائل يقول:يا شيخ أنا صائم اليوم فى رمضان وأمسكت نفسى لم أتبول حتى قبل أذان المغرب بنصف ساعة واضطررت أن أذهب وأتبول فهل أقضى مع الإطعام أم أقضى فقط؟

قلت:ها. يظن أن التبول ينقض الصيام مثل الأكل والشرب. جهل طبعًا؛ لكنى لم أضحك عليه؛ بل شجعته قلت له: ما شاء الله عليك جزاك الله خيرًا، سؤالك جيد والله يوفقك وطَيب أن تسأل على الأشياء التى لا تعرفها وكذا؛ لكن يا أخى ترى هذا لا ينقض الصيام وصيامك صحيح، واحرص على أن تقرأ كتابًا عن أحكام الصيام حتى تستفيد أكثر.

لكن لو أنى قلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله يا أخى كم عمرك، قال: عمرى (٢٥) سنة، إنا لله.

متى أسلمت؟

يا شيخ، أنا مسلم مولود مسلمًا.

أنا يا شيخ عندكم فى السعودية أنا فى الرياض.

أيش شهادتك؟

أنا والله مع ثانوية، معاك ثانوية وتجهل هذه المسألة! فلابد للذى يُسأل أيضًا ألا يحتقر من يسأله حتى تشجعه دائما على أن يسأل.

دكتور، الخلاصة: أن الإنسان لم يخلق عالمًا، حتى العلماء لم يصلوا إلى هذه الدرجة وهذه المرحلة إلابالسؤال وبالكفاح والدراية والدراسة.

مثلما قيل:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا   وليس أخو علم كمن هو جاهل

دعونى أقف معكم وقفة على بعض الأمهات اللاتى طورن أنفسهن ثم كان لهذا التطور تأثير واضح على من جاء من بعدهن.

أم أحمد بن حنبل لم تكن طالبة علم لكنها كانت متميزة فى فهمها وعقلها وإدراكها، وكانت تحرص على أن يكون ولدها عالمًا فكانت تقول له: يا بنى -لأنه كان فقيرًا ونشأ يتيمًا- تقول يا بنى: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى،ما تحتاج أن تشتغل يا ولدى، أنا أغزل وأبيع وأنت اطلب العلم.

يقول: فانصرف فى طلب العلم حتى أستأذنها فى السفر من العراق إلى بلد آخر ليطلب العلم، فرجع إليها بعد أشهر.

فلما جاء قالت: يا ولدى قد عرفت من أصحابك من هو يحسدك ومن لا يحسدك.

قال: كيف؟

قالت: أما من يحسدك على طلبك للعلم فكان يأتى إلى ويقول: تركك ولدك لوحدك وأنت أنشئتيه وتعبت عليه كيف يتركك ويسافر؟

تقول: فهذا يحسدك ولا يريد أن تطلب العلم، انظر كيف هى فهمت وأما من كان

يقول: يأم أحمد، اصبرى أنت على خير وإن شاء الله أنت مأجورة وكذا فهذا يحبك.

أم سفيان الثورى كان لها تأثير عليه؛ لذلك أنا أدعو إخواتى إلى أن يأخذن مثل هذه النماذج؛ إذا طورن أنفسهن مثلما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

إذا كانت الأم متطورة بلا شك،أنها تؤثر على أولادها، وإذا كانت الأم جاهلة ولا تطور نفسها وليس عندها همة عالية فهذه لن تنتج لنا شعبًا إلا ربما مثلها، والزوجة بلا شك لها دور فالأم تؤثر على زوجها أيضًا أحيانًا.

أم سفيان الثورى كانت تشجعه أيضًا على طلب العلم، وهى أيضًا كانت تغزل وتبيع وتعطيه المال لأجل أن يطلب العلم، فقالت له: بعدما طلب العلم أسبوعين أو ثلاثة قالت: يا ولدى إذا كتبت عشرة أحاديث - لأنهم كانوا يذهبون يكتبون الأحاديث عن العلماء- إذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل أثرت فى دينك وإيمانك وعلمك، طورتك أم لا؟ فإن كان كذلك فاطلب عشرة أخرى وإن لم تكن أثرت فى ذاتك يا ولدى فبالله عليك اشتغل وأرحنى من الغزل، لأنى أنفخ فى قربة مشقوقة ممزقة، أحرك الرحى بدون قمح يطحن فكذلك حرص الأم فى الحقيقة على أن تؤثر.

أنا أدعو أخواتى جميعًا إلى أن يضعن فيهن مثل ما ذكرنا. أن يكون لدى الواحدة مشروع فى أولادى عندى مشروع فى ابنى أحمد أن يحفظ القرآن فى خلال كذا.

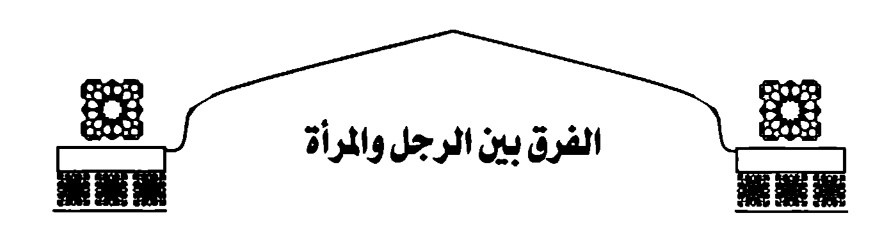
وعندى مشروع فى ابنى خالد أن يكون خطيب جمعة من الآن أدربه على الإلقاء.

عندى مشروع فى بنتى أن تكون كذا.

عندى مشروع فى فلان كما أنا عندى مشروع أن أفتتح بقالة أفتتح مستشفى أفتتح مستوصفًا، وكذلك أعمل مشروع فى أولادى حتى تنهض الأمة ويكون الجيل القادم فى الأمة الذى ربما ولد على آهات المسلمين والآلام قويًا لا تقتله هذه الآهات والآلام بل تزيده إصرارًا وشدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



الفرق بين الرجل والمرأة

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كنا نتكلم عن سير القوارير من الصالحات وحياة كل واحدة منهن ثم نأخذ طريقتها مثلاً فى الحياة فى تربية أولادها فى كيفية إسلامها مثلا إلى غير ذلك، كنا نتكلم فى هذا سابقًا.

واليوم سأحاول أن أسبح معكم فى بحر متلاطم الأمواج، بمعنى أن هناك بعض الشبهات التى تذكر كثيرًا حول النساء.

حاولت أن أجد فى سيرة النساء السابقات امرأة ممكن أن تكون قد أطلقت عليها هذه الشبهات من أجل أن أعرض سيرتها ثم نقتبس هذه الشبهات ونناقشها لكنى لم أجد امرأة اجتمع فيها ما أريد أنا من الكلام.

اليوم المشكلة: أنك تجد عددًا من الناس اشتهى أن يرى المرأة مخالطة له فى عمله، مقدمة له طعامه فى الطائرة، يرى جسدها ويستمتع به فى البحر فى كل مكان يريد أن يمتع نظره؛ فهو يبحث عن تحرير عينه لا عن تحرير المرأة فى الحقيقة، وعن استمتاع شهواته لا عن استمتاع المرأة فبدءوا يطلقون بعض الأشياء أحيانًا لأجل أن يصلوا إلى مرادهم.

أنا أعطيكم مثالاً على ذلك ولعل المثال يكون مبينًا لما أريد وما أقصد.

مثلاً: ولدى عمره إحدى عشرة سنة أنا أقول: له يا ولد لا تخرج إلى الشارع فى وقت الظهر، إذا جاء بعد صلاة المغرب مباشرة، ادخل البيت وذاكر دروسك، يا ولد ممنوع أن تشاهد التليفزيون بعد الساعة التاسعة، ليلاً ممنوع أن تستعمل الإنترنت إلا فى أيام آخر الاسبوع مثلًا الخميس والجمعة أو السبت والأحد فى بعض الدول.

أضع عليه ضوابط معينة لأجل مصلحته هو، ثم هو غدًا سيصل عمره إلى عشرين

أو ثلاثين ويتزوج وربما سكن فى بلد آخر ولا يرانى إلا فى السنتين مرة وبالتليفون فى الأعياد: كيف حالك يا أبى؟

فلو جاء ابنى إلى وقال: يا أبى، أنت صراحة تضغط على وأنت تمنعنى من حقوقى أنا أدعو إلى تحرير نفسى.

قلت: لماذا؟

قال: يا أبى ابن جيراننا أربعًا وعشرين ساعة فى الشارع كما يريد أربعًا وعشرين ساعة أمام الإنترنت ما عنده مسألة آخر الأسبوع أو أول الأسبوع، بل يشاهد التليفزيون فى الوقت الذى يشاء، إن شاء دخن، إن شاء تعاطى الحشيش، إن شاء شرب خمرًا.

يا أبى، أنت صراحة تضيق على وتصنع لى مشاكل، أنا أريد أن أتحرر من قيودك، فهل يحق له هذه المطالبة أم لا؟

الحقيقة لا يحق له؛ وذلك لأننى أنا إنما قيدته بهذه القيود لأجل مصلحته هو وليس لأجل مصلحتى أنا المثال واضح.

فانظر إلى القيود التى وضعتها الشريعة على الإنسان عمومًا، ليس على المرأة فحسب، بل وضعت على الرجل وعلى المرأة.

مثلاً هناك قيود على الناس جميعًا، ممنوع شرب الخمر، ممنوع أكل لحم الخنزير، ممنوع السرقة، ممنوع أكل الرشوة، يجب غض البصر، الرجل والمرأة كلاهما مطالبان بغض البصر.

الرجل حُرم عليه أشياء فى اللباس، لا يجوز أن يلبس الذهب لا يجوز أن يلبس الحرير.

أحلت هذه الأمور للمرأة.. فرب العالمين كما قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] خلق الرجل، ويختار له أشياء حلالاً وأشياء حرامًا، خلق المرأة، لها أشياء حلالاً وأشياء حرامًا.

المشكلة التى تقع اليوم: أن تجد عددًا من الناس من أصحاب الشهوات حقيقة؛ لأننى لما نظرت فيمن ينادون بانطلاق المرأة وتحريرها من الضوابط الشرعية وعدم

التفاتها إليها، لما نظرت فى أسمائهم عبر قرابة مائة سنة سابقة وجدت أنهم ليسوا من العلماء الناصحين، وليسوا من الدعاة النبلاء، وليسوا من الخطباء الحكماء بل ليسوا من الأطباء أيضًا الموفقين ولا من المهندسين المشهورين ولا من المخترعين.

إذا أردت أن تصنفهم وجدتهم أقوامًا عاديين، إما كاتبًا فى صحيفة، وإما رجلاً أراد أن يُذكر وأن يعرفه الناس وبالتالى بدأ يُظهِر للناس مثل هذا الكلام لأجل أن يشتهر.

مثلما ذكر بعضهم، يقول محمد كرد على فى مذكراته: وقد جرت العادة أن الذى يريد أن يشتهر يكتب فى صحيفة سبًا لأحد البارزين من أجل أن يشتهر ويقول الناس: رأيت ماذا كتب فلان عن فلان.

تذكرت عندها ما ذكره بعض المؤرخين أن أعرابيًا فى الحج أقبل إلى الناس وهم يشربون من زمزم فجاء الرجل والناس فى إحرامهم.

هذا يصب لهم فى الدلو وهذا يشرب فى كأس، فأقبل الأعرابى ورفع إزاره وأخرج ذكره وبدأ يبول فى البئر، الناس يشربون وهو يبول فى البئر فانطلق الناس إليه هذا يدفعه وهذا يمسكه وهذا يسبه وهم يقولون: من هذا؟

يقول: أنا فلان أنا فلان، يخبر باسمه، فبدأ الناس يقولون: لعنة الله على فلان لعنة الله على فلان.

اشتهر فأُخذ إلى والى مكة وقال له: لماذا تبول فى ماء زمزم والناس يشربون منه؟

قال: أردت أن يذكروا الناس اسمى ولو باللعن. حب الشهرة. أهم شىء أن يكون لى شأن.

فالمشكلة اليوم حقيقة أن هناك بعض القضايا الشائكة التى إذا تكلم فيها أحد ثار الناس عليه، فمن أراد أن يشتهر تكلم فيها.

أنا أجزم أنه لو جاء أحد ممن يريدون الشهرة بأي ثمن فكتب شيئًا أو قال كلامًا يخالف به الدين أو يخالف به المجتمع والناس، فسيجد الناس يتكلمون عنه وبذكر اسمه في الإنترنت والمنتديات ويصبح حديث الناس.

ونمرُّ مرورًا سريعًا على كيفية وضع المرأة ووضع الرجل أساسًا فى التكاليف الشرعية، فى المساواة، فى الميراث، فى الطلاق، فى القوامة، فى غير ذلك من الأشياء التى

ربما يتكلم بها كثير ممن يثيرون هذه المسألة.

فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: ٤٥] خلق الزوجين فجعلهما زوجين جعلهما مشتقين من نفس واحدة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] ثم قال: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

إذن هذان الزوجان، هل يقال: إن الله تعالى يحب هذا أكثر من هذا، أو يحب هذا أكثر من هذا؟

ليس هناك من الأدلة ما يدل على ذلك، بل الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] يجعل الميزان بالتساوى، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخر الآية قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

إذن المسألة فى الحقيقة فيها نوع من المساواة، الدين ساوى بين الرجل والمرأة فى كل شىء إلا فى أشياء معينة نقاط معينة لا تكاد تذكر.

تعالوا مثلاً الصلوات الخمس: أليس مساوى بين الرجل والمرأة فيها كلاهما يجب عليه أن يصلى الصلوات الخمس؟

صوم رمضان: كلاهما يجب عليه أن يصوم رمضان.

ساوى بينهما الزكاة كلاهما يدفع، ٥ , ٢ فى المائة من ماله.

الحج: ساوى بينهما فى وجوب الحج، يجب عليه الحج مرة واحدة فى العمر.

فى التلفظ بالشهادتين والتوحيد: كلاهما يجب عليه ذلك.

فى وجوب ستر العورة: كلاهما يجب عليه ذلك.

فى المحرمات: كلاهما يحرم عليه أن يشرب الخمر، يحرم عليه أن يأكل الخنزير، يحرم عليه السرقه يحرم عليه أكل الرشوة...

ما هى الأشياء التى ربما صار هناك نوع من المخالفة بين الرجل والمرأة، ما أقول: الترجيح، ولكنه التخصيص. الرجل خص بأشياء، والمرأة خصت بأشياء.



اللباس: مثلًا، الله سبحانه وتعالى لما ذكر المرأة قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨]. فى الحلية: المرأة نشأت على حب التحلى أصلاً فأباح الله تعالى لها أشياء: أباح لها الذهب، الحرير، تفصل الثوب طويلاً، وله أشكال معينة فى التحلى، وأباح لها مساحيق التجميل وغيرها، لا يجوز للرجل أن يضع مساحيق التجميل والتجمل تشبهًا بالنساء؛ الرجل لأنه لم يخلق لهذا وإنما خلق لعمارة الأرض.

لذلك الله تعالى خلق الرجل من تراب الأرض وخلق المرأة من ضلع آدم من عند قلبه حتى يعمل الرجل والمرأة تكون هى السكن الروحى له، ويدلك على ذلك قول الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨].

افرض الآن أن عندك ولدًا وبنتًا مثلًا دخلا إلى غرفة النوم، كلاهما توأم أعمارهما أربع سنوات، فى الغالب الولد أين سيتوجه والبنت أين ستتوجه؟

تجد البنت تتوجه إلى التسريحة وتعلب بـ(مكياج) أمها فهذا ما خلقت له.

ودائمًا الأم تخوف بناتها لا تخربوا (الماكياج) وتخربوا الكحل.

بينما الولد إما أن يتوجه إلى لعبة معينة وإما أن يتوجه إلى السرير يقفز عليه هذا هو الذى يحدث دائمًا؛ لأن الفتيات أصلا أنشئت على حب التحلى، سبحان الله! ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ وبالفطرة طبيعة العاطفه عند البنت أكثر من الولد

والذى أؤكد عليه: حقيقة أن الله سبحانه وتعالى ساوى بينهما.

الآن يقولون: نطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة.

نقول: الله ساوى بينهما فماذا تبقى؟ التكاليف الشرعية واحدة، بل الله تعالى خفف على المرأة أكثر.

يا أخى، المرأة فى رمضان لا تصوم ثلاثين يومًا متواصلة، لكن تستريح سبعة أيام.

لا تصلى مائة وخمسين صلاة فى الشهر، ونحن نصلى كل يوم خمس صلوات اضربها فى ثلاثين فهذه مائة وخمسون صلاة.

أما المرأة أسقط عنها صلاة سبع أيام، خمس وثلاثين صلاة ما تصليها، أو ثمانية أيام أو ربما أكثر من ذلك أثناء فترة الحيض.

والرجل يجب عليه أن يصلى فى المسجد يعنى الآن فى شدة البرد، فى الشتاء يؤذن

عليه الفجر فيجب عليه أن يستيقظ ويبعد الغطاء عنه ويخرج ويتلثم بغترته ويتوضأ بالماء ويخرج للبرد ويدخل المسجد ويصُف الصف، وربما الذى بجانبك كان غير معتنٍ برائحته أو يكون المسجد باردًا أو حارًا، والمرأة تقوم فى غرفتها وتتوضأ وتصلى ركعتين ثم تنام مباشرة.

والمرأة أيضًا خصها الله بلبس الحرير والتحلى بالذهب.

أنواع من الاستمتاع باللباس ممنوع منها الرجل، لو جاء رجل الآن وقال: يا أخى أنا أطالب بتحرير الرجل، قلت: كيف؟

قال: يا أخى، لماذا حرم الذهب؟! أنا أريد أن ألبس خاتم ذهب، أريد ألبس ساعة ذهب، أن أجعل نظارتى مطعمة بالذهب، أنا عندى ملايين دعنى أستمتع.

لماذا تقولون لى: اجعل ثوبك فوق الكعبين، يا أخى، زوجتى ثوبها يزحف ولم يتكلم عليها أحد.

يا أخى، أريد أن ألبس أنواع الحرير أريد أن أستمتع لا أريد أن أصلى فى المسجد يا أخى.

كل مرة قم صل الفجر ثم صل الظهر ثم صل العصر، يا أخى أنتم تتعبونى.

تقول: ومع ذلك الرجل يجب عليه أن يخرج ويصلى فى المسجد.

أو قال: أنا أطالب بتحريرى من الصلاة فى المسجد أطالب بتحريرى من الصيام ثلاثين يومًا متتابعة.

نقول: لا. الله سبحانه وتعالى فضل المرأة عليك فى هذه الأشياء.

والمشكلة أن هذه الأمور لا يذكرها الذين يدعون إلى ما يسمى بتحرير المرأة، بل دائمًا يذكرون الميراث.

لماذا تأخذ المرأة نصف ميراث الرجل؟

لماذا المرأة تلبس الحجاب والرجل لا يلبس الحجاب؟

لماذا لا تأذنون للمرأة أن تزوج نفسها أى شاب تريده؟

لماذا لا تأذنون للمرأة هى أن تطلق نفسها؟

يذكرون ثلاثة أو أربعة أو سبعة أمور ويتركون ألف شىء كلها قد أباحها الله

سبحانه وتعالى لها وخصها.

والله، إن ما يدعون إليه إنما هو تغيير للمرأة، ما هو بتحريرها، هو تقييد بشكل مبطن.

إن الذين يطالبون بتحريرها إنما هم يطالبون بتحرير شهواتهم هم لا بتحريرها هى.

هل تحريرها يا أخى أن تعرف أربعة أو خمسة شباب كل يوم فى شقة واحد ترقص له؟ هل هذا بالله هو التحرير هل تحريرها أن يلعب كل واحد بعواطفها ثم يلفظها كما تلفظ السيجارة تضعها تحت رجلك ثم تعبث بغيرها؟!!

يجعلونها كالوردة يأخذون عطرها وجمالها ثم ترمى.

ثم نقول: ما الحكمة من أن نصيب الرجل فى الميراث أكثر من نصيب المرأة يعنى ضعف نصيب المرأة؟

طبعًا توجد نقطة مهمة بالنسبة للميراث.

أولاً: الحال ليس دائمًا فى الميراث أن الرجل يأخذ مثل حظ الأنثيين، لأن هناك سبع حالات فى المواريث تأخذ المرأة مثل ميراث الرجل مثلما قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢]. يتساويان، إذا مات واحد وليس عنده أولاد وورثه إخوته وأخواته يتساوون يأخذن بمقدار بعض ما يأخذ الذكر مثل حظ الأنثيين، فهى حالات معينة فقط، يأخذ فيها الذكر مثل حظ الأنثيين والسبب فى ذلك -والله أعلم- أن الحقوق الواجبة فى مال الرجل أكثر من الحقوق الواجبة فى مال المرأة.

أعطيكم مثالاً:

لو جاء إلى اثنان من أولادى واحد يدرس فى الجامعة والثانى فى الابتدائية كلهم قالوا لى: يا بابا، أعطنا مصروف الأسبوع، فالطبيعى أنى سأعطى الذى فى الجامعة أكثر من الذى فى الابتدائى.

وذلك لو قال الذى فى الابتدائى: اتق الله، اعدلوا بين أولادكم.

نقول: صح يا ولدى هذا هو العدل، النبى ﷺ ما قال ساووا، قال: «اعدلوا بين

أولادكم» لأن الحقوق الواجبة على الذى فى الجامعة غير حقوقك أنت.

أنت تشترى عصيرًا وساندوتشًا. أما هذا فعنده سيارة يعبئها وقودًا ويغير الزيت ويشترى أحيانًا أغراضًا للبيت وكتبًا وغير ذلك.

أعطيكم مثالاً سريعًا..

افترض أن رجلاً مات وورَّثَ مائة وخمسين ألف وعنده ولد وبنت فقط الورثة، فكم يأخذ الولد وكم تأخذ البنت؟

الولد مائة ألف والبنت خمسين ألف.

البنت جاء واحد وخطبها بعد أسبوعين أو ثلاثة وأعطاها خمسين ألف مهرًا. فكم صار عندها؟ مائة ألف. جاءتها هدايا من عماتها وخالاتها بقيمة عشرين ألفًا، فكم صار عندها؟ مائة وعشرون ألفًا.

تزوجت وفى صباح زواجها لما دخل بها زوجها أعطاها طقم الماس بعشرة آلاف فكم صار عندها؟ مائة وثلاثون ألفًا.

وهى لم تصرف شيئًا؛ لأن زوجها يدفع أجرة السكن وإن سافر فهو الذى يحاسب على كل شىء ويتكفل بمصروفها كاملاً ويسدد هاتفها.

والمسكين أخوها هذا الذى نصيبه المائة الألف. بعد أسبوعين ثلاثة تزوجت أخته، فاحتاج أن يتزوج فذهب وخطب فتاة وأعطاها مهرًا خمسين ألف، فكم صار معه؟ خمسون ألف.

ذهب يجهز الشقة، اشترى غرفة نوم وفرنًا وثلاجة ومجالس وأصلح (اللمبات) ودفع الإيجار هذا كله بأربعين ألفًا فكم بقى معه؟ بقى عنده عشرة آلاف وصار يتسلف من أخته.

فيدفع الآن قيمة حفل العرس ويدفع تكاليف بعد الزواج أى: لعله يخرج بالسالب (بالناقص)، يخرج الرجل بعد زواجه مديونًا.

لذلك الله سبحانه وتعالى أوجب على الرجل الإنفاق على المرأة ولم يوجب على المرأة الإنفاق على الرجل، يعنى لو كان عندك زوجة تملك مليون ريال وأنت لا تملك إلا مائة ريال، فالذى يجب عليه أن ينفق على البيت هو أنت، ليس هى، كما قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وأما عن الإنفاق والماديات، هل المرأة المتزوجة وهى فى نفس الوقت معلمة لها راتب، هل يحق لها أن تصرف منه دون إذن زوجها وأيضًا أن تشارك زوجها فى مصاريف البيت أو لا؟

وهذا سؤال قوى ودائمًا تحصل مشاكل بين الزوجين بسببه، إذا كانت المرأة تملك مالاً فهل يجوز لها أن تنفق منه من غير ما تستأذن من الزوج، كأن تتصدق مثلاً: تساعد أمها وتساعد أخواتها؟

الأصل جواز ذلك، النبى عليه الصلاة والسلام، قالت له أم سلمة يومًا: يا رسول الله، أشعرت أننى أعتقت وليدتى؟ تعنى عندى جارية وأعتقتها. أى: مال تصدقت به.

فقال عليه الصلاة والسلام: «لو أخبرتنى لأمرتك أن تعطيها أخوالك فإنهم محتاجون» وكذا.

فهى تصرفت فى مالها ولم يمنعها النبى ﷺ فالأصل جواز ذلك، إلا إذا كان سيؤدى إلى مشاكل.

وأنا أقول من باب الألفة بين الزوجين.. الأصل أن المرأة إذا أرادت أن تفعل شيئًا، فعليها أن تراعي قوامة زوجها. يعنى مثلاً: إذا- دخل البيت ورأى شيئًا جديدًا، فقال: ما شاء الله متى اشتريتم هذا؟ قالت: فلوسى. حتى لو فلوسك فعلى الأقل أشعرينى أنى رجل.

رأى معها هاتفًا جديدًا، فقال: ما شاء الله متى اشتريتى هذا وهاتفك الأول ما صار له أسبوعان؟ فإذا قالت له: فلوسى أفعل بها ما أشاء؛ فهذا سيؤدى إلى مشاكل.

من ناحية الشرع يجوز أن تنفق؛ لكن من جهة الألفة بينهما والحفاظ على القلوب الأصل أن يكون بينهما نوع من التعامل الحسن.

الآن يتطرق الحديث عن المدرسات الزوجات فبعض الأزواج يستغل زوجته ما دامت مُدرسة ومعلمة ولها راتب.

أحيانًا يحدثنى بعض الأصدقاء أنه يملك بطاقة صراف الزوجة؛ ومتى وصل

الراتب يصرف هو الراتب ويستغله تمامًا ويقول: هذا حقى.

ومن يقول له: هذا حق الزوجة يرد ويقول: لا هذا حلالى وأن حر فيه، فالمسكينة تعمل وتشقى وآخر الشهر يذهب لزوجها.

والله يا أخى هذا من الظلم حقيقة، الأصل أنها ما دامت هى تعمل فالمال يكون لها إلا إذا اتفقت مع زوجها على شىء، لو قال الزوج: الأصل أننى تزوجتك والأربع والعشرون ساعة من يومك هى لى، يعنى: أنا زوجك فكونى أسمح لك بأن تستفيدى شخصيًا من تسع ساعات يوميًا أو ثمان ساعات وقت الدوام، أعطينى بدله. هذا عند الاختلاف وبعض القضاة عادة يحكمون به.

ومثلاً: إذا قالت: مقابل انشغالى بالعمل عن البيت، فأنا أعطيك جزءًا من راتب، أو أتحمل جزءًا من مصاريف الأولاد. فإذا اتفقا فلا بأس.

أما أن يأخذ بطاقة الصراف ويصير هو الذى يصرف كل شىء فلا.

ويوجد بعض الشباب الآن -ما دمنا نتحدث عن النساء- للأسف جرى عرف الآن بينهم أنهم يرفضون أن يتزوجوا بامرأة عاملة. وقد يكون الحكمة فى ذلك الاختلاط أو شيئًا من هذا القبيل، خاصة الممرضات أو الطبيبات؛ لأن طبيعة أعمال الطب والتمريض أنها شاقة.

وأنا أشبه حقيقة عمل الطبيبة وعمل الطبيبات بعمل العسكريين فهم دائمًا فى طوارئ.

يوجد استلام كل أسبوع ربما أحيانًا يحصل شىء معين فيضطرون إلى المرابطة فى المستشفى؛ كما لو وقع وباءٍ مثلا أو حصلت حرب معينة، يحتاجون إلى وجود الأطباء والطبيبات إلى غير ذلك، وإلا فأنا شخصيًا أفرح إذا رأيت طبيبة أو ممرضة محافظة ومتقنة فى عملها.

لأننا - يا أخى- لا بد أن نعتمد على أنفسنا بدل اعتمادنا على الآخرين.

هل تعلمون أنه يحدثنى أحد الأشخاص فى وزارة الصحة -قبل فترة- قبل سنتين، يقول: إن عدد الممرضات والممرضين من الفلبين عندنا فى المملكة يزيد على سبعين ألفًا.

يقول: لو حصلت مشكلة بيننا وبين الفلبين وقالت الفلبين لمرضيها وممرضاتها: لا تشتغلوا هذا اليوم. فستكون مشكلة فى المستشفيات؛ لأنهم هم الذين يغيرون المغذيات ويقيسوا الحرارة إلى غير ذلك

فأنا أدعو حقيقة- دائمًا الشباب والفتيات إلى سد باب التمريض قدر المستطاع، وسد باب التطبيب قدر المستطاع مع الحرص على الحشمة.

ولله الحمد عندنا فى البلد الآن كليات التمريض ليس فيها اختلاط، صح بعد التخرج ربما كان فيه نوع من الاختلاط؛ لكنا ندعو - ودعونا سابقًا كثيرًا - إلى وجود مستشفيات خاصة بالنساء طاقمها بالكامل خاص بالنساء.

يا أخى، هذه موجودة فى أمريكا وفى ألمانيا وفى غيرها، وموجود أيضًا عندنا أقسام معينة لها.

وأخيرًا فإن الذى يدندن عليه من يقول بتحرير المرأة، مسألة الميراث، ومسألة الطلاق، لماذا الطلاق بيد الرجل؟

وقد ذكرنا سابقًا أن الشريعة جعلت لإنهاء العلاقة بين الزوجين ثلاثة أبواب:

أحدها: بيد الرجل.

وثانيها: بيد المرأة.

وثالثها: بيد القاضى.

أما الذى بيد الرجل فهو الطلاق.

والذى بيد المرأة فهو الخلع، تأتى وتقول: لا أريدك. ولا يستطيع أن يلزمها.

ولا يلزم أن يكون ذلك بسبب، فيمكن أن يكون بلا سبب -لا أريد أن أفسد النساء على أزواجهم- لكن لو جاءت وقالت: أنا لم أحبه يا شيخ، وذهبت للقاضى وقالت له: أنا ما أحببته ولا أستطيع أن أعيش معه.

مثلما قالت امرأة الصحابى ثابت بن قيس: قالت يا رسول الله: إنى لا أعيب عليه فى خلق ولا فى دين غير أنى أبغض الكفر فى الإسلام. تقول: أنا أبغضه بمقدار بغضى للكفر.

لاحظ شدة البغض، تقول: لا أعيب عليه خلق ولا دين، أخلاقه جيدة ودينه جيد؛

لكن أنا ما وضع الله فى قلبى حبًّا لهذا الرجل.

النبى ﷺ قال: «**تردين عليه حديقته؟**» كان أعطاها حديقة مهرًا.

قالت: نعم، أرد الحديقة.

فقال النبى ﷺ: «**خذ الحديقة وطلقها تطليقة**» فطلقها تطليقة.

يقولون: فتزوجت رجلاً آخر هو عبد الرحمن بن الزبير، فما أعجبها واشتاقت إلى زوجها الأول، ورجعت للنبى ﷺ تبغى ترجع للأول إلى آخر القصة، فهى ليست موضوعنا.

لكن أوردتها؛ لأجل أن أبين أن الله تعالى لم يجعل المِفتاح بيد الرجل فقط، ولكن حتى المرأة بيدها مفتاح.

الباب الثالث من أبواب إنهاء العلاقة: بيد القاضى - واسمه الفسخ - وهو أن القاضى يفسخ النكاح إذا لاحظ مثلاً أن بقاءهما مع بعضهما فيه نوع من الإفساد كأن يكون كلاهما يتعاطى مخدرات...ومع بعض أو أى طريقة من الطرق إذا كان فيها أى نوع من الفساد بينهما فإن القاضى يملك ذلك.

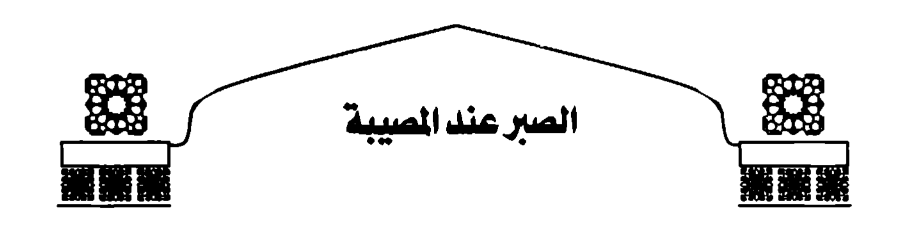
حقيقة بقى معى كلام كثير حول قوامة الرجل على المرأة، ما أسبابها؟ وحول سير بعض النساء الناجحات فى التجارة، الناجحات فى الدعوة،الناجحات فى الطب، من السابقات ومن اللاحقات؛ لكن نكتفى بهذا القدر.

جزاكم الله، والله يوفقنا وإياكم.

وأسأل الله ألا يحرمكم عظيم الأجر وجليل الثواب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



الصبر عند المصيبة

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات، وأسأل الله تعالى لى ولكم التوفيق والسداد.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى كل خير.

كنت أقرأ قبل فترة حول معركة أحد وكيف أن المسلمين أصابهم فيها ما أصابهم من قتل سبعين من الصحابة، مثلما قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾[آل عمران: ١٦٥] .

فى معركة بدر المسلمون قتلوا من الكفار سبعين وأسروا سبعين فقال الله تعالى لهم: أنتم قد أصبتم فى العام الماضى مثل ما أصابوا منكم هذا العام.

فأنتم أصبتم مائة وأربعين وهم أصابوا فقط سبعين، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾﴾

[آل عمران: ١٦٥] .

فالنبى عليه الصلاة والسلام قتل معه مجموعة كرام من الصحابة النبلاء الشجعان، لكن سبحان الله قضاء الله تعالى وما شاء فعل وقدر.

لما رجعوا كانت النساء والصبيان والناس عمومًا ينتظرون مقدم الجيش لينظروا إلى أهلهم الذين جاءوا، فكانت امرأة من بنى النجار قد قتل أبوها وأخوها وابنها وزوجها؛ انظر إلى الفجيعة، قتل هؤلاء كلهم بين يديها الآن قتلوا فى المعركة، وهى تنتظر الآن.

كونهم يقولون: مات أبوك، قد تتحمل بعض الشىء؛ فإذا قالوا: مات أخوك معه، فعلى الأقل بقى ابنى وزوجى؛ لكن أيضًا ابنك مات وزوجك مات، أى: الذى ستبكين عليه ليس واحدًا، فكل الأربعة ماتوا. تخيلى أى واحد منهم واعلمى أنه مات.

فلما أقبلوا إليها، قالوا: قتل أخوك.

قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا: قتل أبوك أيضًا. يخبرونها تدريجيًا.

قالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ وما قالت: ولدى وزوجى فإلى الآن لم تسأل عنهم.

قالوا: وقتل زوجك أيضًا.

قالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟.

قالوا: وقتل ولدك. العائلة كاملة كلها راحت.

قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا: هو سالم وصالح.

قالت: أين هو أريد أن أراه؟

فأقبلوا بها إلى النبى ﷺ فإذا هو مصاب النبى ﷺ كسرت رباعيته -أسنانه الأربعة التى بين الأنياب- وشج رأسه وجرح وجهه وجرحت ركبته فهو عاد ﷺ مصابًا أيضًا من المعركة جريحًا والدم على ثيابه.

فلما رأته قالت: أما إذ رأيتك سالمًا يا رسول الله فكل مصيبة بعدك جلا تعنى ليست بشىء.

حقيقة هذه القوة والثبات على الصبر على المصائب التى تصيب الناس قل أن تجد لها مثيلاً اليوم.

أذكر قبل فترة إحدى الأخوات الفلسطينيات سموها بخنساء فلسطين، كل أبنائها الأربعة قاموا بعمليات استشهادية وقتلوا مجموعة من اليهود.

وكانت هى مع كل واحد منهم قبل أن يذهب تتصور بجانبه ثم يذهب ويستشهد.

فقالوا لها بعد أربعة أولاد. كل واحد تودعه، فى آمان الله يا ولدى اذهب اقتل وقاتل.

فقالوا لها: كيف صبرت؟

قالت: والله أنا دينى وبلدى أغلى عندى من أولادى.

فهذه المرأة من بنى النجار، إذا تأملت وجدت أن الدين عندها ورسول هذا الدين

النبى عليه الصلاة والسلام أغلى عندها من هؤلاء الأربعة، أغلى من زوجها وأغلى من ولدها وأغلى من أخيها وأغلى من ابنها.

أما إذا رأيتك سالمًا يا رسول الله؛ فكل مصيبة بعدك جلا.

قدرة الإنسان يا جماعة على التعامل مع مصائب الحياة، وخاصة المرأة تدل على قوة إيمانها.

لذلك أنا سأتكلم بشىء من التفصيل حول هذا الموضوع وذلك أن المرأة تغلبها العاطفة فى كثير من الأحيان، ربما فى أمور المرض أو الموت أو نحو ذلك، تجد أنها لا تمسك نفسها؛ لذلك النبى عليه الصلاة والسلام حذر من أشياء قالﷺ : **«أنا برىء من الحالقةوالشاقة ومن دعى بدعوى الجاهلية.... »** إلى آخره.

لماذا قال الحالقةولم يقل الحالق؛ الحالقة هى التى تحلق رأسها عند وقوع المصيبة عليها، والشاقة هى التى تشق جيبها، إذا قالوا: فلان مات،أمسكت جيبها وشقته

ويقول النبى ﷺ: «أنا برىء منها»، لماذا لم يقلها للرجل؟

لأن المرأة فى الغالب تغلبها عاطفتها وربما تكون أضعف ولا تمسك نفسها وتنطلق باكية فى مثل هذه المواطن.

كذلك قال عليه الصلاة والسلام: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها -المرأة التى تنوح دائمًا فى كل شىء تنوح على المصائب وتصرخ ونحو ذلك قال: إذا لم تتب قبل موتها- **تقام يوم القيامة عليها درع من قطران وسربال من جرب**، -يعنى عليها لباس من النار والعياذ بالله- **تعذب فيها فى النار»**.

فلا شك حقيقة أنه لابد أن الإنسان يكون عنده أنواع من ذلك.

أنا سأورد لكم قصة واقعية لأحد الأطباء كان قد حدثنى بها.

أحد الإخوة يعمل استشاريًا فى إحدى المستشفيات، أحد زملائى يقول: فأقبلت إلينا امرأة معها ولدها مريضًا عمره سنتان ونصف. يقول: فهذا الولد كان مصابًا أصلاً بضعف فى الجسد وعدة أمراض كانت قد نزلت به، لا أدرى هل هى من ولادته أم أصابته بعد ذلك؟لكن الولد فى هذا السن سنتين ونصف.

يقول: فلما وضعناه عندنا فى المستشفى وبدأنا نعالجه اشتد الأمر على هذا الولد

وصار عنده أول شيء نزيف فى القصبة الهوائية وانقطع عنه التنفس خمسًا وأربعين دقيقة.

يقول: فجئت إليه وهو فى الإنعاش فى العناية المركزة والولد جثة هامدة. فوجدت الأم معها مصحف أزرق صغير تقرأ منه. جالسة عنده.

فقلت: السلام عليكم أنت أمه؟

قالت: نعم.

قلت: والله ما أدرى لكن حتى لا تكون المصيبة عليك عظيمة احتسبى عند الله تعالى الولد فحالته خطيرة ولا أدرى إن كان يكمل أسبوعًا أم لا يكمل ولكن احتسبى عند الله.

يقول: والله ما قالت لى: طيب ماذا به يا دكتور؟ ما العمل؟ لكن قالت: استعنت بالله اللهم اشفه، وفتحت مصحفها وقرأت.

يقول: كان زوجها موجودًا، وأراد أن يسألنى فقالت له: لا تسأل ولا سؤال أرجوك، لا تسأل ولا سؤال،ولكن استعن بالله وادع له الله.

يقول: فخرجت.

يقول بعد ثلاثة أو أربعة أيام، شفى من هذا النزيف ثم أصابه بعد أسبوع نفس النزيف. فجئت إليها قلت: هذه المرة لعل الولد انتهى.

قالت: استعنت بالله اللهم اشفه، زوجها أراد يسألنى فقالت: لا تسأل عن شيء.

يقول: وخلال شهرين أصابه هذا النزيف ست مرات، وكل مرة أقول لها: الولد انتهى والمرأة لا تزيد على أن تقول: استعنت بالله اللهم اشفه. وتقرأ مصحفها. والطبيب موجود.

يقول: فبعد أن أكمل شهرين ونحن نعالجه كل مرة، أصيب بخراج فى الدماغ ففتحنا رأسه وحاولنا أن نعالجه ثم اشتدت عليه الغيبوبة.

قلنا: يا (بنت الناس) الولد هذه المرة لا أظنه يفلت.

قالت: استعنت بالله اللهم اشفه.

يقول: والله كلما مررت فى قسم الإنعاش أمر أنظر إلى الولد فإذا الأم تقرأ القرآن

عنده.

يقول: فبعد قرابة الأسبوعين أو ثلاثة بدأت الحرارة ترتفع عنده وتنخفض وصار عنده أنواع من الاضطرابات فأصيب الولد بفشل كُلوى جئت إليها. قلت: هذه المرة لا يوجد كلام.

الولد هذا كيف ينجو؟

سبحان الله ولدك عنده فشل كلوى بهذا السن ولو سيغسل كل مرة... أبين لها أريد أن تسألن.

الطبيب يريد أن تناقشه كيف؟ ماذا تفعل؟

يقول: وهى لا تنطق بكلمة. إنما تقول: بارك الله فيك. جزاك الله خيرًا، استعنت بالله اللهم اشفه يا رب العالمين، وتفتح المصحف.

يقول: بعدها بفترة الولد وقد شفى من الفشل الكلوى.

يقول: ثم أصيب بمشكلة عند الغشاء البلورى حول القلب. إنا لله.

يقول: وأصيب بغيبوبة، فقلت: الظاهر أن الولد مات دماغيًا.

فقالت: استعنت بالله اللهم اشفه.

يقول: جلس الولد سنة وشهرين عندنا بين مرض إلى مرض والمرأة ترافقه طوال السنة وشهرين لا تخرج إلا قليلاً حتى إنى أقول: أين أولادها الآخرين؟ لأن من الواضح أن المرأة ليست شابة بل امرأة كبيرة قليلاً؛ فأكيد هذا الولد هو رقم ثمانية أو تسعة أو عشرة عندها؛ فأين بقية العائلة؟ لماذا لا تذهب إليهم؟ زوجها يأتيها فقط.

يقول: بعد سنة وشهرين خرج الولد سليمًا معافى يمشى بجانبها، يقول: لم تنته القصة بعد، فبعد سنتين يقول فإذا بالسكرتير يتصل بى، قال: فى العيادة توجد امرأة مع زوجها وطفل أو طفلين يريدون أن يسلموا عليك.

يقول: أنهيت الذى عندى وأقبلت إلى العيادة فلما رأيت الطفل تذكرته وإذا هو ما شاء الله نشيط عمره أربع سنوات ونصف وإذا معها فى حجرها ولد عمره سنة تقريبًا وبخير.

يقول: فقلت ما شاء الله هذا صاحبنا الذى كان قبل سنتين. قالوا: نعم.

فقلت للأب: قلت ما شاء الله هذا ولدك الكبير هذا أبو أربع سنوات هذا رقم (كام) من أولادك؟ لأنه فى الأيام الماضية صعب عليه أن يسأل والولد مريض.

فقال: والله يا دكتور نحن تزوجنا ولبثنا سبع عشرة سنة لم نرزق بأولاد.

ثم هذا الولد المريض كان وحيدنا فى ذلك الحين، فأصيب بها أصيب به، والأم يا دكتور واقفة معه فى الإنعاش وهى ليس عندها إلا هذا الولد بعد انتظار سبع عشرة سنة. ومع ذلك انظر صبرها.

يقول: والآن رزقها الله بالثانى هذا وإن شاء الله البقية فى الطريق.

دكتور عكس تمام القصة التى ذكرتها تجد أحيانًا الشخص يبتلى فى أولاده بأمراض فإذا ببعض النساء هداهن الله يقلن: ما ذنب الطفل هذا مصاب أمراض سرطان وأمراض خطيرة فما ذنب هذا المسكين الذى لا يتجاوز عمره خمس سنوات؟

سبحان الله تعترض على حكم الله. هذه مشكلة.

ومنهم من يقول: حرام هذا طفل صغير برىء أن يصاب بهذا.

والله هذه مشكلة مسألة الاعتراض على القدر.

بالمناسبة السرطان بعض الناس تسميه (المرض الخبيث) والشيخ ابن عثيمين رحمه الله أصيب بهذا المرض فى أواخر حياته، فكانوا يقولون: يا شيخ المرض الخبيث.

فيقول: إذا كان المرض يؤجر عليه الإنسان فليس خبيثًا، هذا نعمة يكفر الله تعالى به من خطايانا فلا تقولوا: خبيث قولوا: المرض الخطير، ولا يأتى من الله خبيث.

فالله سبحانه وتعالى لا يُقدر على الإنسان شرًّا محضًا؛ لكنه مرض خطير عمومًا، والإنسان إذا صبر فله الظفر؛ لذلك النبى ﷺ يقول: **«عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير إن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له»**. ثم قال: **«وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**.

النقطة هذه مهمة: وهى أحيانًا الاعتراض على قدر الله، أنت إذا اعترضت على قدر الله فلن يقدم ولن يؤخر شيئًا هذا. كل ما فى الأمر أنك ستحرق أعصابك وتضيع أجرك، أنا لما أصاب بمرض أو يصاب ولدى بمرض وأبدأ أقول: ليش يا ربى؟ طيب

كونك تبكى ليلاً ونهارًا لن يرفع عنك المرض هذا؛ لذلك حتى النائحة إذا جاءت عند الميت وشقت جيبها وحلقت شعرها وصاحت بأعلى صوتها ما رأينا ميت صيح عنده بهذا الصياح فعاد للحياة يبقى ميتًا.

إذن فما الفائدة من ذلك؟

النبى عليه الصلاة والسلام بين أنه يدعى عند الميت ويستغفر له إلى آخر ذلك.

أما مثل هذا الصياح والنياح فلا يغنى عنه شيئًا؛ لذلك النبى عليه الصلاة والسلام لما مر يومًا بامرأة عند قبر فرآها تبكى عند قبر فقال ﷺ: **«يا أمة الله اصبرى»**.

المرأة مع شدة البكاء وولدها الذى مات فهو ثمرة قلبها وحبة فؤداها.

والولد له مكان فى قلب أمه وأبيه، فلم تعرف النبى عليه الصلاة والسلام مع البكاء ولم تنتبه إلى أن هذا هو رسول الله ﷺ فسمعت رجلاً الذى هو الرسول ﷺ يقول لها: **«يا أمة الله اصبرى»**.

فقالت: إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى.

أنت لو جاءتك مصيبتى لم تقل لى: اصبرى، فالنبى ﷺ سكت؛ **لأن نفسيتها الآن** غير مناسبة لزيادة النصيحة، أنا نصحت ما قبلت؛ فنفسيتها الآن ما تتقبل فمضى النبى عليه الصلاة والسلام إلى بيته فقيل لها: أتدرين من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ. قالت: النبى ﷺ؟ قالوا: والله النبى.

فذهبت مباشرة إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام وطرقت عليه الباب فلم تجد عند بابه بوابين لا يوجد ناس يقولون: ممنوع الدخول، فطرقت الباب وقال: **«ادخلى»** فدخلت قالت: يا رسول الله اسمح لى والله ما دريت أنه أنت، فقالت: الآن أصبر يا رسول الله، فقال ﷺ: **«لا إنما الصبر عند الصدمة الأولى»**.

الصبر الذى يؤجر عليه الإنسان الأجر العظيم يكون أول ما تأتى الصدمة، أما بعد الصدمة بساعتين أو ثلاث أو أربع عشرة، يوم أو يومين فكل الناس يصبرون.

لذلك تجد أنك قد تأتى إلى مجموعة تقول مثلاً: أبوكم صار له حادث ومات، فيتنوعون فى قوة الصبر: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]؛ لكن غدًا وبعد غد فكلهم سواء.

لكن متى يأتى الفضل الحقيقى؟ الفضل الحقيقى يأتى عند الصدمة الأولى.

فضيلتك، تتكلم فى نقطة البكاء على الميت هل الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟

أحسنت جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، والعلماء لهم كلام فى شرحه:

قال بعضهم: إنه إذا كان قد بالبكاء عليه فيعذب بذلك؛ لأنه عمل معصية وأوصاهم بها مثلما كان فى الجاهلية يقولون: أحدهم لما جاءه الموت:

قال:

فإن متُّ فانْعَيني بما أنا أهلُهُ وشُقِّى علىّ الجيبَ يا ابنة معبدِ

يوصيها يقول: إذا مت فشقى جيبك وافعلى كذا.

هذا كان يفعلونه فى الجاهلية.

وقيل: يعذب ببكاء أهله عليه يعنى: يبلغه ذلك فيتألم؛ لماذا عذبوا أنفسهم بالبكاء.

وقيل غير ذلك؛ لكن الله تعالى لا يظلم أحدًا أبدًا، لا يمكن أن يفعلوا المعصية وهو يعذب.

يا شيخ، فى بعض الدول وقت العزاء يظلون يسمعون القرآن فى ثلاثة أيام العزاء.

موضوعنا الآن لا يتعلق بالتعزية يا عاصم أو ما يتعلق بها؛ لكنى سأجيب سؤالك؛ لكن لا ينفتح الباب حول التعازى وأحكام العزاء.

الاجتماع عند الميت بعد موته كنا تكلمنا عنه سابقًا، وذكرنا أنه ليس من السنة **الاجتماع ببيت الميت وقراءة القرآن ليس من السنة، إنما يدعى له ونحو ذلك.**

وهناك الصبر على المعاصى وأعنى به مثلاً رجلاً يشاهد أفلامًا خليعة مثلاً أو رجلاً مدخنًا أو واقعًا فى أى معصية أو امرأة مثلاً تكلم رجلاً تقول: والله أنا حاولت أن أتركه أكثر من مرة؛ ولكن ما استطعت وهى أصلاً ما صبرت على تركه.أو من الرجال أيضًا يكلم امرأة.

ذكرتنى بالكلام على أنواع الصبر، الصبر من أنواعه ما ذكره محمد وهو الصبر عن المعصية: أن الواحد يود لو يشاهد فيلمًا خليعًا لكن يقول: أنا بأصبر نفسى وأذهب عنه.

أو سافر إلى بلد معين وسكن فى فندق أو شقة مفروشة والدش موجود فيه أعداد كثيرة من القنوات فبدأ يمر عليها ويمشى عليها بالريموت، فإذا بأشياء خليعة فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويغلقه. ووضع رأسه كى ينام.

فقال إبليس: شغله شغله، فصبر ولم يشغله ولم ينظر إلى هذا، هذا صبر عن المعصية.

لذلك ليس الصبر فقط عن النظر إلى الحرام، الصبر عن ترك التدخين مثلما أشار محمد أيضًا، الصبر عن ترك الشات المحرم والمكالمات المحرمة، الصبر عن عدم الذهاب إلى أماكن المعصية.

بعض الناس الآن يكون عندهم مثلا يكون فى بلد يوجد فيها مراقص وبارات ويوجد أماكن محرمات، فلا يصبر فتجده جالسًا فى المقاهى وغيرها. فلا يصبر ويبدأ يذهب إلى هذه الأماكن.

نقول: يا أخى اصبر عن المعصية فهذا من أعظم أنواع الصبر، الصبر عن معصية الله.

يا شيخ، فى المقابل هناك الصبر على الطاعات تجد مثلاً الآن الجو باردًا وفى الصيف يوجد ناس يستعظمون الذهاب إلى المساجد أو شيئًا من هذا القبيل؛ فالصبر أيضًا على الطاعات.

الصبر على الطاعة طبعًا الطاعة يكون فيها نوع من المشقة أو التكليف لذلك هى تكاليف شرعية لا بد أنك تتحملها مثل مثلاً: القيام لصلاة الفجر، عندما يأتى إنسان وينام قبل الفجر بساعتين وهو متعب كـ(أن) يكون عاملاً مثلاً فى عسكرية أو أى مكان وجاء وهو متعب تعبًا شديدًا ثم أذن الفجر فطلب أن يقوم يصلى مع الجماعة وهو ما زال نائمًا منذ فترة قليلة فهو الآن يحتاج إلى صبر على الطاعة لئلا ينام عن الصلاة.

الصبر على قراءة القرآن..

أحيانًا الواحد منا يقرأ القرآن فإذا قرأ صفحة مل وأراد أن يضع المصحف. نقول: اصبر على الطاعة، ذلك الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر: ١٠] ، ويقال لأهل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[الرعد: ٢٤] إذًا المسألة صبر ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟

وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]

يقول شيخ الإسلام بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين.

الصبر على الابتلاء والعذاب، فقال رسول الله ﷺ **«صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»**. أحسنت.

الصبر على الابتلاء فى سبيل الله مثلما ذكر واستشهد آل ياسر: سمية بنت خياط وزوجها ياسر، وابنهما عمار لما كانوا يعذبون البلاء.

كذلك بعض الناس قد يبتلى أحيانًا فى دينه. بعض الأخوات مثلاً مع حجابها وتحصنها تبتلى فى دينها فيستهزئ بها أحد. أمها تقول: لماذا تتحجبين؟ وتهدد بالفصل من عملها.

نقول: اصبرى على هذا البلاء أنت مأجورة على هذا. امرأة مثلا تبتلى بزوج مثلا أخلاقه سيئة معها وعندها أولاد تريد أن تربيهم تربية حسنة نقول: اصبرى على البلاء أنت مأجورة على هذا.

إنسان ابتلى أحيانًا بمرض أصابه فى نفسه أو فى ولده، أو ابتلى بفقر.

نقول له: يا أخى هذا كله بلاء سواء ابتليت فى أمور دينك، أو ابتليت فى أمور دنياك أو ابتليت فى أولادك، أو ابتليت فى مالك أو ابتليت فى أى شىء؛ فينبغى على الإنسان أن يعود نفسه أن يصبر على البلاء وهذا هو النوع الثالث من الصبر.

ذكرنا الصبر عن المعصية والصبر على الطاعة والصبر على المصائب والبلاء المصائب منها موت الأولاد وغير ذلك.

كيف يستطيع الإنسان يا جماعة أن يصبر على المصيبة؟ كيف يستطيع أن يوطن نفسه ويعودها على أن إذا مات ولده أو أصاب بيته حريق وذهب ماله أو سرقت سيارته أو أصابه أى مصيبة أن يصبر؟ كيف يستطيع أن يوطن نفسه؟

يتخيل مقدار الأجر المترتب على هذا، لذلك أحد السلف لما جاءوا إليه وقالوا: قد مات ولدك.

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يقولون ثم تبسم.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وقام ليغسله ويكفنه، فقالوا له بعد العزاء قالوا: لماذا

تبسمت؟

قال: حزنت فلما تذكرت قول النبى عليه الصلاة والسلام: **«ليس للمؤمن جزاء إذا قبض الله تعالى حبيبه أو صفيه فى الدنيا فصبر فليس له جزاء إلا الجنة»**.

يقول: فلما تذكرت هذا الحديث تبسمت فرحًا بهذا الحديث.

لأن النبى ﷺ يقول إذا قبض الله تعالى صفيه فى الدنيا صفيه ليس ولده فقط حتى لو عندك صاحب، صديق، صفى لك أو أخت أو مثلاً امرأة عندها خالة عمة إلى آخره، صفية لها إذا قبضها الله تعالى وصبرت الباقية فى الدنيا فليس لها جزاء إلا الجنة.

والله يا شيخ، من الصبر الصبر على لبس الحجاب وسط الاستهزاء به، دائمًا يستهزئون بالمحجبات وطالبات الجامعات وما شابه ذلك.

هذا أيضًا من أنواع الصبر على البلاء أن المرأة إذا تمسكت بدينها قد أحيانًا يأتيها شىء من الاستهزاء فيحتاج منها أن تصبر.

أحيانًا السماع المحرم يقال: يا أخى أزعجتنا اقفل الموسيقى، فيقول: لا يا أخى... إلخ.

فاصبر على مثل هذا البلاء..

احتساب الأجر يا شيخ مثل وفاة زوج أم سلمة عندما جاءت الرسول ﷺ فذكرت أنه توفى زوجها، فعوضها الله خيرًا من أبو سلمة عوضها بالرسول ﷺ.

أحسنت أحسنت لما قال لها النبى ﷺ لما أصيبت بمصيبة موت زوجها قال لها قولى: **«اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرًا منها»**. أجرنى وأخلف لى خير منها.

فلما قال لها النبى ﷺ: قولى هذا الدعاء.

قالت: ومن خير من أبى سلمة زوجى أنا لا أجد خيرًا منه؟

قال: قولى أنت فقط وييسرها الله.

فقالت: اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرًا منها، عوضنى أحسن منها، فلما اكتملت عدتها فإذا يأتيها الرسول ﷺ خاطبًا، وهى تقول: من خير من أبى سلمة؟ وإذا بالنبى ﷺ يأتيها.

فكذلك ينبغى على أن الإنسان أن يتبع المنهج الشرعى فى التعامل مع المصائب،

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

نحن لك يا رب العالمين تفعل بنا ما تشاء، سمعى وبصرى ومالى وجسدى وأولادى ومعيشتى ووظيفتى كلى لك وأنا إليك راجع يا رب العالمين.

وكذلك الدعاء، اللهُمَّ أجرنى فى مصيبتى، أجرنى يعنى: كن جوارًا لى، كن معينًا لى فى مصيبتى.

أنت لو تصاب بمصيبة معينة، ويأتى إليك إنسان مسئول كبير وعنده أموال ويقول خلاص: اعتبر أنى أخوك فى هذه المصيبة، ارتحت. تقول: لو احتجت مالاً أو شفاعة أو واسطة فهذا الرجل موجود.

فما بالك عندما تقول: يا ربى أنا أريدك أن تجيرنى مثلما قال: أبو الحسن التهامى لما مات ولده يقول فى قصيدته:

حكمُ المنية فى البرية جار	ما هذه الدّنيا بدار قرار
بينما يرى الإنسان فيها مخبرا	حتى يرى خبراً من الأخبار
ومكلّف الأيامِ ضد طباعها	متطلّب فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيلَ فإنما	تبنى الرّجاءَ على شفير هار
طبعت على كدر وأنت تريدها	صفوًا من الأقدار والأكدار

إلى آخره فهى قصيدة طويلة.

ثم قال عن ولده:

يا كوكبًا ما كانَ أقصرَ عمرهُ	وكذَاك عمرُ كواكب الأسحار
جاورت أعدائى وجاور ربّهُ	شتان بين جواره وجوارى

يقولون: فلما مات أب الحسن التهامى رئى فى المنام، فقيل: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لى.

قيل: بم؟

قال: بقولى فى رثاء ولدى:

جاورتُ أعدائى وجاور ربّهُ	شتّان بين جواره وجوارى

فأنت إذا طلبت جوار الله، أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرًا منها بلا شك أن هذا كله يكون له فضل.

- الصبر من صفات الأنبياء:

أحسنت الصبر جميل. الصبر من صفات الأنبياء لذلك لو لم يصبر الأنبياء على دعوتهم أو نحو ذلك وإلا لما استمرت الدعوة.

أسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد، إن يجعلنا الله تعالى من الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

نسأل الله أن يكفينا شر المصائب.

أشكر لكم أيها الإخوة والأخوات مشاهدى قناة (اقرأ)، أشكر لكم هذا الإنصات، جزاكم الله خيرًا. إلى لقاء آخر إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



السيدة عاتكة

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم جميعًا أيها الإخوة والأخوات، والله أسأل أن يوفقنى وإياكم لكل خير.

نحن كما جرت العادة فى كل لقاء نتعرض لسيرة امرأة ممن قال فيهن النبى عليه الصلاة والسلام: «**رويدك يا أنجشة، رفقًا بالقوارير**».

القوارير باختصار: ذكرنا مرارًا وهو أن النبى عليه الصلاة والسلام كان قادمًا من سفر ومعه حادٍ يحدو بالإبل، ما معنى يحدو بالإبل؟ أى: ينشد بصوت جميل ورخيم بحيث الإبل إذا سمعت ذلك أسرعت فى مشيها.

وذكروا في الحداء أشياء عجيبة.

فقد قرأت للأصعمى أنه قال: إن رجلاً نزل على رجل فى الصحراء فرأى عبدًا موثقًا.

فقال هذا العبد الموثق لهذا الضيف: بالله عليك اشفع لى عند سيدى أن يطلقنى ويسامحنى.

قال: ما جريمتك؟

فقال له: اسأله ما جريمتى، فسأل السيد، قال: ما هى جريمة هذا العبد؟

قال: هذا العبد قد قتل عندى أكثر من خمسين من الإبل.

قال: كيف؟

قال: نعم.

قال: كيف؟

قال: له صوته حسن، وجاء بالإبل من مكان بعيد، والأصل أنها تمشى ثلاث أو أربعة أيام حتى تصل إلينا.

لكنه كان فى عجلة من أمره؛ فحدا بها فسارت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد، تسرع وتركض.

يقول: فلما وصلت مات منها خمسون من شدة التعب.

يقول: فما صدقت.

قلت: أيعقل أن يصل إلى هذه الدرجة؟

قال: معقول إلى هذه الدرجة.

قلت: بالله عليك أريد أن أسمع صوته.

قال: يا أخى من غير مناسبة الإبل تسمع.

قال: بالله أريد أن أسمع صوته.

يقول: ففكه من وثاقه وقال: له احدُ.

قال: فصرخ حاديًا يعنى بشعر ملحن ولحن جميل.

يقول: فكان أحد الإبل مربوطًا بدلو البئر حتى يستخرج الماء، يقبل إلى البئر ويدبر عنها حتى يستخرج الماء من البئر.

يقول: فلما سمع هاج وقطع الحبل وأخذ يجرى فى الصحراء من حسن صوته.

هذه ذكرها الأصمعى؛ لكنى أقصد أنها تتأثر بذلك.

المقصود: أن النبى عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا الحادى قال: **«رويدك يا أنجشة: رفقًا بالقوارير»**، يعنى النساء الراكبات على الإبل؛ لأنه خشى عليه الصلاة والسلام أن يسقطن من سرعة الإبل.

نعود إلى موضوعنا، اليوم سأتكلم عن امرأة هى من المؤمنات الأولات ومن المهاجرات الأولات وممن بايعن النبى عليه الصلاة والسلام وأبوها رجل من خيار الناس فى الجاهلية ولم يدرك الإسلام لكنه كان على خير وعلى صلاح وكان على بقايا دين إبراهيم عليه السلام.

هذه المرأة كان قد تزوجها عبد الله بن أبى بكر، ثم قتل عنها وكان بينهما علاقة حميمة ومحبة عظيمة سأذكر لكم بعد قليل ما هى.

المرأة هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت حسناء جميلة، وهى من

المسلمات الأولات وكانت أيضًا عاقلة حكيمة فى تعاملها فملكت زوجها ليس فقط بحسنها وجمالها.

وهذا أمر مهم أن تنتبه إليه أخواتنا، أن المرأة عند ملكها للآخرين سواء أن تملك قلب زوجها أو قلب صديقاتها أو غير ذلك، أن يكون لها تأثير، وليس شرطًا أن يعتمد هذا على شكلها وعلى وجهها.

فنقول للمرأة التى ليست جميلة: أنت فاشلة فى حياتك؟!.

لا، يمكن أن تملكهم بحسن عباراتها بلطفها كما قال النبى عليه الصلاة والسلام: «**إن من البيان لسحرًا**»، يعنى من شدة البيان واللطف مع الناس.

تزوجت عاتكة بعبد الله بن أبى بكر فأحبها حبًا عظيمًا إلى درجة إنه من شدة حبه لها شغلته عن الصلاة والغزو.

وأصبح يؤذن للصلاة وهو جالس عندها لا يستطيع أن يفارقها من شدة محبته لها وتعلقه بها، ثم يخرج إلى الصلاة وأول ما ينتهى الإمام من الصلاة يرجع مباشرة إلى البيت ويجالسها.

فلما رأى أبوه - أعنى أبا بكر - هذا التعلق الشديد حاول أن ينصحه.

يا بنى، إلى متى هذا التعلق؟ يعنى: أنت انشغلت حتى عن الصلاة، عن الغزو فى سبيل الله، فكان يقول: يا أبى هذه امرأتى.

وإذا كانت امرأتك أيجوز أن تشغلك عن دينك؟

قال: (يا بنى طلقها).

قال: يا أبى كيف أطلقها وأنا أحبها؟

فأصر عليه أبو بكر حتى طلقها.

يقولون: فتبعتها نفسه، يعنى: تعلقت نفسه بها وأصبح يفكر فيها ليلاً ونهارًا حتى إنه كان يقول:

أعاتك لا أنساكِ ما مر شارق ... وما ناح قمر الحمام المطوق

وبدأ يقول شعره حتى قال:

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها من غير جرم تطلق

يقول:ما ذنبها؟ هي ماذا فعلت كي أطلقها؟ أأطلقها لأني أحبها؟ فأخذ يبكي ويكرر ويقول:

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم تطلق

يقولون:فلما رأى أبوه حاله على هذا، أمره بمراجعتها فراجعها فاستمر معها حتى قتل رضي الله عنه شهيدًا في غزوة الطائف.

يقولون:فبكت عليه بكاء شديدًا حتى كانت تقول:

رزقت بخير الناس بعد نبيهم وبعد رسول الله وبعد أبي بكر

وجعلت تنشد فيه الأشعار حتى قالت بعد ذلك:

فآلَيْتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِينَةً عليكَ، ولا يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أَغْبَرا

آليت: حلفت. مثلما تقول أنت: آليت عليك أن تفعل كذا، أي: حلفت عليك. فهي تقول: أقسمت لا تنفك عيني سخينة، سخينة يعني: دامعة، لأصب الدمع ليلاً ونهارًا ولن أنساك أبدًا.

فآلَيْتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِي سَخِيَنةً عليكَ، ولا يَنْفَكُّ جلْدِيَ أَغْبَرا

ولن أغتسل ولن أتنظف للخُطَّاب، فأنا لا أريد أي رجل غيرك، فانتهت عدتها فخطبها عمر رضي الله عنه قالت: يا عمر، لكن أنا حلفت أني لا أتزوج غيره.

قال:لم تحرمين ما أحله الله لك؟ وهي كانت بنت عم عمر.

قال:أنا ابن عمك، وهو مات الله يغفر له ويرحمه، فتزوجيني ولك على أن أكفر عن يمينك.

قالت:كفر عن يميني. ودخل بها عمر.

المقصود: أنها بقيت مع عمر حتى قتل عمر رضي الله عنه شهيدًا عندما طعن وهو يصلي بالناس.

فلما انتهت من عدتها؛ خطبها الزبير بن العوام، قالت: أنا لن أجدى بعد عمر.

قال: أنت تزوجيني والله يسير الأمر فتزوجت الزبير فسعدت به ولبثت معه وقتًا ثم بعد ذلك استشهد عنها الزبير.

فجاء وخطبها على رضي الله عنه، فلما خطبها على قالت: يا أبا الحسن أنت خير الناس وسيد المسلمين، ولا أريد أن أفجع المسلمين بك.

تقول: يكفى ما كان، أنا تزوجت عبد الله بن أبى بكر، واستشهد، وتزوجنى عمر واستشهد، وتزوجنى الزبير واستشهد.

تتزوجنى أنت وبعد وقت تقتل؟!: لا، اتركنى وحالى.

فهذه المرأة كانت من المتميزات المؤمنات بأمور:

أولا: أنها كانت عندها قدرة على اكتساب محبة الزوج عندما يدخل بها من خلال أمور معينة.

الله سبحانه وتعالى عندما ذكر ما يتعلق بالزوجين قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

هل يمكن أن تكون زوجتى عدوًا لى؟ هل يمكن أن يكون ولدى عدوًا لى؟ نعم ممكن، وسوف نذكر ذلك بعد قليل.

المسألة الثانية: قدرة هذه المرأة على أن تملك قلب زوجها، ما هى الطرق التى كانت تبذلها حتى استطاعت بذلك أن تملك قلب زوجها حتى إنه لينشغل عن الصلاة لأجلها، يؤذن للصلاة، وهو جالس معها يتحدث ويتجاذب أطراف الحديث.

أى ملاطفة وحسن حديث تعامله بهما إلى درجة أن الرجل ربما تقام الصلاة وهو جالس عندها، ثم أنه يصلى ويعود إليها مباشرة؟ ما هو الفن الذى كانت تمارسه حتى أنها استطاعت أن تجذبه إليها؟.

الامر الثالث: تكرار زواج المرأة من عدة أزواج، هل تستطيع المرأة أن تتغلب على الحب الأول وأن تنشئ حبًا جديدًا فى كل مرة؟.

السؤال الرابع: العلاقات الزوجية التى تنبنى على حب سابق أحيانًا، طبعًا نعلم أن عمر رضي الله عنه لم يكن بينه وبينها علاقات عاطفية من قبل وبالتالى لا نقول: والله كان بينهما علاقة، فلما مات زوجها جاء عمر، قال: هيا أتزوجك، فأنا ابن عمك مثلاً، أو أن الزبير كان بينه وبينها علاقة، كلا لم يكن هذا واقعًا.

لكن الذى أعنيه أن بعض الزيجات اليوم التى تعتمد على علاقات سابقة بين



الرجل والمرأة أحيانًا - إما هاتفية وإما من خلال الإنترنت ماسنجر والشات وغيرها وإرسال إيميلات واستقبال إيميلات أو عبر الهاتف أو نحو ذلك-.

يذوب الحب بعد الزواج فلماذا يذوب هذا الحب الذى فى القلوب.

هذه الأسئلة ونحوها ستكون محور نقاش مع الشباب.

دعونى أتطرق إلى موضوعين:

الموضوع الأول: الحب ما قبل الزواج ونظرة المجتمع له، ودائمًا نسمع فيما بيننا كشباب من يقول: هناك شاب يحب شابة ويقولون: نهاية الحب الزواج.

ثم يكون الواقع: أن الحب ينتهى ويبدأ العذاب، وكم من قصص سمعناها فى الموضوع هذا.

الشىء الثانى: وهو الأهم، كيف يستطيع الزوجان أن يجعلا الحب يدوم بينهما بعد الزواج؛ نحن سمعنا عن قصة قيس وليلى وعنترة ومحبوبته فى قصص متتالية فى التاريخ لكن كيف يمكنهم أن يحافظوا على حبهم؟!.

السؤال الآن: ما الذى يحافظ على الحب بين الأزواج؟

نقول: أن يتقيا الله؟ ونعطى كلامًا عامًّا؟، فهذا لا يفيد فوائد مباشرة.

فأنا حقيقة أريد الإخوة والأخوات يستفيدون من كلامنا عن الصالحات فوائد يطبقونها مباشرة.

أما عندما يستفيد فوائد عامة فهذا ربما لا يؤدى إلى نفع مباشر.

وأما مسألة وجود علاقات أصلاً بين الشاب والفتاة قبل الزواج وهل هذه تعين على أن يكون الزواج ناجحًا ويكون الزواج حقيقيًّا فعلاً وفيه نفع أم لا؟

هذا يذكرنى ببرنامج مع الأسف فى إحدى القنوات يبث فى إحدى الليالى تقدمه إحدى الفتيات تقول فى أثناء كلامها: وكانت تتكلم عن الزواج وموقف الأهل من تزوج البنت ثم كانت:

المفروض إذا كنت تريدين شخصًا معينًا ولم يوافق أهلك فاهربى معه. فهى دعوة إلى البغاء صريحة، اهربى معه.

من سيعقد لها العقد الشرعى؟ والله يقول: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾[النساء: ٢٥]،

إلى غير ذلك من الأمور.

المقصود من هذا: أن الفتاة أحيانًا قد يحتال عليها شاب وقد رأيت مجموعات من هؤلاء الشباب حقيقة إما طلابًا عندى أحيانًا فى الجامعة أو ربما يصلون معى ويشكون إلى بعض الأمور.

فكان أحيانًا يأتى بعضهم إلى ويشكو لى أو يذكر لى أنه متعلق بفتاة معينة، فأقول له: تزوجها، فكان يلتفت إلى ويقول: يا شيخ أنا أتزوج هذه. ويذكرها بلفظ البغى باللفظة العامية. أنا أتزوج بنت كذا.

أقول: ألست أنت فى كل ليلة تجلس ساعتين وتقول لها: أحبك أحبك؟

قال: بلى. لكنها سعة صدر وهكذا؛ ولكن إذا كانت المسألة جدًّا وزواجًا وأمًّا لأولادى، وفتاة سأدخلها فى عائلتى فلا والله يا شيخ.

حتى إن واحدًا منهم الآن - الله يوفقه - منذ عشر سنين متزوج؛ كان من طلابى قديمًا وأعرف أنه ربما كان عنده عظائم مع الفتيات وبعض أنواع المعاصى.

فلما أراد أن يتزوج جاءنى، قال: يا شيخ أريد أن تبحث لى عن زوجة، قلت: أنت ابحث لك، أنت افتح هاتفك الآن أخرج لك خمسين اسمًا على الأقل. وتحب أن أبحث لك عن زوجة؟

قال: كلهن لا يصلحن.

قلت: ألست كل ليلة تقول: أحبك وما أقدر أن أنام حتى أرى صورتك؟

قال: والله يا شيخ هذا كلام؛ لكن أنا أشترط فى زوجتى أن تكون حافظة القرآن.

قلت: أنت؟

قال: نعم والله. وهو شاب غير حريص على الصلاة، هو يصلى؛ لكن لا يوجد عنده حرص جيد، ومدخن.

ثم تفاجأت أنه يدعونى إلى زواجه بعدها بستة أشهر تقريبًا، وإذا به تزوج فتاة حافظة لكتاب الله والآن هى أم أولاده وله منها طفلان أو ثلاثة.

انظر لما أراد أن يتزوج، ما يرض بواحدة تعطى عواطفها لأى إنسان.

وأنا ضد هذه العلاقات التى تكون فيها الفتاة لعبة يعبث كل إنسان بعواطفها لكن



ينبغى أن تكون كاللاتى وصفهن النبى ﷺ بالقوارير فتحفظ نفسها من أى أذى أو علاقات ضارة.

وأما مسألة الحفاظ على الحب بعد الزواج.

المشكلة أحيانًا: أن بعض الزوجات تتلطف مع زوجها فى أيام الملكة - العقد - فتجد أنه يعقد عليها العقد الشرعى ويكون الزواج مثلاً بعد أربعة أشهر.

خلال هذه الأيام، هو يظهر لها أطيب ما عنده وهى تظهر له أطيب ما عندها.

مثلاً تقول له: أنا أشتهى أكل (الأيس كريم) الفلانى، و(الأيس كريم) الفلانى غالٍ، فيقول: لا بأس نشترى لك هذا (الأيس كريم)، لكن بعد الزواج لا يمكن أن يعطيها مثل هذه الأمور.

قبل الزواج ربما إذا بكت راضاها وقال لها كلامًا حلوا، وبعد الزواج لا يقع هذا.

وهذا قد يقع أحيانًا فى بعض البلدان ويسمونها فترة الخطوبة، أو ربما فى البلدان المحافظة التى لا يكون بين الشباب والفتاة علاقة مباشرة إلا بعد العقد الشرعى عليها، عادة تقع مثل هذه الأمور.

أقصد أن كل واحد يظهر للثانى أحسن ما عنده فإذا تزوج كشر كل واحد عن أنيابه وظهرت العصبية والحدة والغضب الذى كان يكبته.

وظهر إهمالها له.

صارت ما ترد على التليفون.

أو يأتى فيجد الغداء غير جاهز.

أو يجد ملابسه غير نظيفة.

علاقتها بأمه بعدما كانت تقول: خالتى خالتى عمتى عمتى أصبحت لا خالة ولا عمة، وأصبحت، تقول له: لماذا تذهب إلى أمك؟ لماذا لا تجلس عندى... إلخ.

أنا كنت أعجب من علاقة عاتكة مع عبد الله بن أبى بكر مثلاً، ومن علاقة النبى عليه الصلاة والسلام قبل ذلك مع عائشة كيف بلغت العلاقة والحميمية والحب بينهما مبلغه العظيم، لدرجة أن النبى ﷺ لما ينظر إلى وجه عائشة يعرف إذا كانت حزينة وإذا كانت راضية من خلال ألفاظها من خلال نبرة صوتها، يرجعان

من سفر فيقول: تسابقينى يا عائشة؛ كل واحد يحاول يدخل السرور على قلب الثانى.

أقول المحافظة على هذا تكون بأمور:

أولاً: أن يتقى الزوجان ربهما فى علاقتهما، فأول شىء أن تقام الصلوات الخمس فى البيت لا يرضى الزوج أن تكون زوجته غير مصلية، وأنا أتفاجأ أنه يأتينى اتصالات من بعض الشباب يقول: يا شيخ زوجتى ترفض أن تصلى، أخلاقها لطيفه، وهى جميله وتعجبنى لكن يا شيخ ترفض أن تصلى تاركة للصلاة.

أقول: يا أخى هذه التى أفسدت علاقتها بربها كيف تستطيع أن تبقى معها، فأول شىء ينبغى أن يحرص عليه أن تكون العلاقة بالله سبحانه وتعالى علاقة قوية، على الأقل إقامة الصلوات الخمسة هذه ما فيها كلام.

لأن الله عز وجل إذا أحب العبد أنزل حبه فى القلوب، هذا أمر.

الأمر الثانى: ألا يقع بينهما معصية زوجية بمعنى بعض الأفعال فى الفراش؛ الأفعال المحرمة التى ربما وقع فيها الزوجان فى الفراش، تقليدًا ربما لبعض ما يرى فى الإنترنت أو ما ينشر أحيانًا فى بعض الأفلام وغير ذلك.

لا ينبغى أن يقلد كل ما يفعله القوم الآخرون، أحيانًا نجد أفلامًا أجنبية تبث فى بعض القنوات ويبدأ بعض المسلمين مع الأسف فى تقليدها، فالتقليد ليس على إطلاقه إذا عصيا ربهما عز وجل فى فراشهما فربما يبتليهما الله تعالى بنوع من أنواع البلاء.

تكلمت عن النساء اللاتى هاجرن من مكة للمدينة، فهذه فيها صورة أنهن تخلين عن كل شىء أهلهن وحياتهن ومجتمعهن لأجل الدين ولأجل ربهم، لكن هذه الأيام نجد الصورة انعكست تمامًا، وعبد الله بن أبى بكر عندما طلق زوجته بأمر أبوى كان فيه امتثال أيضًا للأب وبرٌ به ولأجل الله لأنها ألهته عن الطاعة والدين، فى هذه الأيام انعكست الآية لا نتوقع أن يقع مثل هذا.

والقصد: مفارقة الأصحاب والأشياء العزيزة على نفس الإنسان أو التى تعودها، وأن تغير مجتمعك لأجل الله.

هذه الأيام نجد الإنسان متلبسًا بمعصية معينة سواء تدخين أو موسيقى أو علاقات محرمة من ذكر أو أنثى ومعهم أصحاب يفعلونها، والكل يعرفها ولا أحد ينكر؛ فإذا كنت تريد أنت أن تترك الشيء فابتعد عن المجموعة كلها، ابتعد عن الشر كله؛ لكنك تجد أن هناك من يحاول أن يقلع عن التدخين؛ لكنه يقول: أنا أجلس مع أصحابي المدخنين؛ ولن أدخن!

يجلس مع أناس يفعلون الشيء ولا يريد أن يفعله (هذا صعب).

أحيانًا يتصل بي بعض الناس، يسأل نفس السؤال، يقول: يا شيخ، أنا أبغى أن أتوب، أنا أغازل خمس عشرة بنتًا وأقع وأفعل؛ فأعظه وأذكره بالله ويتأثر ويقول: إن شاء الله أتوب.

لكني أقول له أن أول شيء، أصحابك الذين تجلس معهم كل ليلة في استراحة أو في بستان أو على كرنيش أو في أي مكان؛ اتركهم لأنهم كلهم على نفس معصيتك الأولى؛ فلا أجد عنده استعدادًا أن يتركهم.

يقول لي: والله يا شيخ، أنا ما أستطيع أن أتركهم.

ما دام ليس عندك استعداد أن تتركهم فمعناها أنك تبغى أن تبقى على معصيتك فـ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

لذلك النظرة التي رأيتها جيدًا أن عاتكة لما هاجرت مع أنها جميلة وحسنة وبنت سيد من السادات ومع ذلك غسلت يدها من مكة كلها؛ في أمان الله، وديني أحب إلي منكم ولن ألتفت إليكم، كذلك الإنسان مثلما قال الله: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

هل هناك فرق بين الحب عند القدامى مثل: قيس وليلى أو عنترة وعبلة، والحب الذي يمارس هذه الأيام بين الشاب والفتاة؟ مع أنهم يدعون ذلك؟

طبعًا، حبهم كان أطهر، يقول قيس:

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى ... أقبلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديارِ شغفْنَ قلبي ... ولكن حبُّ من سَكَنَ الديارا



ويقول:

يقولــون ليلــى فى العــراق مريــضة   فيــا ليتنــى كنــت الطبيــب المــداويا

يقول بعضهم وهو يتكلم عن الحب العذرى يقول: كان السابقون إذا أحب أحدهم امرأة وقف على جبل بجانب ديارهم لعله يراها أو يرى من رآها أما هو فلا يراها.

يقول: واليوم إذا أحب أحدهم امرأة أخذها ثم جهدها وكأنها أشهد على نكاحها أبا هريرة.

أنا أقول: بالنسبة لحب الأولين ما كان عندهم ذلك الإسفاف الذى عندنا بصراحة، كان قصاره أشعارًا فقط.

أما الحب الموجنود اليوم فمع الأسف أصبح فيه نوع من الابتزاز فيهددها بصور، بمكالمات يهددها بأمور، حتى ما أصبح حبًّا بل نوعًا من الاستمتاع فقط بها.

يقول الأصمعي:

مررت يومًا بحى من أحياء العرب فوجدت صخرة مكتوبًا عليها:

أيــا معــشر العــشاق بــالله خبــروا   إذا حــل عــشق بــالفتى كيــف يــصنع؟

يقول: فأخذت حجرًا وكتبت تحتها:

يــداوى هواهــا ثــم يكــتم عــشقه   ويخــضع فى كــل الأمــور ويخنــع

يقول: ثم جئت من غدٍ فإذا مكتوب تحتها:

كيف يداوى والمـوت فـارق الحـشى   وفى كــل يــوم قلبــه يتقطــع

يقول: فأخذت الحجر وكتبت:

إذا لم يجــد بــدًّا لكــتمان ســره   فليس له شىء سوى المـوت ينفـع

يقول: فأتيت بعدها فوجدت قبرًا بجانب الصخرة وإذا مكتوب تحت الأبيات:

ســمعنا أطعنــا ثــم متنــا فبلغــوا   سلامى لمن قـد كـان بالوصـل يمنـع

طبعًا، سواء صدق الأصمعى أو لم يصدق؛ فالمقصود أن الحب قد بلغ ببعضهم



مبلغه.

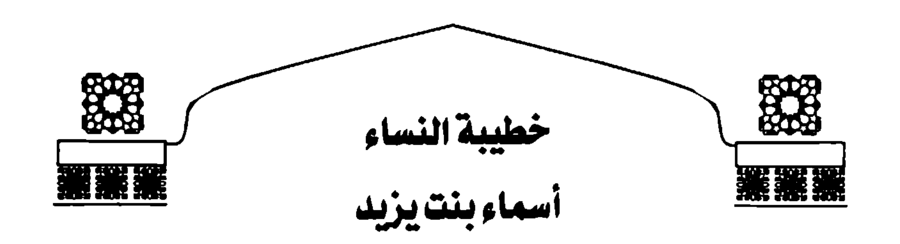
فأسأل الله تعالى أن يديم الحب بين الأزواج.

الله -سبحانه وتعالى - علّمنا أن ندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ **[الفرقان: ٧٤].**

فالإنسان أيضًا يكثر من هذا الدعاء لعل الله عز وجل أن يؤجره عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



خطيبة النساء
أسماء بنت يزيد

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومرحبًا بكم أيها الأحبة الكرام والأخوات الفاضلات.

ونحن أبناء القوارير نحن أبناء نساء، فالنساء لهن حق علينا أن نثير مواضيعهن أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا وبناتنا، وكما ذكرنا سابقًا هن نصف المجتمع وهن اللائى يلدن النصف الآخر فهن المجتمع كله.

اليوم سنتكلم عن امرأة سماها أهل التاريخ خطيبة النساء، قد لا يكون فى الحقيقة لها قصص كثيرة فى السيرة.

لكن ما أردت أن أختار النساء اللاتى سأتكلم عنهن حاولت أن أتجنب قدر المستطاع النساء اللاتى يكثر الكلام عليهن غالبًا مثل خديجة وعائشة وحفصة زوجات النبى عليه الصلاة والسلام المشهورات. أو غير المشهورات من نساء الصحابة والتابعين.

ونحن لو تكلمنا عن الخنساء وغيرها ففى الغالب أن الكلام لم يكثر على هؤلاء النساء، وبالتالى يصبح ما يسمعه منا الإخوة والأخوات تكرارًا لما كانوا يسمعونه من غيرنا، فأردت أن أمر على أسماء لم تكن أو غير مشهورة.

نحن سنتكلم اليوم عن امرأة هى خطيبة النساء.

هذه المرأة جاءت يوم إلى النبى عليه الصلاة والسلام وهو بين أصحابه، قالت: يا رسول الله نحن معشر النساء نقعد فى البيوت وأنتم تخرجون إلى الجهاد فى سبيل الله، فإذا خرجتم نرعى أبقاركم ونحفظ أموالكم ونحن مواضع شهواتكم ومواطن

خدمتكم وذكرت فضل النساء على الرجال وأنتم يا رسول الله تشهدون الجماعات وتجاهدون فى سبيل الله وتطلبون العلم ونحن قواعد فى البيوت يا رسول الله، فهل نشارككم فى الأجر، فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه وقال: **«هل سمعتم امرأة أحكم أو أبلغ أو أعقل من هذه المرأة؟»** قالوا: لا يا رسول الله، والمرأة قالت: يا رسول الله أنا رسولة من ورائى من النساء فى أول كلامها قالت: أنا رسولة من ورائى من النساء إذًا معنى ذلك أن النساء اجتمعن، ثم تكلمن بشيء مفيد وبدأن يتناقشن فى شيء ينفع الأمة، وبدأت كل واحدة تقول: لماذا الرجال يجاهدون ونحن لا نجاهد، لماذا الرجال يصلون الجُمع والجماعات واجبة عليهم ونحن غير واجب، فبالتالى نتكاسل ربما عن الخروج إلى الجماعة أو الجماعات، فلما تناقشنا فى ذلك قالت أسماء: أنا أنهى لكم الموضوع، أنا أذهب وأسأل النبى عليه الصلاة والسلام فجاءت وجلست بين يديه وقالت هذا الكلام، قالت: نحن معاشر النساء كذا وكذا وكذا وذكرت ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام لهم كما تقدم: **«هل سمعتم امرأة أحكم وأعقل أو أبلغ من هذه المرأة»**، قالوا: لا. فقال ﷺ: **«اذهبى فأبلغى من ورائك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها – يعنى: عنايتها بزوجها وتجملها له وتغنجها له ونحو ذلك- وعنايتها بولدها وحفظها لبيتها يعدل ذلك كله»**.

يكون هو نفس الأجر، ما معنى هذا الكلام؟

معناه يا جماعة أن النبى عليه الصلاة والسلام، يشير لها أن المجتمع ينقسم على قسمين، جبهة خارجية وجبهة داخلية، الجبهة الخارجية لا يمكن أن تستمر إذا لم توجد جبهة داخلية، والجبهة الداخلية لا يمكن أن تستمر إذا لم توجد جبهة خارجية، إذًا الجبهة الخارجية لو الرجل يذهب يجاهد فى سبيل الله ويحضر الجمع والجماعات ويسافر فى سبيل الدعوة إلى الله أو غير ذلك وبيته ليس به أحد يحفظ البيت ويقوم على مصالح الأولاد ويحفظ المال ويغسل ملابسه ويعد له طعامه ويبيت معه فى ليلة ويؤانسه ونحو ذلك إذًا لا يوجد أحد عنده فى البيت يفعل هذا. مشكلة لن يستطيع أن يواصل وهو فى الخارج فى الجبهة الخارجية، كذلك المرأة فى

جبهتها الداخلية.

إن لم يكن هناك أحد يحميها ويصون عرضها وينفق عليها ويقوم على شأنها ويرفع رأسها ونحو ذلك.

وإلا لن تستطيع هى أيضًا أن تقوم بالجبهة الداخلية فالنبى عليه الصلاة والسلام ينبه على هذا الأمر يقول: أخبرى من ورائك من النساء أن المرأة إذا قامت بواحد اثنين ثلاثة أربعة وذكر لها واجبات المرأة فى البيت أنه يعدل ذلك كله. يعدل كل ما يفعله الرجل من أمور.

حقيقة لى بعض الوقفات: أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها روت عن النبى عليه الصلاة والسلام عددًا من الأحاديث وهى وفدت عليه فى السنة الأولى من الهجرة، جاءت مهاجرة إلى المدينة وتوفيت فى السنة الثلاثين من الهجرة.

أسماء بنت يزيد هى التى روت قول النبى عليه الصلاة والسلام اسم الله الأعظم فى ثلاث آيات من كتاب الله فى البقرة وفى آل عمران وطه هى التى روت هذا الحديث، وهذه الصور الثلاث اجتمعت فى قول الله تعالى تكرر فيها كلها فى سورة البقرة آية الكرسى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، فى أول سورة آل عمران: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران:١، ٢] ، فى أواخر سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ [طه: ١١١] ، فهى التى روت هذا الحديث، فذكره ابن القيم وابن تيمية وعدد من أهل العلم أن اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى هو الحى القيوم وهى التى روت هذا الحديث تميزت أسماء فى عدة ميزات من أهم هذه الميزات، أحب أن أسمعها منكم حتى نحرككم قليلاً وحتى لا يغلبكم النوم، ماذا نستفيد من أسماء ومن قدراتها وغير ذلك.

الشيخ الكريم نستفيد أنها استطاعت أو عرفت أن تجد سؤالها الذى نسأله نحن الآن فى فوضى من الفضائيات وما شابه ذلك وكل يومين يطلع من لا يفقهون فى العلم شيئًا ويفتون وهذا فيه خطر شديد على الأمة الإسلامية فلابد من

تحديد مكان معين للفتوى والسؤال لاسيما أن أغلب النساء الأنصار كلها عن طريق الفضائيات.

طبعًا هذه مسألة مهمة: مسألة توحيد مصدر التلقى إن صح التعبير، يعنى هى لما أرادت أن تسأل لم تذهب إلى مثل: أبى بكر أو عمر ولا إلى غيرهم من الصحابة ومثلًا: تسأل زوجها، مع أن أبا بكر وعمر وربما زوجها أيضًا هم قادرون على أن يجيبوها لكنها ذهبت إلى المصدر الذى تظن بأنه خير من غيره وهو الذى يفتيها. أيضًا اليوم حقيقة فيمن نتلقى منه العلم الأصل ألا يتلقى العلم إلا من أهل الثقة أما يا جماعة عندما نبدأ نستمع إلى كل أحد يتكلم ونتلقى منه العلم دون أن نعرف مقدار علمه ومقدار فهمه، فقد يبدأ يتلاعب بعقولنا مع الأسف يعنى واحد كان يتكلم فى إحدى الفضائيات قبل فترة فاتصلت به امرأة تسأله عن عذاب القبر ونعيمه فقال لها: يا ابنتى لا يوجد شىء اسمه عذاب القبر هذه أقوال ضعيفة وأحاديث ضعيفة، ذهبت وبحثت المسألة أنا تخصص فى الدكتوراة عقيدة ومذاهب معاصرة وأديان، فهو هذا تخصصى؟ بحثت المسألة فوجدت فيها خمسين حديثًا عن رسول الله ﷺ وثلاث آيات فى القرآن لما ذكر الله تعالى آل فرعون قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[غافر: ٤٦]، معناها: يعرضون على النار فى قبورهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن القبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»، فكون الإنسان يبدأ يتكلم بغير علم شرعى ويتلقى من الناس هذه مشكلة، ذلك ما أشار إليه عمر وهو أن يكون مصدر التلقى موثوقًا، نعم نقول: نحن لأخواتنا وبناتنا احرصوا على طلب العلم لكنى ليس أى موقع فى الإنترنت تقبلينه، ليس أى متحدث تقبلين منه ليس أى رسالة تأتى إلى هاتفك تبدأين ترسلينها تؤجرى، أحيانًا أحاديث ضعيفة، كلام لا ينبغى ولا يستفيد من هذا إلا شركات الاتصالات. ومسألة كلها أحاديث ضعيفة.

حرص الصحابيات النساء على العمل ومسابقاتها على العمل الصالح.

هى أول سؤال سألته للنبى عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله سبقنا

الرجال، معنى ذلك لماذا يسبقوننا الرجال؟ الهمة العالية، حقيقة الصحابة عمومًا كانوا يتميزون بهذا، أعطكم مثالاً، عمر رضى الله تعالى عنه يقول: كنت أتمنى يومًا أن أسبق أبا بكر، أن سبقته يومًا، يقول: دعا النبى ﷺ الناس إلى الصدقة يومًا، فوافق ذلك مالاً عندى، فجئت وقسمته نصفين والقصة مشهورة فلن أكملها فجاء أبو بكر بماله كله.

جاء مرة الفقراء إلى النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله! **سبقنا إليك الأغنياء سبقنا الأغنياء لماذا سبقوكم الأغنياء؟، قالوا: إن إخواننا الأغنياء يصلون كما نصلى ويصومون** كما نصوم ويجاهدون كما نجاهد، ولكن عندهم فضول أموال يعنى أموال زائدة عن حاجتهم فيتصدقون ولا نجد نحن ما نتصدق به.

دبرنا يا رسول الله، نحن لا نريدهم أن يسبقونا إلى الله، فقال ﷺ: **«أما جعل الله لكم شيئًا تتصدقون به»، قالوا:** من أين ما عندنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: **«ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ولم يدرككم أحد ممن يجىء بعدكم»**، قالوا: بلى، قال: **«تسبحون فى دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين وتحمدون ثلاثًا وثلاثين وتكبرون ثلاثًا وثلاثين،** - وفى رواية أنه أمرهم أن يتموا المائة بقول: - **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير»**.

بدأ الصحابة الفقراء يفعلون ذلك، يعنى بعد الصلاة بدأ أبو هريرة يسبح، أبو ذر يسبح، أبو الدرداء يسبح، بدأوا يسبحون، الأغنياء عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر أغنياء الصحابة بدأوا ينظروا فإذا فيه تسبيح، قالوا: ما هى القصة؟، قالوا: والله علمنا النبى عليه الصلاة والسلام.

فبدأ الأغنياء يسبحون، ترى التسابق يا أخى للخير، جاء الفقراء مرة ثانية، يا رسول الله قال: نعم، قالوا: بلغ إخواننا الأغنياء ما فعلنا ففعلوا مثلنا فدبرنا فقال ﷺ: **«ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء»**، أنا أقول ينبغى على المرأة أن تتسابق إلى الخير كما الرجل يسابق، تخيل يا أخى أن أسماء بنت يزيد بن السكن قاتلت فى معركة اليرموك، لما اجتمع المسلمون فى معركة اليرموك وكان معهم النساء، فلما كان فى آخر القتال اشتد

القتال على المسلمين حتى بدأ بعض المسلمين يفر، فجاءت أسماء مع مجموعة نساء وأخذن أعمدة يعنى خشب أعمدة من خشب وأخذن يقفن فى آخر الصفوف الرجل الذى يرجع يضربونه ويقلن له: ارجع قالت: ما الذى يجعلك تهرب؟ تروا هذه القدرة، حقيقة الشجاعة والثقة بالنفس جعلتها تستحق أن نتكلم عنها عن أسماء بنت يزيد والصحابيات كثيرات ومع ذلك لم نتكلم عنهن لكن لأنها متميزة.

كان يوجد صحابيات فى عهد النبوة ﷺ قالوا: أعمار أمتك بين الستين والسبعين، ومن قبلنا كانت أعمارهم أكثر من ذلك، فكيف ندركهم فى أعمالهم؟ فقال الله: أبدى لكم ليلة القدر والاستغفار.

أحسنت، الكلام صحيح وإن كنت أنا لا أذكر الحديث الذى ذكره النبى ﷺ لكن فعلاً الأمم السابقة كانت أعمارهم أطول من هذه الأمة، حتى يذكروا من الطرائف أن امرأة من الأمم السابقة مات ولدها الصغير فجلست تبكى عنده.

فمر بها رجل حكيم، قال لها: لماذا تبكين؟، قالت: ولدى مات صغيرًا ما تمتع بشبابه، فقال: كم عمره لما مات؟، قالت: عمره خمسمائة سنة، مات صغيرًا فقال: اصبرى فسيأتى بعدنا أقوامًا أعمارهم بين الستين والسبعين قالت: بين الستين والسبعين، قال: نعم، فقالت: لو أعطانى الله أعمارهم لقضيتها فى سجدة واحدة!!!.

لكن الله عز وجل عوضنا نحن بليالٍ فاضلة وغير ذلك، وهذا أيضًا يدلك على وجوب استغلال الأوقات والمسابقة فى الخيرات.

لكننى أعود إلى أسماء بنت يزيد بن السكن، حقيقة هذه المرأة عندما رأت أبوابًا من الخير لا تستطيع المرأة أن تطرقها بدأت تبحث عن أبواب أخرى مسموح للمرأة أن تطرقها بمعنى مثلاً: المرأة لم تخاطب بأمر الجهاد.

الرجل هو الذى خوطب، فلما قرأت هى فى القرآن أن أمر الجهاد له فضل عظيم عند الله، قالت: أنا أريد أن أحصل هذا الفضل، طيب أنت لا تستطيعين أن تحصليه لأنك امرأة لم تأمرى بالجهاد، فما الذى فعلته؟ ذهبت إلى النبى عليه الصلاة

والسلام، يارسول الله دبرنا، يا رسول الله ابحث لنا عن حلٍ، نحن ما عندنا استعداد نرى الرجال يسبقوننا إلى الخير ونحن جالسات هكذا، فأخبرها النبى ﷺ بما أخبرها به.

يا شيخ محمد! هذا مثال على همتها العالية أن تطرق أبواب الخير ولم يمنعها وجود الرجال أو جود صحابة، جرأتها كانت واضحة جدًّا وفيها عبرة بعكس الوضع الحاصل اليوم شدة الخجل، وأن لا أستطيع أسأل، يوجد رجال، صعوبة الوصول، وما شابه ذلك، مجرد محاولة بسيطة ونكتفى.

طبعًا الأصل أن المرأة لا تتحدث بحضور رجال إلا بقدر الحاجة هذا هو الأصل وهى جاءت تكلمت مع النبى ﷺ لأنه نبى ولأنها محتاجة إلى الكلام ومتحشمة أيضًا تمامًا ولأن الذين موجودين عند النبى عليه الصلاة والسلام حالهم من الأخيار ومن الصحابة الكرام.ولذلك سُمِّيت بخطيبة النساء.

لكن أنا سأعرض عليكم مسألة، تكلمها أمام الرجال بهذا الأسلوب وبهذه الصراحة ويا رسول الله نحن نحفظ بيوتكم ونفعل ونفعل هل هذا يعنى إطلاق العنان لكلام المرأة مع الرجل الأجنبى عنها دون قيود؟ ما رأيكم أنتم إذا احتاجت امرأة أن تصلح هاتفها فاتصلت على شركة الاتصالات وقالت: أنا والله عندى الهاتف عطلان وأريدكم أن تعدلوا كذا أو تصلحوا كذا أو كذا، هل هذا حرام؟ أو مثلاً ذهبت للطبيب قالت: يا دكتور أنا ولدى عنده حرارة وعنده كحة وكذا.

هنا سؤال عمومًا كلام المرأة مع الرجل الأصل فيه الجواز، يعنى ما فيه بأس الأصل فيه الجواز يعنى: أنت مثلاً لو دخلت امرأة أجنبية بيتكم، وقالت: السلام عليكم يا فلان كيف حالك لعلك بخير، وهى ابنة عمك أو ابنة خالك. دون أن يكون فيه تغنج وترقيق للصوت وميوعة فى الكلام ومحاولة استثارة الغرائز إذا كان كلام جادًّا، فلا بأس فيه، هؤلاء النساء يتصلن على البرامج الفضائية وتسأل أسئلة جادة وتتكلم بكلام جاد.

وهناك مجموعات من النساء أعقل والله من الرجال، أليس بعض النساء فى عقلهن

وإدراكهن وحكمتهن أحكم بمراحل من آلاف الرجال، بـل وأى عقـل يقـارن بعقـل بعض النساء، اليوم الداعيات المخترعات العاقلات، بعضهن مشرفات على مواقع على الإنترنت، دكتورات فى جامعات، أساتذة، بلا شك أن هذا له تأثيره لذلك مكالمة المـرأة لرجل فلا بأس فيها عمومًا لكن أهم شىء أن تكون للحاجة بقدر الحاجـة وأن يكـون منها نفع وبدون تغنج وترقيق صوت ونحـو ذلـك حتـى لا يـؤدى هـذا إلى استمتاعه بصوتها؛ لأن صوت المرأة نوع من الاستمتاع به، وحتى لا يحصل له تعلق بها ويحـصل عندها هى تعلق به.

توجد مسألة أخيرة مهمة حقيقة يجب أيضًا أن نطرحها وهى: حرص أسماء ﵂ لمـا رأت مشكلة عند النساء على أن تبحث لها عن حلٍّ، هى جاءت قالت: يا رسول الله أنـا رسولة من خلفى من النساء، دليل أن النساء لما جلسن مـا كانـت سـوالفهن عاديـة، لا النساء الصحابيات عندما جلسن تكلمن فى مواضيع مهمة، تكلمن لماذا الجهاد للرجال فقط، فقامت أسماء وقالت: أنا أبحث لكم عن الحل، أنا أذهب الآن وأحضر لكم حـل المشكلة، فذهبت إلى النبى عليه الصلاة والسلام. تعال اليوم وانظـر إلى مجـالس نـسائنا الآن، النساء يجتمعن ربما غير الموظفات يجتمعن أحيانًا فى الضحى وأحيانًا فى العصر أو بعد العشاء يجلسن جلسات أحيانًا مع بعضهن البعض.

فما هو نوع الأحاديث والسواليف التى تثار فى هـذه المجـالس، لا نقـول غِيبـة حتى لا نسىء الظن بهن حتى الرجال تراهم لا يـسلمون مـن الغيبـة، فالمـسألة هنـا وهنا، لكن أحيانًا قد لا يكون غيبة إن شـاء الله لكـن يكـون كـلام غيـر مفيـد أحيانًا حتى عند الرجال لو أسألكم الآن، أمس عندما جلستم فى الاسـتراحة أيش سـويتم والله يا شيخ قرأنا صحيح البخارى وختمنا صحيح مسلم وقرأنـا تفـسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لا. فى الغالـب أنها سواليف رياضية وعن العمل واتصل بى مـرة واحـد وقال كذا، والهـاتف الفلانى عطـلان، أو عنـدى أخـى بيتـزوج، وقـصة زواجـه، فى الغالـب أنها أحاديث عادية، لكن الذى نريد أن نصعد به مجالس رجالنـا ومجـالس نسائنا وأركز على النسـاء لأن المثال الذى نذكره مثال للنسـاء، أن يكـون الحـديث

الذى يثار أحاديث يستفاد منها.

النبى عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه أبو داود: «ما جلس قوم مجلس ثم لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، كأنما اجتمعوا على جيفة حمار ثم تفرقوا عنها»، وفى رواية قال: «**إلا كان عليهم هذا المجلس يعنى حسرة وندامة يوم القيامة**»، دل هذا على أن المجالس التى تجلسها النساء لا بد يا أختى أن تكون فيها نوع من الفائدة. ما الذى يمنع مثلاً من أنهن عندما جلسن، سواليف وحواديت قالت واحدة: يا جماعة ما رأيكم أن أقرأ عليكن تفسير سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، وموجودة معها فى الهاتف، مثلاً أرسلت إليها بلوتوث فقرأتها، ما رأيكم أن أقرأ عليكن مثلًا أحكام الحيض عند المرأة، سئل الشيخ فلان الفلانى عن أحكام الحيض عند المرأة وكذا وكذا.

أنا فوجئت وأنا إمام مسجد فوجئت بعض الأخوات يخبرننى فى رمضان، ففى رمضان تأتى النساء يصلين التراويح مع الإمام ففوجئت أن بعضهن تأتى متأخرة فتدرك معنا ركعة واحدة مثلاً والتى هى الركعة الرابعة، ثم تسلم وخلاص ما تقضى لا تعلم ولا تدرى كيف تقضى الصلاة وراء الإمام، فالحقيقة نوع من الجهل طيب، أنت ستذهبين وتصلين مع الجماعة يا بنتى فلماذا لم تحرصى على أن تتعلمى ما دام أنك جئتى فلماذا لم تحرصى على أن يكون عندك معلومات تفيدك فى كيفية الصلاة، الآن بعض الأخوات أحيانًا تكثر السؤال عن أحكام الحيض وتأتى رسائل كثيرة على هاتفى.

فضيلة الشيخ أنا خرج منى دم لونه كذا وانقطع كذا ثم جاء كذا، يا أختى لو قرأتى كتيبًا عشرين صفحة عن أحكام الحيض ما احتجتى أن تسألى كل مرة، أحيانًا بعضهن يقع عندها أمور فى الصلاة ثم نفاجأ أن ما عندها معلومات.

إذن ما الذى يمنع أن تحرصى على أن تتعلمى هذا الذى أقصده أنا، وهذا الذى فعلته أسماء رضي الله عنها لاحظت أن النساء يجهلن شيئًا معينًا يتناقشن فى أمر معين.

فقالت: أنا أذهب الآن وآتيكم بالخبر وذهبت إلى النبى عليه الصلاة والسلام

وسألته، ثم رجعت بعد ذلك، حرص المرأة على أن تتعلم بالقراءة، الاستفادة مما تجلس عليه بالإنترنت وأنا أدعو دائمًا أخواتى إلى هذا حقيقة، ما دام أنك جلستى على الإنترنت لمدة ربما ساعة وساعتين لا يكون هذا الوقت كله يقضى عليك هكذا هباءً وربما شات أو النظر فى بعض المنتديات وتسلية ولعب وغير ذلك لا. احرصى على أن يكون الذى تقرأى فيه أشياء تزيدك معلومات.

مثلاً المواقع التى فيها الفتاوى، الآن يوجد موقع للشيخ ابن باز فيه فتاوى، يوجد موقع للجنة الدائمة للإفتاء فى المملكة ولغيرنا، حتى يوجد مشايخ لمصر ومشايخ المغرب العربى والشام واليمن والعراق وغيرها، وطبعًا إذا كانوا ثقات الذين كتبت فتاويهم وإن شاء الله لن نعدم هنا أو عند غيرنا مشايخ ثقات يستدلون بأدلة شرعية فى أثناء كلامهم وحوارهم.

قدرة المرأة على أن تستفيد من هذه الأمور وأن تنقلها أيضًا إلى غيرها وهى مأجورة.

أخيرًا أختم بشىء مهم، أن النبى ﷺ عندما رأى من أسماء هذه الجودة مدحها وأثنى عليها، فماذا قال عندما انتهت من سؤالها.

قال: هل رأيتم أحكم أو أعقل أو أبلغ من هذا السؤال.

إذا جاء إنسان وفعل شيئًا حسنًا، ولدك أو زوجتك أو المرأة زوجها مثلاً فعل شيئًا حسنًا، أو أى إنسان ينبغى يا جماعة كما أننا نقول للمسىء أسأت ينبغى أن نقول للمحسن أحسنت، فكما أنى أقول لولدى يا ولد قم ذاكر دروسك، كذلك أنا إذا دخلت ورأيته يذاكر، أن أقول له بيض الله وجهك، أنت بطل، أنت أحسن واحد لأنك تذاكر دروسك.

نحن جرت عادتنا مع الأسف أننا حتى لو مثلنا حتى لو اتصلت مثلا على خطوط الطيران.

اتصل احجز الذى فى الخطوط صارت أخلاقه سيئة تجدنى أتضايق فى الآخر وأقول: يا أخى تأدب أو ربما كتبت فيه شكوى.

بينما لو رد على واحد أسلوبه جميل، لا تجدنا فى آخر المكالمة نقول: نشكر لك لطفك

يا أخى وأخلاقك الحلوة فالناس تقول هذا شغله أصلاً، ويأخذ راتبًا على هذا العمل، طيب يا أخى ما الذى يمنع إن كان حتى يأخذ راتبًا!!

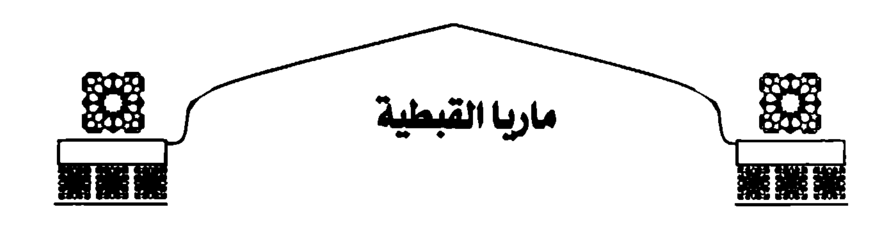
حتى فى تعامل المرأة مع زوجها أحيانًا يأتى الزوج وتقول له زوجته أنت مقصر الثلاجة فارغة لا يوجد فيها فاكهة، لا يوجد فيها طعام، فيذهب ويحضر وربما في يوم من الأيام يحضر من غير طلب، لا تقول له: الله يكثر خيرك ويبارك فيك ويغنيك ممكن تقول أصلاً هو واجب عليه أن يفعل كذا.

يا جماعة لا بد أن نقول للمحسن: أحسنت وأن نقول للمسيء: أسأت حتى يحصل عندنا نوع من التعادل.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم ويرضى عن أسماء بنت يزيد بن السكن التى أشغلت مجلسنا بالخير ويجمعنا بها وبصحابة رسول الله ﷺ فى جنته، أنتم أيضًا أيها الأحبة الكرام والأخوات الفاضلات أشكر لكُمْ ولكن أيتها القوارير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



ماريا القبطية

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبًا بكم جميعًا أيها الإخوة والأخوات.

إن كون الإنسان فى الحقيقة يفلح هذا الوقت فى حماية بصره وسمعه وعقله وقلبه ونفسه ودينه من أن يعبث به العابثون أو مما يفسد عليه ما ينظر إليه أو ما يستمع إليه، أو ما يكتسبه من معلومات، كون الإنسان يستطيع أن يجعل على نفسه سياجًا وحصنًا منيعًا فى هذا الوقت الذى كثرت فيه الفتن، فهذا يعد شجاعة وقوة إيمان مكنته من أن يمنع نفسه من المحرمات.

كنا تكلمنا فى السابق عن امرأة يهودية تزوجها النبى عليه الصلاة والسلام، طبعًا هى أسلمت، وكانت أول ما أخذها النبى عليه الصلاة والسلام أمة، ثم أسلمت فتزوجها عليه الصلاة والسلام وذكرنا لكم اسمها سابقًا وهى صفية بنت حيى بن الأخطب التى كان أبوها حيى بن الأخطب رأسًا من رءوس اليهود.

اليوم سنتكلم عن امرأة نصرانية، أيضًا النبى عليه الصلاة والسلام أخذها سُرِّية أى: جارية أُهديت إليه، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوجها زواجًا أعنى لم يعتقها ويجعلها زوجة، تعلمون أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾[المؤمنون: ٥، ٦] .

النبى عليه الصلاة والسلام كان عنده زوجات، وعنده مارية بنت شمعون القبطية، أهداها إليه المقوقس حاكم الإسكندرية، والنبى عليه الصلاة والسلام –يا جماعة– من أعظم مميزاته أنه كان يحرص على أن يقيم علاقات رائعة مع جميع الناس حتى لو كان الطرف الآخر يهوديا، نصرانيا، مجوسيا، هندوسيا، بوذيا.

ما دمت أستطيع أن أقيم علاقة حسنة لأجل تقريبه إلى الخير قدر المستطاع، فأنا

أفعل ذلك؛ فكان عليه الصلاة والسلام يهدى هدايا إليهم ونحو ذلك، وأهدى إليه المقوقس هدية أهدى إليه هذه الجارية التى اسمها مارية القبطية ومعها أختها ومعهما أيضًا غلام، وأهدى إلى النبى عليه الصلاة والسلام أيضًا فرسًا وأهدى إليه حمارًا، يعنى أهدى إليه مركبًا يسافر عليه إن أراد ونحو ذلك، وامرأة إن أراد عليه الصلاة والسلام أن يهديها لأحد، أو أن يجعلها لنفسه.

أحضر هذه الهدايا حاطب بن أبى بلتعة وذلك فى السنة السابعة للهجرة، قبل وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وقليل، النبى ﷺ توفى فى الحادية عشرة، فهى كانت قبيل وفاته بشىء يسير.

لما جاء بها حاطب كان فى أثناء الطريق، حاطب طبعًا معه الآن امرأتان وهذا العبد المملوك ومعه أيضًا بقية الهدايا التى أرسلها المقوقس؛ أخذ يتكلم معها عن الإسلام وذلك فى السنة السابعة للهجرة، فدخلت فى الإسلام.

فوصلت المدينة إلى النبى ﷺ وهى مسلمة، فاتخذها النبى ﷺ لنفسه وكان أسكنها فى البداية قريبًا من زوجاته، فكان فيها جمال وحسن وكانت أمها رومية والفتاة جميلة؛ فغارت منها زوجات النبى عليه الصلاة والسلام. سبحان الله! ما يقع بين الضرائر أمر لا مفرَّ عنه حتى لو كن زوجات النبى ﷺ.

فلما كثرت منهن بعض الأمور معها، نقلها النبى عليه الصلاة والسلام إلى مكان فى عوالى المدينة – عوالى المدينة هى المزارع ونحوها التى تكون حول القرية، حول البلدة- وأسكنها عليه الصلاة والسلام هناك وكان فيه سكان، فكان النبى عليه الصلاة والسلام يختلف إليها، يأتى إليها أحيانًا، والنبى عليه الصلاة والسلام كان أوصى بهم خيرًا، أعنى أوصى بمن أهدوا إليه خيرًا، ففى «صحيح مسلم» من حديث أبى ذر قال النبى عليه الصلاة والسلام: **«إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط»**، قال: «**فأحسنوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا** - أو قال - **ذمة وصهرًا** - وفى رواية - قال: **فإن لهم خؤولة ونسبًا**»، لماذا قال فإن لهم رحمًا وصهرًا؟ لماذا هم أصهارنا وبيننا وبينهم رحم وبيننا وبينهم خؤولة؟

النبى ﷺ هم أصهاره؛ لأن امرأته التى هى ملك يمينه وأم ولده إبراهيم مصرية، وأيضًا جدة النبى عليه الصلاة والسلام هاجر التى هى أم إسماعيل مصرية، فوضح النبى عليه الصلاة والسلام أن لهم خؤولة؛ لأنهم إخوان جدته التى هى هاجر، ولهم نسب وصهر لأننى أخذت منهم مارية، وإبراهيم عليه السلام تزوج منهم هاجر إلى غير ذلك.

فالمقصود: أنه عليه الصلاة والسلام أوصى بهم خيرًا، وهذه بشارة لمن يرانا من الإخوة المصريين.

على العموم النبى عليه الصلاة والسلام أثنى عليهم خيرًا وأثنى عمومًا على بلدان كثيرة، النبى ﷺ أثنى على اليمن أيضًا وقال: **«الإيمان يمان والحكمة يمانية»**، وكذلك أثنى على الشام عليه الصلاة والسلام وقال: **«إن الطائفة المنصورة فى الشام»** إلى غير ذلك، أثنى عمومًا على بلدان كثيرة وعلى جزيرة العرب أثنى عليهم وذكرناها.

ليس هذا موضوعنا ولكن ذكرناه حتى لا يقال: إنه عليه الصلاة والسلام أثنى على بلد دون بلد.

المقصود: أنها تزوجها النبى عليه الصلاة والسلام أو تسرى بها أى جعلها سرية (جارية) ووطئها بملك اليمين، ولدت له عليه الصلاة والسلام إبراهيم وكان عليه الصلاة والسلام يحب إبراهيم ولم يولد له عليه الصلاة والسلام أولاد إلا من خديجة. مات القاسم ومات عبد الله من خديجة ولم يبقَ له عليه الصلاة والسلام إلا البنات وأيضًا أصغر هؤلاء البنات كانت أكبر من عائشة.

فلما هاجروا إلى المدينة كان عمر فاطمة رضي الله عنها التى هى أصغر أولاده من خديجة كان عمرها رضي الله عنها ست عشرة سنة؛ لذلك فى السنة الثانية للهجرة تزوجها على ولها ثمانى عشرة سنة.

فالنبى ﷺ له سنون يشتاق للولد؛ لكن كل زوجاته ما حملن لا عائشة ولا أم سلمة ولا غيرهما فلما ولدت له إبراهيم فرح به فرحًا عظيمًا وابتهج ابتهاجًا كبيرًا وهى نفسها

فرحت؛ وذلك لأنها جاءت من مصر وصارت مع نبى، وهاجر جاءت من مصر وصارت مع نبى الله إبراهيم، وتتمنى أن تكون هى أم أولاد لنبى كما كانت هاجر أم أولاد لنبى، فهى تتمنى ذلك فولد لها إبراهيم.

ففرحت بإبراهيم والنبى عليه الصلاة والسلام فرح به، وكان يختلف إليها أى يذهب إليها وإلى ولده ويجلس ويلاعب ولده إبراهيم، وكبر إبراهيم حتى وصل عمره إلى سنتين وأمه فرحة به فرحًا عظيمًا، ولم يذكر أنها رأت أهلها فى مصر أو زارتهم خلال بقائها فى المدينة، فكان تعلقها بهذا الولد تعلقًا كبيرًا جدًّا وابتهاجًا به كبيرًا.

ومع مرور الأيام أُصيب إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بمرض واشتد عليه هذا المرض، حتى أخذت تمرضه وتحاول أن يشفى وجاءت إليها أختها وكان حزنها على ولدها إبراهيم عظيمًا، حتى نزل به الموت، ففى «صحيح مسلم» أن النبى عليه الصلاة والسلام عند اشتداد المرض على إبراهيم أقبل ﷺ حتى جاء وحمل إبراهيم بين يديه ونفسه تقعقع أى: يشهق، وينزع نزع الموت واحتضاره، والنبى ﷺ ينظر إلى ولده بين يديه يموت وهو أصغر أولاده، وليس عنده ذكر غير هذا الولد، وللنبى عليه الصلاة والسلام سنون طويلة لم يرزق بأولاد، وهذا الولد غلام بين يديه، وفى الغالب بدأ هذا الولد يمشى ويتعلم الكلام ويفهم الضحك والمزح؛ لأنه أكمل سنة ونصف السنة؛ وبالتالى يزداد قدره عند أبيه.

قال الله تعالى عن إسماعيل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] لما وصل عمر الولد خمس سنوات أو ستة،، وصار يذهب مع أبيه ويأتى، قال: يا بنى! إنى أرى فى المنام أنى أذبحك.

ترى عظم الابتلاء.

وإبراهيم عندما بلغ مبلغًا يمكن معه أن يفعل ما ذكرناه سابقًا إذا به يموت بين يديه، حمل النبى ﷺ إبراهيم ونفسه تقعقع، فبكى النبى عليه الصلاة والسلام وجعلت دموعه تسيل وهو ينظر إلى ولده، لا يملك له شيئًا فكان عنده عبد الرحمن بن عوف،



ولما رأى أن النبى عليه الصلاة والسلام يبكى وقد حمل ولده إبراهيم قال: يا رسول الله! تبكى، تبكى، أنت تبكى!

فقال ﷺ: «يا عبد الرحمن إنها رحمة إنها رحمة».

هذا ولدى ما أتيت به من الشارع، هذا ولدى قطعة منى فلذة كبدى ثمرة فؤادى، إنها رحمة إنها رحمة، وجعل النبى ﷺ ينظر إليه حتى مات إبراهيم.

ولما مات إبراهيم فى ذلك اليوم، انتشر عند الناس أن إبراهيم ابن النبى ﷺ مات؛ لأنه ﷺ كان فرحًا به مستبشرًا والناس فرحون أن النبى ﷺ عنده ولد، ففى ذلك اليوم كسفت الشمس وأظلمت الدنيا، الكسوف للشمس والخسوف للقمر، وذلك أن تغيب الشمس، أو أن يغيب القمر فجأة يحال بيننا وبين رؤيته.

مات إبراهيم فكسفت الشمس وأظلمت الدنيا عليهم وهم فى نهار، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم، وكانوا يعتقدون فى الجاهلية أن الشمس إذا كسفت فهذا معناه أن عظيمًا من العظماء قد مات، فلما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وكسفت الشمس قالوا: هذا الذى كنا نعتقد، الشمس كسفت لأجل موت إبراهيم؛ لكن النبى عليه الصلاة والسلام من أمانته فى تبليغ الرسالة ما استغل الموقف ما قال: رأيتم. تروا قدرى عند الله إذا كان ولدى كسفت الشمس لأجله؛ فما بالكم بى أنا كيف يكون قدرى؟ لم يستغل النبى ﷺ هذه النقطة لصالحه؛ لأنها لم تكن موجودة شرعًا أن الشمس والقمر يكسفان لموت أحد.

وقام النبى عليه الصلاة والسلام إلى الناس وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته».

هذه ليس لها علاقة بموت ولا حياة، الشمس والقمر آيتان من آيات الله.

والله سبحانه وتعالى يصرفها كيف يشاء.

قال: «الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة» قوموا مباشرة وصلوا.

مارية رضي الله عنها لبثت مع النبى ﷺ حتى مات ولم ترزق بولد بعد إبراهيم، وبعد وفاة

النبى عليه الصلاة والسلام وعاشت إلى خلافة عمر رضي الله عنه ثم توفيت فى السنة السادسة عشرة للهجرة.

كيف كانت علاقتها أصلاً مع زوجات النبى عليه الصلاة والسلام؟ وهل يجوز قبول الهدايا مطلقًا من النصارى؟ أم لا؟

كيف كانت علاقة النبى ﷺ بها وقدرته على وزن الأمر بينها وبين نسائه؟

فى الغالب إذا كانت إحدى الزوجات عند الزوج لها مميزات ليست لباقى نسائه الأخريات، ففى كثير من الأحيان ربما يقع بينهن مشاكل. مثلما هو كائن اليوم.

لذلك أنا أوجه كلامى إلى كل من هو معدد من الرجال وله ضرائر، وكلمة (ضرائر) مشتقة من الضَّرة، فليس هناك امرأة حتى لو كانت صحابية يقع فى نفسها القبول التام مائة بالمائة أن يكون معها شريكة، حتى لو قالت: نعم أنا موافقة هذا شرع الله؛ فإنه يبقى فى القلب أنها لا تحب المشاركة فى زوجها، فالمقصود: أن النبى عليه الصلاة والسلام يعلم أن مارية تتميز بأشياء: الحسن والجمال وغير ذلك.

إضافة إلى أنها كانت تحتاج إلى احتواء، فعائشة عندها إخوانها وأبوها، وحفصة عندها أبوها وإخوانها، أما هذه فمسكينة ليست عندها إلا أختها التى جاءت معها، فكان النبى عليه الصلاة والسلام يعطيها شيئًا من الاهتمام ليشعرها بنوع من الزوجية والحنان والعطف ونحو ذلك، وإن كانت زوجات النبى عليه الصلاة والسلام لهن من الفضل واللين فى التعامل معه والعقل ما يدفعهن إلى التعامل بعقل فى مثل هذه الأمور وليس التعامل باندفاع أو نحو ذلك.

ونلاحظ فى وفاة قريب أو وفاة أحد الأبناء أو وفاة الأب أو الأم نجد بعض الشباب يزيد الحزن والبكاء أكثر من شهر أو شهرين.

طبعًا، النبى ﷺ مات ولده بين يديه وهو ولده الوحيد الذكر، وهذه أمه جاءت من بلادها وتعلق قلبها بهذا الولد، فأنا أقول: سبحان من صبرها هى أيضًا؛ فإن رسول الله ﷺ عنده من الإيمان والجلال والانشغال أصلاً بأمور الحياة ما يجعله لا

تلبث المصيبة فى رأسه كثيرًا؛ لكثرة ما عنده عليه الصلاة والسلام من أعباء، لكن انظر إلى صبرها هى فلم يذكر أنها فعلت شيئًا من أمور النياحة ورفع الصوت والصراخ والبكاء على الميت، ولم يذكر أنها شقت جيبًا أو حلقت شعرًا أو اعترضت على قضاء الله وقدره، أو إنها أغمى عليها وأُصيبت بمرض ولزمت الفراش، لم يذكر هذا.

فقارن هذا بما يقع الآن من بعض أخواتنا النساء اللاتى إذا مات ولدها أو مات زوجها، لا يكون عندها أحيانًا تلَمُس للأجر المترتب على هذه المصيبة!

فالنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «من يرد الله به خيرًا يصب منه»، معنى (يصب منه) ينزل به مصيبة، ينزل به شيئًا من المصائب: إما ضياع مال وإما مرض ولد وإما غير ذلك.

يقول الإمام أحمد: لولا المصائب التى تنزل بنا لقدمنا يوم القيامة مفاليس، مفاليس ما عندنا شىء، يقول: حسناتنا لا ندرى تقبل أو لا تقبل؟ أما المصائب فهى تمحيص للذنوب، وإن الله تعالى يكفر السيئات بمثل هذه المصائب التى تنزل مثلما قال النبى عليه الصلاة والسلام لعائشة: **«إن الحمى تأكل خطايا بنى آدم»** الحمى مرض تأكل خطايا بنى آدم.

ماريا ﵂ كانت تتصور مثل هذا، يا أخى النبى عليه الصلاة والسلام مربيها سنتين أو ثلاث سنوات، وهى معه عليه الصلاة والسلام فأكيد أنها سيكون لها من الصبر العظيم ما أحدثه النبى ﷺ بكثرة كلامه معها.

حقيقة، نوجه الجميع إلى أهمية أن يحتسب الإنسان الأجر؛ منْ صبر فله الرضا ومن سخط فله السُّخط، والإنسان لا بد أن يصبر ما دام هناك أجر مترتب على هذا.

سؤال: زوجة الرسول ﷺ مارية هل استمرت مملوكة أم أعتقها؟

هذا سؤال جيد هل تعد من زوجاته الإحدى عشرة عليه الصلاة والسلام وهو لم يجتمع عنده أكثر من تسع؟ منهن زوجات ماتت مثل خديجة ﵂، ومنهن من دخل بها

ﷺوطلقها مثل بنت الجون وغير ذلك.

هذا موضوع آخر؛ لكن لم يذكر أنه عليه الصلاة والسلام أعتقها، لكنها بقيت فى ملكه عليه الصلاة والسلام وتعد أم ولد، فهى ولدت منه وبوفاته ﷺتعتق.

والإماء تنقسم إلى أقسام:

منهن من تكون مدبرة أى: يقول لها سيدها: إذا مت فأنت حرة، إذا أدبرت عن الدنيا فأنت حرة.

ومنهن أم الولد التى تلد من سيدها ولدًا أو بنتًا، فأهم شىء أنها ولدت منه فهذه تعتق بموته أيضًا.

ومنهن الأمة العادية التى لا تلد من سيدها ولا يدبرها ولا يعتقها فى حياته، وبالتالى تبقى ولا تعتق يرثها ورثته أى تدخل فى الإرث بعد وفاته؛ لكن لا يطؤها أولاده، إذا كان وطئها؛ لكن يمكن أن يبيعوها.

مسألة خطبة الرجل لابنته كعادات وتقاليد يتحفظ عليها العرف، ولكن فى الشرع أنا لا أرى شيئًا فى أن الواحد يشرى لابنته. يخطب لابنته ولا يخطب لولده مثلما يقول العوام.

ولكن لا بد أن نأخذ رأى البنت، والمقصود من (أهديتها) أن الأب لا يكلف الزوج مهرًا لها.

نحن نعرف أن الواحد متى يتزوج فيجب عليه أن يبذل للمرأة كما قال الله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] نحلة أى: خالصة لهن.

أما فى حالتنا هذه فالواحد بدل أن يجمع عشرين ألف ريال، أو ثلاثين أو خمسين بحسب المهر ويعطيه لها، يأتى الأب ويقول: يا ولدى اترك الجهاز كله على. أنا سأعطيها المال لأجل أن تشترى جهازها الذى تحتاج إليه فى الزواج، وأنا أهديتها إليك إهداءً بمعنى: أنى وفرت عليك المال الذى تدفعه وإلا فلابد من موافقة البنت طبعًا.

فإذا وافقت البنت وكان الرجل مناسبًا يتم الزواج.

وهذه الأمور ليس فيها مزاح أي:لو أن واحدًا قال: يا فلان! زوجتك ابنتي وقال: قبلت، انتهى الأمر إذا كان يوجد شهود وإن كان بعض الناس لا يستحق من يعرض عليه.

وسيأتي ذلك إن شاء الله وسنتكلم عن بعض هذه الأمور وسأذكر بعض الحوادث عن أشخاص أكرموا فى الزواج، ثم بان أنهم ليسوا أهلاً للإكرام، فلم يقم بما يجب عليه بعد الزواج.

وإتمامًا لحديثنا نذكر الرجل الصالح الذى ذكره الله تعالى فى سورة القصص، الذى قال لموسى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ﴾ **[القصص: ٢٧]**

وعمر ﷺ لما تأيمت حفصة أي:مات زوجها، جاء إلى عثمان قال: يا عثمان! إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر فى شأنى، سأفكر فى الموضوع، فعمر جاء يقول له: أزوجك ابنتى، وحفصة كانت دون العشرين، فجاءه عثمان بعد يومين أو ثلاثة، قال: قد بدا لى ألا أتزوج واعتذر له.

فذهب عمر إلى أبى بكر قال:يا أبا بكر!، إن شئت أنكحتك حفصة، فقال له أبو بكر: سأنظر فى شأنى، وسكت أبو بكر وعمر ينتظر من أبى بكر أن يرد له خبرًا، لكن أبا بكر تأخر فخطبها النبى ﷺ فجاء أبو بكر إلى عمر قال: يا عمر أنا والله كنت أرغب فيها ولم أرد عليك؛ لأنى كنت سمعت أن النبى ﷺيفكر أن يخطبها، فلم أشأ أن أقول لك: لا أريد، ثم قد يحصل أن النبى ﷺلا يخطبها، وتضيع على وعلى غيرى. ولم أشأ أن أقول لك: نعم.

فلا يوجد حلٌ إلا أن أسكت، فلا تغضب منى أن تأخرت عليك فى الإجابة.

فلا بأس فى مثل هذا، بشرط أن يكون بالضوابط المنضبطة.

دعنا نعُد قليلاً للابتلاء والحديث: «**إن الله إذا أحب عبده ابتلاه**»، الله سبحانه وتعالى الآن ابتلى المسلمين بكثير من الابتلاءات، ودائمًا يكون رد الفعل الطبيعى النواح والحزن والبكاء، لكن الإسلام قنن لنا رد الفعل، أن نقول: حسبى الله ونعم الوكيل وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونحن ذكرنا قبل قليل أن المصائب يؤجر عليها الإنسان بصبره، عكس بعض الناس إذا مات ولده يقول: لم يا رب، لم يموت...؟

الله الذى اختاره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]الله الذى يختار يحيا أو يموت، وبعض الناس يقول: لم هذا يا ربى؟ ذهب ماله أو احترق بيته أو نحو ذلك؛ فى حين أن الواجب عليه أول شىء لا بد أن يفعله هو أن يرضى بما قدره الله سبحانه وتعالى عليه، والله عز وجل يقدر المقادير فى السماء ونحن فى الأرض يتحكم فينا، نحن مسيرون فى هذا، لا يمكن أن يرد الموت.

قل للطبيب إذا تخطفته يدُ الردى ... يا شافى الأمراض من أرداك

قل للمريض الذى شفى وعفى ... بعدما عجزت فنون الطب من عافاك

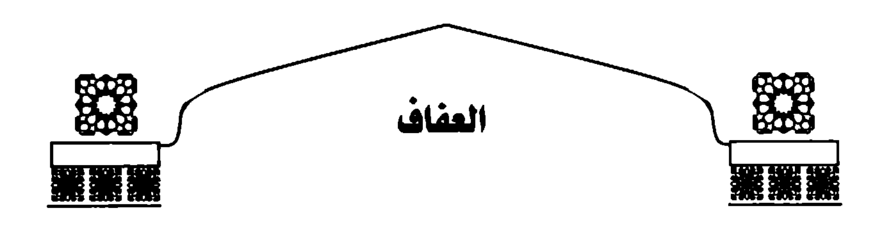
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... هوى بها من ذا الذى أهواك

فكون الإنسان تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله تعالى فهذا يهون عليه كثيرًا مما ينزل بالأمة من مصائب، ولا يكون حالنا فقط النياح عليها.

أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء، وأسأل الله أن نكون أوصلنا الفكرة التى نريد، ورضى الله عن مارية بنت شمعون القبطية جارية رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



العفاف

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إننا فى كل مرة نذكر امرأة من النساء ثم نذكر من قصتها الفوائد، واليوم لن أتكلم عن امرأة معينة لكن سأتكلم عن العفاف.

فالنبى عليه السلام عندما ذكر آخر الزمان ذكر عددًا من أشراط الساعة، فذكر أنه تكثر النساء ويقل الرجال وتكثر الأسواق ويتقارب الزمان إلى آخره.

وذكر أشراطًا صغرى وأشراطًا كبرى، ومن ضمن الأشراط الصغرى التى ذكر النبى عليه السلام أنها تظهر فى آخر الزمان أنه قال عليه السلام: **«ويفشو فيهم الزنا»**.

طبعًا الزنا بأنواعه: ومنها: زنا النظر بالحرام وأصبح هذا النظر منتشرًا وربما أصبح سهلاً، منها زنا النظر، ومنها زنا السمع كما قال عليه السلام: **«العين تزنى وزناها النظر، والأذن تزنى وزناها السمع، واللسان يزنى وزناه الكلام، والرجل تزنى وزناها المشى، واليد تزنى وزناها اللمس**،ثم قال: **والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**.

يعنى: قد يكون الإنسان أحيانًا زنا بعينه ثم ربما زنا برجله بأن ذهب إلى مكان فعل الفاحشة ثم لمس بيده، ثم الفرج بعد ذلك يكمل الموضوع يقع فى الفاحشة الحقيقية قالوا: والفرج يصدق ذلك أو يكذب إما بعد ذلك يقع فى الفاحشة التامة أو يبتعد عنها.

لذلك لو تأملت اليوم وجدت فى الحقيقة أنه ربما قبل فترة كان الإنسان لما يريد أن ينظر إلى محرم يعنى:الصور المحرمة أو الأفلام أو نحو ذلك كان الأمر بعيدًا، حتى إذا تقارب الزمان وكثرت الفتن أصبح الإنسان كل هذا موجودًا أمامه.

حتى يحدثنى أحد الزملة - أحد المشايخ - وهو حقيقة مهتم بأولاده وتربيتهم وأولاده يدرسون فى تحفيظ القرآن يعنى:يدرسون الصبح فى تحفيظ القرآن فى المدارس

الرسمية وفى العصر فى المسجد يدرسونه أيضًا هو ضابط وضعه.

يقول لى مرة من المرات: كنت أسمع إلى ولدى فى سنة خمسة ابتدائى أظن ولده عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة، ويقول: كنت أسمع له سورة النور، يقول فلما بدأ يسمع فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. فقلت له: توقف ما معنى الزانية والزانى؟ وتوقعت منه أن يقول: لا أعلم لا أدرى.

يقول فقال: أخاف أن تضربنى، يا ولدى الأمر أعظم من ذلك إن كنت تعرف معنى الزانية والزانى الأمر أعظم من مسألة ضرب يا ولد أيش معناها؟ قال: يعنى يفعل كذا وأتى بالعبارة العامية التى تدل على معنى الجماع، يقول: فمسكت رأسى آه يا ولدى أيش معناها اشرح لى فقال يعنى: كذا وكذا ووصف له وصف تام دقيق عن كل ما يقع بين الزوجين فأعطى الولد نصيحة وقال: يا ولدى كيف عرفت هذه الأشياء ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا يا ولدى من أين عرفت هذه الأشياء؟ يعنى يقول صاحبى: حتى البيت محافظ كنت ضابطًا الوضع فى البيت من حيث ضبط الإنترنت والهاتف الجوال والتلفاز والبيت عليه كنترول قوى. يا ولدى كيف استطعت أن تعرف هذا الأمر بدقة فقال: والله أنا مرة طلعت للمسجد - أظن أنه يصلى المغرب - وابن جيراننا وكان معه هاتفه وأرانى مقاطع فى هاتفه أحد المقاطع بين رجل وامرأة، الحقيقة أنا رأيت معهم وصحيح أنى فى الأخير قلت له: هذا حرام؛ ولكن بقيت الصورة عالقة فى نفسى الآن.

يقول صاحبى الشيخ: تصدق يا شيخ محمد، والله ما كنت أعلم حقيقة ما يحصل بين الزوجين إلا وأنا فى أول ثانوى وأنا عمرى ستة عشر عام بعد ما بلغ يقول: لم أعلم حقيقة ما يقع ليس ما يقع تمام بل حقيقة ما يقع بين الزوجين إلا بعد ما تعديت الخامسة عشر سنة بدأت أفهم وأدرك.

حقيقة نحن اليوم فى زمان إن لم يقِ الإنسان نفسه بالطرق والأساليب التى يحفظ بها نفسه؛ فعلًا ويعف نفسه عن المحرمات وإلا قد تزل به القدم، وقد بين النبى عليه

السلام فى الحديث الذى ذكره أن هناك سبعة يظلهم الله فى ظلـه يـوم لا ظـل إلا ظلـه. وذكر منهم «**وشابٌّ نشأ فى طاعة الله**» ليس المقصود الشاب فقط بـل الـشاب وكـذلك الفتاة أيضًا، إذا كانت هناك فتاة نشأت فى طاعة الله أيضًا يعمها مثل هذا الكـلام لـيس فقط خاصٌّ بالشاب أو الفتاة.

هناك عدة طرق فى زماننا يستطيع الإنسان بها بإذن الله أن يبتعد عن هذه الشهوات أو على الأقل يضبط أمر شهوته.

ما رأيكم أن تشاركونى فى ذكر شىء منها:

فنبدأ بك يا سلطان:الأشياء الممكن الإنسان إذا فعلها يمكن أن يـستطيع أن يحفـظ نفسه من مثل هذه الشهوات.أولًا: أن يبتعد عن المثيرات.

أحسنت يبتعد عن المثيرات، والمثيرات كثيرة فى كل مكان ومن **أهمها**: الفـضائيات والتى أصبحت أهم شىء فيها أن يكسبوا جمهورًا لهم من أجل الـدعايات أو الرسـائل القصيرة، ولم يعد يهمهم مسألة هل يرضى الله تعالى عـن هـذا أم لا؟ هـذا أمـر ربـما لا يفكرون به إلَّا آخر شىء.

ولا ينبغى لنا أن نشجعهم وأنا دائمًا أقول حقيقة للناس مـن خـلال الفـضائيات: أنـا وأنت نستطيع أن نقضى على هذه الفضائيات السيئة بمقاطعتهـا، وكـان بعـض النـاس يقول: يا شيخ! كيف طيب إذا قاطعتها أنا وفلان هل هى ستقف هل ستقف وتنتهى يا شيخ إذا قاطعتها؟

نعم. ستقف، الآن يا جماعة تقنيا، وأنا لدى معرفة وعلاقـة بـبعض القـائمين عـلى تقنيات البث فى الفضائيات فى بعض الأقمار كقمـر عـرب سات ونايل سات وبـدر ونحوها إلى آخره.

هناك أجهزة دقيقة تقيس عدد من يستقبلون بث القناة فمثلاً : برنامجنا هـذا قـد تتفـق القناة مع شركة أخرى مختصة بالدعاية والإعلان، وهـذه القنـاة والـشركة تـستطيع أن تقول لهم: لقد شاهد برنامج القوارير فى الساعة الفلانية فى اليوم الفلانى ثلاثة مـلايين أو أربعة ملايين ريسيفر، واليوم الفلانى استقبله ثلاثة مـلايين وسـبعمائة ألـف وثلاثـة

وتسعون ريسيفر. بهذه الدقة يستطيعون أن يبينوا لهم وأن يحددوها.

وهذه القنوات إذا جاءت وحذفتها من على الريسيفر وقلت: هذه قناة فاسدة لا أتشرف بها فى جهازى وجاء الثانى والثالث وفعلوا مثلى فأصبحت هذه القناة لما كانت عندها شىء من المحافظة فى السابق كان عدد المشاهدين ربما مليونًا، ثم بدأت تخاطب السر وأسفل لا تخاطب السر وأعلا أصبح عدد المشاهدين خمسمائة ألف إذًا لماذا قلَّ عدد المشاهدين؟ قال: عدد المشاهدين لأنك غيرت أسلوبك يا قناة طيب كيف أجلب المشاهدين أجلب المشاهدين بأن تقدمى أشياء محافظة تبدأ القناة ببثها.

وتبدأ تعدل من أسلوبها، لذلك أنا أعرف بعض القنوات قد يكون فيها أنواع من الفساد، ومع ذلك تضطر أن تضع بعض الأمور المحافظة التى فيها أشياء إسلامية لأجل أن تجلب المشاهدين أكثر لقناتها، ونحن لسنا حيوانات حتى تعرض علينا كل هذه الأمور المحتقرة.

فأول شىء: أن يبتعد الإنسان عن هذه المثيرات، وأنا أوجه إلى جميع من يرانا حقيقة أن نقوم بحملة لمقاطعة القنوات الفاسدة كالتى تنشر الخلاعة الصريحة أو التى تنشر قريبة من هذه الخلاعة الصريحة، أحيانًا قنوات ليس فيه مثل ما يقال الميل والمكحلة لكن فيها ما هو قريب من ذلك كشدة التقبيل والضم ونحوها، ينبغى أيضًا مقاطعتها والآن الفضاء يسبح فيه آلاف القنوات يمكن للإنسان أن يختار منها ما هو على الأقل أقل ضرر، هذه مسألة البعد عن المثيرات حتى غدًا لا يأتينى شابٌّ ويقول: **إن شهوتى ثائرة دائمًا ساعدونى أن أتزوج ولا دبرونى ماذا أفعل أو أنا أمارس العادة السرية.**

نقول له: يا أخى ما الذى أثار الشهوة عندك؟ أساسًا أنت الذى تحركها.

طبعًا هناك القنوات الفضائية وأشياء أخرى ومثل المجلات والأفلام الخليعة ومواقع فى الإنترنت وبعض المقاطع فيما بين الشباب؛ وأحيانا بعض الزملاء، كيف الزملاء يثيرون هذا؟

قول يا نايف: الآن منتشر بين الشباب أن من أراد الزواج فلا بد أن يمارس الزنا مع

صديقة أو صاحبة حتى يكون لديه معرفة بهذه الحالة عند زواجه فيكون على بينة وهذه مصيبة؟

والله يا أخى هو الذى نحن قولناه فى البداية يعنى: النبى -عليه السلام- الذى يقول: يفشو فيهم الزنا. أى: يصبح استغفر الله العظيم الزنا أمرًا عاديا والنبى حذر منه تحذير عظيم يعنى مثلًا النبى ﷺ فى حديث سمرة بن جندب الذى رواه البخارى يقول: عليه السلام: «**إنه أتانى آتيان فابتعثانى فانطلقت معهما فأتينا على شىء مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع وإذا فيه رجال ونساء من تحتهم لهب** - مثل الخبز من فوق وتحته نار- **فإذا أصابهم اللهب ضوضوا** - أى: صاحوا- **ثم حاولوا أن يخرجوا فلا يستطيعون، وإذا بلغوا الأعلى انزلقوا فوقعوا فى النار ثم تأتيهم النار مرة أخرى فيحاولون أن يصعدوا**» فالنبى ﷺ قال: نساء ورجال عراة فيقول ﷺ: «**سبحان الله! من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزوانى**» هؤلاء الزناة والزوانى.

هم لما حبسوا أنفسهم فى الدنيا فى تنور الشهوة حبسوا يوم القيامة فى مثل هذا، وأنا لم أذكره حقيقة لأخيف الناس أخترع الحديث من عندى لا والله هو حديث رواه البخارى فى «صحيحه» ومن أراد أن يراجعه فليراجعه أو يراجع شرحه.

فالأمر عظيم، والنبى -عليه السلام- حذَّر من ذلك فى أحاديث كثيرة، قال عليه السلام فيما ذكره الهيثمى فى «الزواجر عن اقتراف الكبائر» قال: «**من وضع يده على فخذ امرأة شويت يده فى النار فإن قبَّلها قُرضت شفتاه بالمقاريض**»؛ ولذلك الله سبحانه وتعالى لما ذكر الزنا ما قال: ولا تزنوا؛ إنما قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾.

أيش معنا قال: ولا تقربوا؟ لا تبدأ بخطوات ما قبل الزنا مثل النظر والمكالمات والخلوة بها والذهاب إلى الأماكن التى يقع فيها زنا.

وأنا أذكر واحدًا من الشباب يحدثنى وهو حقيقة إمام مسجد ورجل خير، ذهب مرة إلى إحدى الدول الأوروبية يقول: فكنا نمشى فى الشارع فأقبل إلينا رجل معه صور عارية مكتوب عليها أرقام لبعض بيوت البغاء التى تمارس فيها الدعارة قال: ظننتها أنا كروت شحن جوال يقول شحن هاتف وأنا أيضًا كنت أريد كارت

شحن فجأت إليه وقلت له: أعطنى كارت وأنا أريد أن أشحن هاتفى لأتكلم مع أهلى، يقول: فلما نظرت فإذا فيه صورة امرأة عارية وتحت صورتها أرقام؛ فظن أننى أقصد هذه الأشياء؛ يقول المشكلة هو يتكلم غير لغتى فقال: تعال تعال تعال معى فقلت: تعال معى وأين أيش هذا أنا هاتفى أبغى؟ قال: تعال معى يقول قلت له: لن أذهب يقول فكان معى واحد من الشباب مسافر معى صاحبى هذا تعرفت عليه هناك يقول: فقال لى يا فلان: تعال نذهب لن نزنى، أعوذ بالله لكن نرى الواقع، نشوف الوضع، أيش الوضع الذى هو حاصل، كيف التجهيز؟ الذين يذهبون إلى ذلك المكان كيف يرون من باب حب الاستطلاع ويقول فقلت له: لا والله لا أذهب.

والمشكلة أنك إذا ذهبت وقعت؛ بخمس خطوات - أعوذ بالله - آخرها الزنا، وأولها النظر إلى المرأة والثانى المشى إليها والشيطان الآن لا يقول لك: ازنِ، إنما أعطاك الأولى وانتهى منها ثم يبدأ بالثانية وهى المشى إليها فإذا وصلت جاءت المسألة الثالثة أُدخلت إلى المكان وإذا دخلت جاء الأمر الرابع وهو النظر الصريح، فإذا تعدى النظر الصريح وصار يتأمل وثارت شهوته فقد يقع فى الخامس وهو الزنا والله تعالى قال: ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور: ٢١] و الخطوات الخمس التى ذكرتها قال فى آية أخرى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وأنت بهذا المشى قد اقتربت.

ويحدثنى بعض الشباب ممن يستفتى أو يتوب من فعل أمر معين يقول: يا شيخ أحدهم كان مصابًا بمرض جنسى فاستفتانى هل يجوز أن يتزوج أم لا يتزوج إلى آخره؟

فقلت له: لا يجوز أن تتزوج؛ وأنت مريض بمرض جنسى، ثم تصيب الفتاة به ثم سألته فقلت له: ما الذى أوقعك فى هذه الفاحشة؟

فقال: أقسم بالله إنى لم أقع فيها إلا مرة واحدة فى حياتى، ولم يكن قصدى والله فاحشة والله ولا فكرت أنى أزنى - أعوذ بالله - الزنا الصريح يقول: لكن قال لى

بعض أصحابى: انظر والمس وقبِّل فلما تساهلت بهذه الخطوات وجرّه إلى الأمر الأخير وهو الوقوع فى الفاحشة، والمشكلة قد يبتليهم الله تعالى فى الدنيا قبل الآخرة ببعض الأمور يعنى القضية أصبحت ليست فقط أمر أخروى يحاسب عليه العبد بل حتى فى الدنيا.

كما قال ابن القيم: بشر الزانى بالفقر ولو بعد حين إلى غير ذلك من التحذير الذى ذكره العلماء؛ لأجل حفظ الإنسان لنفسه كما قال الأول:

ما زلت تتبع نظرة فى نظرة ... إثر كل مليحة ومليح

وتظن ذاك دواء قلبك وهو ... فى التحقيق تجريح إلى تجريح

الإنسان كلما نظر أكثر كلما ثارت شهوته أكثر.

فى النقطة الأخيرة التى تكلمنا عنها وهى غضُّ البصر وكما قال أخونا نايف: هناك بعض الأصحاب يزينون للإنسان مسألة الشهوة، والمشكلة يا جماعة الآن أصبحت بعض المعاصى معاصٍ عادية وسأضرب لكم مثالاً وإن كان مثال صريح.

ففى السابق كان الذى يدخن لا يستطيع أن يدخن أمام الناس فى مجتمعنا على الأقل، وإذا دخن تجد عنده فى الدرج علق وطيب حتى ما يبغى أحد يدرى والآن أصبح التدخين أمرًا عاديا وقد يضع السجائر فى جيبه وهو لا يأبه ومثله كذلك فى بعض الجامعات.

كذلك كل مثل هذا الآن فى السابق كان الواحد إذا أراد أن يتكلم مع الفتاة يخجل وكيف تتعرض لبنات الناس، والآن أصبح الأمر عاديا بل يزيد الأمر إلى أنهم ينتقصونك إلى الآن ما وقعت فى فاحشة، إلى الآن ما فعلت شىء.

ولا شك أن هذه دعوة إلى الكبائر، ويستغربون منه قائلين: أليس عندك صاحبة؟

وأنا أرى أن الشيطان أفلح فى استعمال بعض الشباب أو مع بعض البنات فى إفساد الناس كما قال أحدهم: وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى بى الحال حتى صار إبليس من جندى، وبعض الناس صفق إبليس لهم مبتهجًا وباعهم فنونه وقال: ما عاد لى دور

هنا دورى أنا أنتم تلعبونه.

كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] وكما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس:٥-٦].

فالشياطين نوعان فأنا أقول: لا يكون أحد يا جماعة لا من الشباب أو البنات لا يكون مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، والنبى -عليه السلام- يقول: «**إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير**» ويقول: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار مَنْ تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا**».

والكلام حقيقة عن النساء أيضًا أخوات وبنات أو أمهات وزوجات، فيجب عليها كما ذكرنا أن تغض بصرها، وغض البصر ليس خاصًّا بالرجال بل جاء الأمر أيضًا للنساء بأن يغضضن أبصارهن تجاه الرجال؛ بل إنها إذا كانت تشعر بنوع من التعلق فى الرجل الذى تنظر إليه؛ فلا يجوز لها أن تنظر إليه سواء كان لاعب كرة أو ممثلاً أو مغنيا أو داعية أو عالمًا كبيرًا صغيرًا مادامت تشعر بنوع من التعلق القلبى به والشهوة فيجب عليها غض البصر.

إن الله تعالى لم يقل: قل للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم فقط؛ بل قال أيضًا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، المسألة ليست خاصة بالرجال فقط لا على الرجل أن يغض من بصره كذلك المرأة تغض بصرها.

بل إن كثرة نظر امرأة العزيز إلى يوسف -عليه السلام- جعلها تتعلق به ويتعلق قلبها وتشتاق حتى جاءت وتعدت النقاط الخمسة التى ذكرناها حتى وصلت إلى النقطة الأخيرة التى هى الزنا وغلَّقت الباب وقالت: أنا ما صبرت أنا اقتربت منك وتأملت فيك كل النقاط تعدتها حتى وصلت إلى الخامس ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] أى تهيأت لك حتى ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣].

أحد الحضور: هناك أناس مختصون بكتابة قصص عاطفية أو جنسية عندما يقرؤها

الإنسان تهيج عواطفه الجنسية وكلها تصف الشهوة وتصف كل ما يفعله الرجل بـالمرأة بدقة وصف حتى كأنك تشاهد فيلمًا خليعًا ويتفنن بتصوير المشهد؛ فمرة مع زوجة أخيه أو أخت زوجته أو جارته أو حبيبته وهكذا.

محمد: أعوذ بالله، أنا أسأل سؤالاً الذى يرسل البلوتوث هذا ماذا يستفيد من هـذا الفعل، أنا لما أرسل لك بلوتوث صورة عارية أو مقطعًا أنا ماذا أستفيد؟

طبعًا لا يستفيد إلا الإغواء والإضلال كما قـال تعـالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾[مريم: ٨٣] أى: تدفعهن دفعًا وهذا موجود عندنا فهـو يـشجعه على مطالعة مثل هذه الصور، ضعف إيمان الشخص نفسه الذى أرسـل هـو مـن أتبـاع الشيطان.

لذلك أنا أقول: من البداية إذا فتح الإنسان القـصة ورأى أنهـا كـلام فـاحش مـن البداية أبصق فى وجه الشيطان. ولا تقل: دعنى أكمل لعله يذهب فهو يجرك.

وما أجمل أن يفعل الإنسان كما فعل يوسف عندما قال: معاذ الله وهى تقول له: هيت لك، وتتوقع أنها كانت ترتدى عباءة ومتعطلة أو مرتديـة نقابًـا وتقـول لـه: هيت لك لا أكيد، إن المرأة كانت عارية قد تكشفت هيت لك هيت لك ومغلـوق الباب عليهم، هيت لك بمعنى أقبل، وفى تفسير آخر لـ ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أى: تهيأت لك.

يوسف -عليه السلام- ما أعطاها فرصة ولم يعط عينه فرصة لأنه قال فورًا: معاذ الله، ويبحث عن الباب ليهرب فما أجمل أن يغلق الإنسان على الشيطان الباب.

أنا إذا وصلنى بلوتوث فرضًا ووصلتنى رسالة فيها صورة فيها مقطع فيهـا روايـة جنسية فيها أى شىء من البداية أعوذ بالله من الـشيطان الـرجيم، وأمـسح وأبـصق فى وجه الشيطان؛ لأن الشيطان إذا لاحظ أنك تتبع أول مرة وثانى مرة وثالث مرة وشعر أنك أنت تتجاوب معه خلاص سيأتى ويبرك على ظهرك؛ ولكن إذا لاحظ أنك بطـل أنك ثلاث أو أربع مرات لا يفيد تصبح كما قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحجر: ٤٠] .



ومن أهم الأمور التى تساعد لأجل الابتعاد عن مثل هـذه الأشـياء أيـضًا: دعـاء الله تعالى بالعصمة، وأنا أدعو إخوتى وأخواتى أن يسألوا الله تعـالى أن يحـصن فرجـه وأن يرزقه الزوجة الصالحة أو يرزقها الزوج الصالح.

و أيضا ترى الحبل المتصل بين العبد والرب هذا مهمٌّ من أجـل أن الإنـسان يـربط أموره بالاستعانة بالله تعالى.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإيـاكم العفـاف، وأن يحفظنـا ويحفـظ أعراضـنا ويحفظ ذرياتنا من الفتن وأن يحفظ إخواننا وأخواتنـا، والـسلام عليكـم ورحمـة الله وبركاته.

* * *



حراس السفينة

الحمد لله الذى أنشأ خلقه وبرأ، وقسم أحوال عباده غنىً وفقرًا، وأنزل الماء وشق أسباب الثرى.

أحمده سبحانه هو الذى أجرى على الطائعين أجره وأسدل على العاصين ستره، هو سبحانه الذى يعلم ما فوق السماء وما تحت الثرى ولا يغيب عن علمه دبيب النمل فى الليل إذا سرى.

سبحت له السموات وأملاكها وسبحت له النجوم وأفلاكها وسبحت له الأنهار وأسماكها وسبحت له الأرض وسكانها وسبحت له البحار وحيتانها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا ند له ولا شبيه ولا كُفء ولا مثيل ولا نظير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه أرسله ربه رحمةً للعالمين وحُجةً على العباد أجمعين.

فصلوات الله وسلامه عليه ما ذكره الذاكرون الأبرار وصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار.

ونسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من صالح أمته وأن يحشرنا يوم القيامة فى زمرته.

أما بعد:

أيها الإخوة والأخوات: لما خلق الله تعالى الخلق قدر أن يكون الخلائق فى مقدار طاعته لربهم -جل وعلا- متفاوتين ومتنوعين، فمنهم من ينظر إلى أمر الله تعالى له فيفعله وما نهى الله تعالى عنه فينتهى، ومن الناس من لا ينظر إلى أمره ولا نهيه، وإنما يتأمل فيما تشتهيه نفسه ويتطلبه هواه فيقبل إليه سواء أباح الله تعالى هذا الشىء أو حرمه عليه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان: ٤٣] .

فجعل الله تعالى بعض الناس عابدًا لهواه...

يقول الحسن البصرى: هو الذى لا يأمره هواه بشىء إلا ركبه.

فإذا أمره هواه بالنظر إلى شيء لم يلتفت هل هذا الشيء حلال أم حرام؟ إنـما فعلـه مباشرة ما دامت نفسه تشتهيه؛ فهذا هو الميزان عنده.

وإذا اشتهت أذنه أن تسمع شيئًا سمعه دون أن يتأمل هل هو حلال أم حرام؟

وإذا أراد أن يتكلم بشيء وفيه مُتعة له أو أنس لمجالسيه تكلم به دون أن ينظر هـل الله تعالى يرضى بهذا الكلام أم يسخط به؟ هل هذا سـيقربه إلى ربـه أم يبعـده عنـه؟ لا يلتفت إلى هذا أبدًا إنما ينظر فقط إلى شهوة نفسه وهواه.

مع وجود هذه الطائفة من الناس أمر الله تعالى بشعيرة عظيمة وهى شـعيرة الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر.

هذه الشعيرة التى بين الله عز وجل أن سبب الثناء على أمتنا هو قيـامهم بهـا، هـذه الشعيرة التى لما وصف الله تعالى نبيه وحبيبه وخليله محمدًا ﷺ ذكر أن من أبرز صـفاته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ولما ذكر الله تعالى لعنته لبنـى إسرائيـل ذكـر أن سـبب لعنـتهم هـو تـركهم للأمـر بالمعروف وتركهم للنهى عن المنكر.

ولما مدح الله فريقًا مـن بنـى إسرائيـل فى بعـض الآيـات مـدحهم بـأنهم يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال الله عز وجل فى وصف نبيه محمد ﷺ قـال سـبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فبين الله تعالى أن من أبرز صفات نبينا ﷺ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

لاحظ لم يقل: الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل يقوم الليل ويصوم النهار ويتصدق ويجاهد فى سبيل الله ويصلح بين المتخاصمين ويفعـل ويفعـل، مـع أن هذه أعمال صالحة بلا شك؛ لكنه ذكر صفة هى من أبرز الـصفات تركُهـا يـؤدى إلى أن يعم الله تعالى الناس بعذابٍ من عنده.

ولما مدح الله تعـالى أمتنـا قـال – جـل وعـلا-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ إذن



نحن خير الأمم، خير من أمة صالح، وخير من أمة هود، وخير من أمة شعيب، وخير من أمة لوط، وخير من أمة نوح، وخير من جميع الأمم، على أنبيائهم أفضل الصلاة والسلام.

لماذا يا رب نحن خير أمة أخرجت للناس؟

لماذا قدمنا الله تعالى على جميع الأمم؟

لماذا أمتنا هى المقدمة أيضًا فى الحشر يوم القيامة على جميع الأمم؟

لماذا أمتنا هى الأكثر وجودًا فى الجنة؟

لماذا أمتنا نبيها هو خاتم الأنبياء وسيد الأولياء ورأس الأتقياء؟

الجواب: اسمع إلى الصفات ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لماذا ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سرنا شر أمة أخرجت للناس، وذلك لأن سبب خيرية الأمة هو قيامها بهذا الشرط، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإذا لم نقم به ذهبت عنا صفة الخيرية وانتقلنا إلى صفة أخرى.

ولما ذكر الله تعالى بنى إسرائيل قال –جل وعلا-: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ [آل عمران: ١١٣] ماذا يفعلون؟ ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران: ١١٣-١١٤]

إذن الإيمان بالله واليوم الآخر هو أعظم ما ينبغى أن يعتقده المسلم من العقائد، ماذا ذكر من صفاتهم بعد الإيمان مباشرةً؟ هل ذكر الصلاة! الصلاة عظيمة هل ذكر قراءة القرآن وتلاوته؟ هل ذكر الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام؟ هل ذكر بر الوالدين؟ هل ذكر شيئًا من هذه العبادات التى ربما حرص عليها الناس وتركوا غيرها؟

اسمع إلى ما ذكره سبحانه وتعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٤] بل إن الله –جل وعلا– لعن بنى إسرائيل

ولم يذكر ربنا سبحانه وتعالى أن سبب لعنتهم تعاطيهم للمسكرات، أو وقوعهم فى الفواحش والمنكرات، أو تعاطيهم للربا، وهذه بلا شك معاصٍ كبار، لكن انظر إلى الصفة التى نص الله تعالى عليها بعدما ذكر لعنتهم قال – جل وعلا – وهو يذكر خبر بنى إسرائيل عبرة لنا وعظة.

وينبغى أن ننتبه إلى أن ربنا عندما يذكر قصصًا من أحوال السابقين فى كتابه؛ فليس لأجل التسلية فقط، ولا لأن الإنسان يأنس بسماع قصص، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١]لكن المقصود: أن تحضر وأن تقتدى.

فإذا ذكر الله تعالى شيئًا حسنًا قربةً إليه اقتديت، وإذا ذكر شيئًا سيئًا استحقوا به لعنتهم أو العذاب أو السخط فإنك تبتعد عنه، فإذا سمعت الله تعالى يذكر لك من أمثلة الأقوام السابقين؛ فاعلم أن فيه لك تحذيرًا وإنذارًا قال سبحانه وتعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿عَصَواْ ﴾؛ يعنى: فعلوا فواحش ربما شربوا خمورًا، ربما قتل بعضهم بعضًا، ربما سرقوا، ربما فرطوا فى صلواته؛ لكن ما معنى ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾؟ ما الشىء الذى فوق العصيان الذى ذكرته؟

اسمع: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] الذين يفعلون منكرات حتى تألفها قلوبهم وأعينهم وتُصبح أمرًا طبيعيا عندهم.

تجد مجموعة من الشباب فى السيارة مشغل الموسيقى، كأن الأمر عادى أن نسمع موسيقى! لا يا جماعة هذا مُنكر، كيف لا تتناهون عن منكرٍ فعلتموه؟

تجد أن مجموعة يجلسون أمام التلفاز وأمامهم امرأة ترقص أو على أى حال كانت لا يجوز أن ينظروا إليها ومع ذلك يتبسم بعضهم إلى بعض ويحكى بعضهم لبعض، وربما احتسوا الشاى أو القهوة ويتحدث بأنواع الحديث وكأنهم لا يفعلون مُنكرًا.



أي: إنه وصلت المنكرات إلى درجة أن الناس تعودوها إلى درجة أن فاعل المنكر لم يعد يستشعر أنه يقع فى منكر، وهذه هى الطامة إذا وصل الحال بالمنكرات إلى أن تصبح أشياء طبيعية عند الناس، تصبح الموسيقى شيئًا طبيعيا لا نستشعر أننا نعصى لما نسمعها أو يسمعها غيرنا،. ويصبح النظر للنساء المتبرجات فى التلفاز والإنترنت والمجلات والجرائد أمرًا طبيعيا.

يصبح الأمر إذا فتحنا الجرائد ونظرنا إلى صور ملكات الجمال وأنواع النساء من المغنيات والراقصات والممثلات بكامل زينتهن؛ أمرًا عاديا.

أن أفتح الجريدة وأقرأ الأخبار وأمر على هذه الأمور ولا يحدث فى قلبى أدنى إنكار ليس لأنى راضٍ بها، كلا وإنما لأنى تعودتها إلى درجة أنى لا أستعشر أن أمامى مُنكرًا فهذه هى الطامة ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

ليست القضية أنهم يقعون فى المنكر، القضية أنهم لا يتناهون عن مُنكرٍ فعلوه وإلا فوقوع المرء فى المنكر إذا تبعه استغفار وإنابة ورجوع إلى رب العالمين فإن الله يعفو ويغفر برحمته إن شاء، حتى ربما يكون الأمر كما قيل: إنه أحيانًا تكون بعض السيئات فيها خير لأصحابها لما تحدثه من ذلٍّ وانكسارٍ لله.

فوقوع المنكر من الإنسان يقع من بنى آدم كما قال ﷺ: «كل بنى آدم خطاء» [ابن ماجه: (٤٢٥١) وحسنه الألبانى رحمه الله] ليست هذه القضية هنا، القضية أن يقع هذا المنكر ويتنوع ويتعدد وينتشر إلى درجة أن المنكرات تبدأ تنتشر والناس لا يستشعرون أنها مُنكرات ولا ينكر بعضهم على بعض، وأن فاعلى المنكرات أنفسهم لا يستشعرون أنهم يعصون الله أثناء فعلهم للمنكر فيبدأ الناس لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر كما قال – جل وعلا –: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

ثم ذمهم الله وبين أنهم بذلك انحطوا إلى أدنى الأمم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

أيها الأحبة الكرام: ذكر الله تعالى حال الأمم السابقة وذكر حال أمتنا أنها خير أمة أخرجت للناس؛ لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ذكر بنى إسرائيل ومدح

فريقًا منهم لَّمَا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وذكر فرقًا منهم ولعنهم لما تركوا هذه الشعيرة.

وذكر الله تعالى الأمم السابقة وما فعل بهم من إهلاكهم، ولك أن تمر بذكرك على قوم شُعيب وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح وغيرهم من الأم وتستمع بعد ذلك إلى قول الله –جل وعلا-: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦] ما الذى لو كان موجودًا عندهم لم ينزل بهم العذاب: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ فلو كان عندهم بقية إيمان، بقية خشية، قليل من الخشية فى قلوبهم: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦].

يا رب لو كان هؤلاء عندهم بقية إيمان وخشية فإلى ماذا ستدفعهم؟ قال سبحانه: ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ فبين الله تعالى أن من كان عنده ولو قليل من الإيمان، فإن هذا الإيمان سيدفعه بلا شك إلى أن ينهى عن الفساد فى الأرض.

أيها الأحبة الكرام: ذكر الله عز وجل فى كتابه أنواع الناس فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذكر النبى ﷺ أنواعًا من ذلك فبين –عليه الصلاة والسلام– فى مثالٍ بديع حال الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وحال الذى يسكت عن ذلك، بل حال الذى يقع فى المنكر، ونبه النبى ﷺ أن الذى يسكت عن إنكار المنكرات يوشك أن يعمه الله بالعذاب مع الذين فعلوا هذه المنكرات كما جاء فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال: «**إن الله أمر جبريل أن يهلك قرية من القرى**» قرية عاصية أمر الله تعالى جبريل أن ينزل بها عذابًا، جبريل أخذ ينظر إليهم، فإذا فيهم شُرَّاب الخمر، وفيهم من يقعون فى أنواع المنكرات، فيهم عاقون لوالديهم، ناس تأكل الربا، أنواع من المنكرات، فيهم ناس ربما يقعون فى أنواع من الشرك.

جعل جبريل ينظر فإذا أنواع من المنكرات، ولكن فيهم رجلٌ صالح عابد يقوم الليل... يصوم النهار... يتصدق... يبكى من خشية الله... عنده أنواع من التقرب إلى رب العالمين... فقال جبريل لما أمره الله تعالى بعذاب أهل القرية كلها: «**قال: يا رب**

إن فيهم عبدك فلانًا»، جبريل يعلم أن ربه -جل وعلا- لا تخفى عليه خافية؛ لكن جبريل يريد أن يفهم كيف يهلك معهم وإلا فهو سينفذ، كما قالت الملائكة لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] لم تقل الملائكة ذلك اعتراضًا وإنما قالته استفهامًا واسترشادًا وطلبًا للفهم والإدراك.

فقال جبريل: يا رب إن فيهم عبدك فلانًا يصوم ويتصدق ويقوم الليل.. هذا على سجادته ربما صلى الضحى... هذا عنده أعمال صالحة، تُهلكه معهم؟ **«يا رب إن فيهم عبدك فلانًا! فقال الله تعالى: به فابدأ»** هذا الذى تمدحه يا جبريل به تبدأ... هذا الصالح هو أول واحد ينزل عليه العذاب... هذا الذى يقرأ القرآن ويتلوه صباحًا ومساء أول واحد عذّبه... هذا الذى كلما مر بفقير تصدق عليه هو أول واحد ينزل به العذاب... **«قال الله: به فابدأ»** لماذا يا رب لماذا؟ قال: **«فإنه لم يتمعر وجهه فى قط»** [ضعيف جدًا. السلسلة الضعيفة (١٩٠٤)]؛ يعني: كان يرى المنكرات والأمر عنده عادى.

كما أن بعض الناس مع الأسف يدخل إلى البقالة ويرى رفًا كاملة مليئًا بمجلات فاسدة والأمرعادى عنده، يا أخي قل كلمتين للبائع حتى لو كان مُستأجرًا فى هذا المكان ولا يملك أن يغير، على الأقل يا أخى أعطيه كلمتين من باب: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤] أشعر نفسك أنك لا ترضى بهذه المنكرات، أنها ليست طبيعية عندك، قل له: حرام أن تبيع هذه الأشياء، رأيته يبيع السجائر والدخان قل له: حرام أن تبيع هذه الأشياء، دخلت إلى مكان معين وفيه موسيقى ومعازف قل لهم: يا جماعة جزاكم الله خيرًا أطفئوها هذا حرام، مررت على شباب واقفين وأنت ذاهب إلى المسجد: يا شباب بارك الله فيكم صلوا، حتى لو كنت تعرف أنهم لا يطيعونك.

أهم شىء أن تُسقط التبعة عن نفسك، إذا أسقطت التبعة عن نفسك عذرك الله تعالى، لذلك كان سبب عذاب ذلك الرجل مع قومه أنه كان يرى المنكرات والأمر

عادى عنده يمر على أصحاب المنكرات ويذهب ليصلى؛ الله تعالى لا يريد هذا فقط صلاتك وصومك وعبادتك وتقربك ما لم يكن لك تأثير فى الواقع بأمر بمعروف بنهى عن منكر بالإصلاح فى الأرض: ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦] ، ما دمت لا تنهى عن الفساد فى الأرض إذن ما الفائدة من عبادتك وصلاتك...

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مُطيع

لو كنت فعلاً مُحبًا لرب العالمين فلن ترضى أن يعصى الله فى كل موضع وأنت ساكت، هذا لو كان حبك صادقًا لله، أما أن تكون المسألة فقط والله صلينا وقمنا الليل وصمنا النهار وانتهينا ورأينا المنكرات ولم ننكر ولم نتكلم، فيوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ من عنده**»، وقال ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتقسرنه على الحق قسرًا ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يدعو خياركم**» يدعو قوَّام الليل وصوام النهار والمتصدقون وقُرَّاء القرآن ويدعن الذين ربما رأى الناس فيهم الصلاح والتقوى، يبدءون يدعون: اللهم اسقنا إذا انقطع عنهم الغيث، ويدعون: اللهم اكشف عنا الأمراض، ويدعون بأنواع الدعاء ولا يستجاب لهم يقول: «**ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم**» [**صحيح الجامع (٤٦٥٠)**].

فترك الأمر بالمعروف وترك النهى عن المنكر هو من أسباب عدم إجابة الدعاء، الذى يقول: يا أخى أنا أدعو دائمًا لولدى أن يشفى من مرضه، وأدعو لزوجتى أن تشفى، وأن يصلح الله حالها، وأدعو لأخى، وأدعو لنفسى، ومع ذلك لا أرى إجابة؟

نقول: الداء والدواء، عندك داء موجود والدواء إذا أردته موجود، فالداء هو أن دعاءك لا يستجاب، والدواء هو أن تبحث فيما يحول بين دعائك وبين أن يستجاب، إن كنت ممن يأكل المال الحرام، أطب مطعمك تكن مُستجاب الدعوة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟

مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١] إذا كنت ممن يترك الأمر بالمعروف ويهمل النهى عن المنكر فاعلم أن هذا أيضًا سبب يجعلك لا يستجاب دعاؤك، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**ثم يدعو خياركم**» ليس الناس العاديون «**يدعو خياركم ثم لا يستجاب لهم**».

بل بين النبى ﷺ قال: «ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض»؛ يعنى: يبدأ الخلاف والخصومات والشقاق يقع بين الناس، فيقع الخلاف بين الإخوان وبين الأخوات، والأزواج وزوجاتهم، وبين الأحبة، وبين الجيران، والزملاء، إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض.

وذكر النبى ﷺ مثلاً معبرًا ومصورًا لحال الناس فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ فقال – عليه الصلاة والسلام: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها**» الناس قسمان: واقعون فى حدود الله، واقعون فى المعصية، وقائمون عليهم؛ بمعنى: ينهونهم يذكرونهم يخوفونهم من الله، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فبين النبى ﷺ حال الفريقين وأنهم يعيشون فى مجتمعٍ واحد ويسبحون فى سفينةٍ واحدة إن أصابها خلل غرق الجميع: الصالح والطالح.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة». هؤلاء مجموعة من الناس أقبلوا يريدون أن يستأجروا سفينة استأجروا هذه السفينة أو اشتروها، الآن سيركبون، فى السفينة أماكن أفضل من بعض فيها الطابق العلوى المتعرض للشمس والهواء العليل وفيها الطابق السفلى القبو؛ يعنى: الجو ربما كان غير جيد ومظلمًا؛ يعنى: لا يتعرض للشمس فالكل يريد الطابق العلوى، والحل (فاستهموا) يعنى عملوا بينهم قرعة فقال ﷺ: «**فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها**».

صار فريق من المجموعتين فى الأعلى وأقبلوا، وضعوا متاعهم وفرشوا بسطهم وجلسوا فى الأعلى يشمون الهواء العليل والشمس تصيبهم بما ينفعهم، والفريق الآخر صار فى الأسفل، فكان الفريق الذين فى الأسفل إذا احتاج إلى ماء من البحر – مثلاً-

صار فى الأسفل، فكان الفريق الذين فى الأسفل إذا احتاج إلى ماء من البحر – مثلاً– سيغسلون أوانيهم أو سيغسلون ملابسهم أو احتاجوا الماء لأى شغل من الأشغال، كانوا يأخذون دلوهم ويصعدون الدرج ويمرون بمن فوقهم ثم يرمون الدلو فى البحر يأخذون الماء وينزلون مرة ثانية.

فالناس الذين فوق تأذَّوا بهم كل فترة قصيرة يصعد واحد، ربما كان من الذين فى الطابق العلوى معهم نساء لا يريدون هؤلاء أن يزعجوهم بتكرار المرور بهن، أو أنهم فى أى ظرف من الظروف.

المهم: أنهم تأذوا، فالذين فى الأسفل جعلوا يفكرون: نحن الآن كلما احتجنا الماء نصعد الدرج ونأخذ الدلو ثم نُلقى الدلو فى الماء ثم يتعبأ الدلو بالماء ثم نسحب الحبل ثم نسحبه مرة ثانية يا أخى الموضوع طويل، جلس الناس فى أسفل السفينة يفكرون فى حل يسهل عليهم وجود الماء عندهم دون أن يزعجوا من فوق.

وفيهم واحد غبى اقترح اقتراحًا غبيا تدرى ماذا قال؟

قال: يا جماعة بدلاً من أن نشق على أنفسنا ونصعد الدرج ونلقى الدلو ونأخذ الماء ونصعد مرة أخرى – يا أخى – الماء تحتنا ما بيننا وبينه إلا قطعة خشب نخرق خرقًا فى قسمنا ونأخذ الماء ونستريح.

غبى! أنت لو فعلت ذلك دخل الماء من غير أن تستخرجه وغرقت السفينة كلها، الناس الأغبياء الذين معه وافقوا قالوا: يا أخى والله من أين هذه الفكرة؟ سبحان الله، إنه إنسان عجيب فى أفكاره، بدءوا يخلعون خشبة من الجزء السفلى من أجل أن يسخرجوا الماء.

يقول ﷺ: «فقال قائل منهم» يعنى: الناس الذين فى الأسفل: **«لو أننا أحدثنا فى نصيبنا خرقًا»** نصيبنا ما لكم به، بعض الناس يقول: يا أخى إنه جسمى، أدخن أو ما أدخن ما يخصك؟ يا أخى إنها أذنى أسمع غناءً أسمع قرآنًا، يا أخى بيتى أعلق فيه صور آدميين... أعلق صور أشجار... أضع تمثالاً لإنسان... تمثالاً لشجرة... يا أخى بيتى حتى بيتى تتدخل فيه؟!

فهؤلاء يقولون: هذا نصيبنا نخرقه نحرقه نأجره نبيعه نفعل به ما نشاء ما دخلكم أنتم؟

يقول ﷺ: «**فقالوا: لو أننا أحدثنا فى نصيبنا هذا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا**» اقتراح غبى؛ لكن النية صالحة، هم لا يقصدون أن يغرقوا السفينة انظر إلى الكلام الجميل، مساكين يقولون: «**ولا نؤذى من فوقنا**» أنت أصلاً إذا خرقتها أهلكتهم جميعًا.

يقول ﷺ: «**فإن تركوهم وما أرادوا**» الناس العقلاء فى الأعلى إن تركوا هؤلاء وما أرادوا... لو قالوا لهم: هذا نصيبكم افعلوا به ما شئتم... نحن لا دخل لنا بكم...أهم شىء نصيبنا ما تقربوا منه، أما نصيبكم فافعلوا ما تشاءون، تحرقونه تخرقوه تبيعونه افعلوا ما شئتم لكن نصيبنا لا تقربوه...

فيقول ﷺ: «**لو أنهم تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا**» «**هلكوا**» الأولى للناس الذين فى الأسفل؛ لأن الماء يدخل عليهم قبل غيرهم ويهلكهم، «**وهلكوا جميعًا**» يقصد به الأعلى قال: «**فإن تركوهم وما أرداوا هلكوا وهكلوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم**» قال: يا أخى، تعال ليس الأمر على هواك... نحن فى سفينة واحدة... نحن فى مجتمع واحد... أنت من حقك أن تفعل ما تريد لكن أيضًا أنا من حقى أن أشم الرائحة التى لا تؤذينى، فليس من حقك أن تدخن أمامى... أنت من حقك أن تلبس ما تريد... وأنت أيها المرأة تلبسين ما تريدين لكن من حقى أيضًا أن لا تؤذى عينى... إذا مشيت فى الشارع أنا أوذى فى عينى أن أنظر إلى عورات تمشى فى الشارع... ومن حقى أدافع عن نظر عينى وأنكر عليك وأقول: تسترى فليست الحرية على إطلاقها...

فيقول ﷺ: «**فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم**» بالقوة أو باللين قال: «**وإن أخذوا على أيديهم**» أنكروا قالوا: لا يا جماعة ما يصح، قالوا: ما دخلكم؟ عندها يستعملون القوة قال: «**وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»

[صحيح البخارى (٢٤٩٣)]

إذن هذا هو حال الناس اليوم فى سفينة المجتمع، فكثير من الناس يقول: أنا ما على

غير نفسى الحمد لله، أنا أصلى، الحمد لله زوجتى وبناتى يعنين بحجابهن، أنا الحمد لله ما أغتاب أحدًا، أنا ولله الحمد سيارتى مليئة أشرطة القرآن والذكر ما على من غيرى يفعل ما يشاء.

أنا إذا جاءت الإجازة أسافر إلى مكة، أسافر إلى بلد مباح، ومثلاً السياحة التى ليس فيها منكرات، أما غيرى فليسافر إلى جهنم، ما لى دخل به.

نقول له: خطأ، بل يجب عليك أن تأمره بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، ورب العالمين لن يسألك يوم القيامة فقط أنت ماذا عملت؛ لكن سيسألك أيضًا عن المنكرات التى رأيتها ولم تنكر ولم تغير.

ذكر الله تعالى لنا حال قرية لبنى إسرائيل وهذه القرية اسمها قرية (أيلة) هذه القرية على شاطئ البحر، وربما لو ذهبت إلى شمال المملكة إلى (حجل) وهى فى أقصى الشمال على شاطئ البحر الأحمر فى الشمال تمامًا إذا كنت فى (حجل) ترى (أيلة) أمام عينيك هى فى فلسطين؛ لكن مُحتلة الآن من اليهود، بينك وبينها بحر ربما لا يتجاوز العشرين كيلو تقريبًا، يقطع البحر بينك وبينها، وترى أيضًا (العقبة) الأردنية، وترى (طابا) المصرية وأنت فى (حجل) السعودية.

هذه القرية الموجودة إلى اليوم يسمونها (إيلات) هذه القرية كان يعيش فيها مجموعة من بنى إسرائيل ذكر الله تعالى قصتهم فى القرآن، هؤلاء كانوا يعيشون على صيد السمك يصيدون من السمك ويأكلون، وإذا فاض عن حاجتهم يبيعونه ويشترون به ملابس... يشترون به أوانى... يشترون به ما شاءوا، فكانوا طوال الأسبوع سبعة أيام شغل ما عندهم وقت للعبادة فأمرهم الله تعالى أن يخصصوا يومًا للعبادة...ما قال: خصصوا ستة أيام للعبادة ويومًا واحدًا يشتغلون فيه... لا، من رحمة الله تعالى أمرهم بيوم واحد للعبادة والباقى صيدوا فيه السمك وتاجروا واعملوا ما شئتم، فأقبل هؤلاء وفعلاً أقاموا يوم السبت يوم العبادة من بعد الفجر إلى أن يطلع الفجر ليوم الأحد هذا يوم عبادة أجلس فيه مع أولادى أتعبد أقرأ أصلى. هذا اليوم عبادة...



إذا جاء يوم الأحد أصيد سمك الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة إلا هذا اليوم عبادة، استمروا أسبوعًا أسبوعين على هذا الحال...

وصار السمك الذى فى البحر إذا جاء يوم السبت يقترب من الشاطئ إما ابتلاءً وامتحانًا من ربنا كما قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ [الأعراف: ١٦٣] أو أن السمك من طبيعته تعود أن يوم السبت ليس هناك شباك؛ فالشاطئ فى الغالب يكون عليه رزق الناس يلقون بقية طعامهم غالبًا على الشاطئ ويسبح فى البحر فيأتى السمك فيجد رزقًا يجد طعامه.

فصار السمك يوم السبت يكثر على الشاطئ ويقفز أمام أعينهم، وإذا جاء يوم الأحد وباقى الأسبوع ابتعد فى البحر فيحتاجون أن يدخلوا بقواربهم وسفنهم من أجل صيده، صار الواحد منهم يوم السبت يصلى والسمك يتقافز أمامه يعنى:

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

ومن العجائب والعجائب جمةً قرب الحبيب وما إليه وصول

السمك أمامهم وهذه شغلتهم أصلاً ويشتاق الواحد منهم لو حركت سنارته سمكة فى أى يوم من الأيام فما بالك والسمك يستطيعون أن يلتقطوه بأيديهم ففكروا قالوا: نصيد يوم السبت، ثم قالوا: لا والله هذا حرام، الأمر صريح أن يوم السبت حرام الصيد فيه.

فماذا نفعل؟ صيد السمك يوم السبت حرام، أما باقى أيام الأسبوع فحلال، يعنى: وجب أن نطيع ونسلم ونستغفر ونقول: اللهم ارزقنا فى باقى الأيام. لكن لم يفعلوا واحتالوا وتذاكوا على رب العالمين فماذا فعلوا؟

صاروا إذا جاء يوم الجمعة وقبل أن يأتى فجر السبت يأتون بشباكهم وينصبونها على الشاطئ يحكمون نصبها تمامًا ثم قبل فجر يوم السبت يكونون قد انتهوا فيذهبون يصلون يتعبدون يستغفرون.

فيأتى السمك فى يوم السبت ويصاد فى الشباك وهم يقولون: نحن ما قمنا، نحن كنا نصلى فإذا انتهى يوم السبت وجاء يوم الأحد أقبلوا لهذه الشباك وحملوها

فإذا هي مليئة بالسمك ثم فرغوها ثم يذهبون بقواربهم في داخل البحر لأجل أن يصيدوا سمكًا ليوم الأحد لأنه يجوز والسمك الموجود بالشباك هذا صيد أي يوم؟ الجمعة أم صيد الأحد؟ هو صيد السبت! قالوا: نحن ما صدنا يوم السبت، يحتالون على الله.

فهؤلاء لما فعلوا ذلك هم بذلك عُصاة فيهم قوم صالحون، انقسم الصالحون إلى قسمين: منهم طائفة أقبلت وأنكرت عليهم قالت: يا جماعة اتقوا الله حرام عليكم هذا ما يجوز اتقوا الله لئلا ينزل بكم عذاب، واضح أنها حيلة أنتم تحتالون بها على رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى، فكانوا ينُكرون عليهم.

هذه الطائفة الصالحة ينهون عن الفساد في الأرض وأقبلت طائفة صالحة أخرى؛ لكنهم يائسون من الإصلاح، مثل الذي نقول له مثلاً لِمَ لا تُنكر وجود القنوات الفضائية السيئة في بيت أخيك؟ يقول: يا أخي الأمر أعظم من ذلك تنكر ماذا؟ وتصلح ماذا يا أخي؟

لو أن نارًا نفخت فيها أضاءت لكن أنت تنفخ في رماد

ما توجد فائدة، يئس من الإصلاح، فهناك مجموعة كانوا يائسين من الإصلاح، فهؤلاء اليائسون من الإصلاح ما ذهبوا إلى العُصاة وأنكروا عليهم أيضًا وقالوا: اتقوا الله فعلاً كلام إخواننا صحيح لا يجوز لكم أن تصيدوا، لكنهم ذهبوا إلى المنكرين، ذهبوا إلى أصحابهم وقالوا لهم: لماذا تنكرون عليهم؟ قالوا: ننكر عليهم؛ لأن فعلهم حرام، لماذا؟ لا يجوز أن ننكر؟

قالوا: بلى يجوز أن تنكروا، لكن ما يوجد داعٍ لأن تنكروا، هؤلاء قومٌ هالكون، هؤلاء قومٌ فُجَّار ما يتقبلون النصيحة، ما تنصح، ما تتعب نفسك، وذهبوا إلى بيوتهم ولم ينكروا، واستمر هؤلاء في الإنكار.

اسمع كيف وصف الله تعالى الحال، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]؛ يعني: هم يذهبون

إليه، فرق بين أن السمك يأتى إليهم ويصيدونه وفرق أنك أنت الذى تذهب وراء السمك وتصيده، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ نختبرهم وننظر فى إيمانهم وتقواهم وخشيتهم، ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ ثم قال الله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] جاء قوم ينكرون وجاءت أمة لم تُنكر ولكن أنكرت على المنكرين، -مثلاً- عندما تدخل محلاً وتقول: يا أخى لا يجوز أن تبيع هذه، هذه من الأمور المحرمة، ثم يقول: يا رجل تنصح أو ما تنصح ما يوجد فائدة؛ يعنى: أنت لا تنكر ولا تتركنا ننكر......

يا أخى، على الأقل اسكت أمسك عن الشر فإنه صدقة منك على نفسك.

وهذه الأمة أقبلوا إلى هؤلاء الناصحين قالوا: لماذا تنصحون؟

يا أخى اسكت إما أن تنصح أو تسكت قال الله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ [الأعراف: ١٦٤] الصالحون طلبة علم هم مدركون أجابوا قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ أنا أنكر المنكر لتحصيل أحد سببين أو كليهما:

الأول: معذرة إلى الله، عندما يقول الله لى: لماذا لم تنكر؟ أقول: يا رب أنا أنكرت، أما كونه يتقبل إنكارى ويصلح حاله أو لا يفعل فهذا يا ربى إليك، القلوب بين أصبعين من أصابعك تُقلبها كيف تشاء، أنت الذى تهدى من تشاء وتضل من تشاء سبحانك، أنا فعلت ما على، أنى أنكرت، ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ويتقبل الله.

والغاية الثانية: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ يمكن أن يتقبل النصيحة، يمكن أن يصلح حاله، ما أدراك؟ كم من إنسان يا جماعة أعطيته نصيحة أو أنكرت عليه بشىء فأظهر أمامك الإعراض وعدم القبول، ثم سبحان الله لما خلا بنفسه فكر فى كلامك وصلح حاله واهتدى واستقام، وأجره لك وأنت لا تعلم.

لذلك أول شىء: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ثم قالوا: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

ومضت الأيام على ذلك، نـاس يعـصون ونـاس ينكـرون، ونـاس سـاكتون عـن الإنكار وهم صالحون ما عصوا كمعصية هؤلاء على الصيد؛ لكنهم كانوا ساكتين قـال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥] لاحظ ما قال الله: أنجينـا الـصالحين، لا، بـل قال: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾.

قـال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾ [الأعـراف: ١٦٦] فذكر الله تعالى أن العذاب نزل فأنجى الله تعالى منـه الآمـرين بـالمعروف النـاهين عـن المنكر، والذين عصوا أُهلكوا، والساكتون ماذا فعـل الله بهـم؟ سـكت الله عـنهم قـال بعض المفسرين: أهلكوا مع الهالكين ويبعثون يوم القيامة على نياتهم، وقال بعضهم: لا بل رحمة الله تعالى وسعتهم وأنجوا.

لكن المقصود: أن الله تعالى لم يذكرهم؛ لأنهم لا يـستحقون أن يـذكرهم، إن كـانوا مُصلين وعُبادًا لا يستحقون أن يذكروا ما داموا يرون المنكرات ولا ينكرون على أهلها، لذلك قال الله سبحانه وتعـالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾ [هـود: ١١٧] ما قال: أهلها صالحون؛ لا يكفي لأجل أن تُعذَر أنـك تُـصلي آخـر الليل وتقوم لصلاة الفجر وتتصدق وتعتمر كل أسبوع، فهذا لا يكفي، لا بد أن تكـون مُصلحًا وليس صالحًا فقط.

ولما قالت أم سلمة للنبي – عليه الصلاة والسلام- قالت: يا رسول الله أنهلك وفينـا الصالحون؟ معقول أن يأتي عذاب علينا جميعًا وفينا ناس يقيمون الليـل ويتـصدقون؟ أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال ﷺ: «نعم» تهلكون وفيكم صالحون نعـم متـى **«إذا كثـر الخبث»** [صحيح البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠)] متى يكثر الخبث ويظهر؟ **إذا** سكت الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ليست الغاية أيها الإخوة والأخوات أن يزول فقط المنكر هذا بلا شك غاية عُظمى لكن الغاية التي قبلها أن نُعذر أمام الله، وأن يبقى فاعل المنكر يشعر أن هناك من الناس من ينكر عليه.



أذكر أن أحد المشايخ في جامعة أم القرى ألقى محاضرة وتكلم عن هذه الشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ضرب مثالاً للطلاب الذين بين يديه قال لهم: أيها الشباب كم يوجد منكم طلبة العلم الأخيار؟ قالوا: والله الجامعة مليئة... كلية شريعة... كلية أصول دين مليئة... قال لهم: البقالة التي أمام الجامعة، كم طالبًا يوميًا يشتري منها وهو خارج؟... هذا يأخذ عصيرًا... هذا يأخذ خبزًا... هذا يأخذ شيئًا لأهله... بحكم أنها مقابلة لبوابة الجامعة قال: والله يا شيخ يمكن يدخلها يوميا ما لا يقل عن خمسة آلاف، يوميا كل واحد يأخذ حاجة، قال: أليس وهو يحاسبكم الرف الذي خلفه يبيع دخانًا؟ قالوا: بلى.

قال: عندكم شك أن الدخان حرام؟ أليس الله تعالى يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والدخان هناك سبعة عشر دليلاً من القرآن على تحريمه؟ قالوا: بلى الدخان حرام.

قال: لو أن كل واحد منكم وهو يشتري أنكر عليه؛ بمعنى: إن جئت وأخذت ماء وأنا أضعه في الكيس قلت: أعوذ بالله تبيع دخانًا اتق الله، كلمه وأنت طالع، الثاني أخذ عصيرًا وضعه في الكيس قال: أستغفر الله دخان! حرام عليك، وطلع الثالث أخذ خبزًا وضعه في الكيس قال: أستغفر الله دُخان! هذا كسب خبيث، الرابع أخذ لبنًا ووضعه في الكيس وقال كلمة مثلها فالبائع سيقول: إن شاء الله جزاك الله خيرًا إن شاء الله. خمسة آلاف كلمة تأتيه يوميًا من إنكار.

يقول الشيخ: تتوقعون بعد شهر ما الذي يحصل له؟ قالوا: ماذا؟ قال: أتوقع بعد شهر أن يحصل له أحد شيئين: إما أنه سيكف عن بيع الدخان أو سيجن، فعلاً إما يكف عن بيع الدخان أو يجن؛ لأن خمسة آلاف واحد يوميا؛ يعني: في الشهر مائة وخمسون ألف كلمة... حرام... حرام... لكن لأن الجميع يمرون ويقولون: هذا شيء مسموح ببيعه وهو أصلاً يربح من ورائه أفتراه بكلمة مني يقبل يا رجل؟ فيمشي وعسى الله أن يهديه، ويمشي؛ لأن الجميع يسكت وتجد أنهم لا يجدون من يأمرهم ومن ينهاهم.

لكن لو أن الجميع شعروا أنهم مُطالبون بذلك وأنها واجبة عليهم كما قال -عليه الصلاة والسلام- فى حديث أبى سعيدٍ الخدرى الذى رواه مسلم يقول: بأبى هو وأمى ﷺ: **«من رأى منكم مُنكرًا»** سواء إن كنت كبيرًا صغيرًا رجلاً أو امرأة حُرًّا أو رقيقًا أو على أى حال **«من رأى منكم مُنكرًا»** كيف يتعامل معه **«فليغيره بيده»** [مسلم: (٤٩)] فى بيتك مثلاً كما فعل النبى ﷺ لما دخل إلى بيته يومًا وقد كان قادمًا من سفر فإذا عائشة قد علقت شيئًا فيه تصاوير على نافذة لها- ستارة فيها تصاوير مرسومة باليد- صور أشخاص مرسومة باليد؛ لأن هذا لا يجوز، أما إذا كانت هذه الستارة عليها صور سيارات... سفن... أشجار، فجائز.

أقبل النبى ﷺ: «ما هذا يا عائشة؟» ما هذا القرام يا عائشة، عائشة اعتذرت لأنها ما تدرى أنها حرام، بينت له -عليه الصلاة والسلام- أنها تُزين البيت قال: **«لا، إن الذين يصورون هذه الصور يعذبون بها يوم القيامة»** [صحيح البخارى (٥٩٥٤)، (٢١٠٧)] ثم أقبل ﷺ وهتكه، أمسكه بيده وجره فانقطع من على الجدار.

كان قطعه فى السابق سهلاً، لأن البيت من طين ويضعون القماش يغرسون هنا عودًا وهنا عودين، فأخذته عائشة وقصته نصفين وسادتين.

لذلك ذكر العلماء أن الصورة إذا كانت على فرش يوضع على الأرض كسجاد، أو كانت على المفرش الذى على السرير، أو كانت على الكنب الذى يجلس عليه، فهذا جائز لأنها مكان يجلس عليها، وربما بال عليها الطفل الصغير.

أما إذا كانت الصور مُكرمة مثل أن توضع فى برواز وتُنصب على الجدران، أو بعض التماثيل التى يضعها بعض الناس زينة على صورة جمل، أو على صورة غزال، أو غير ذلك، هذا حرام لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة.

فإذا كان الشىء تحت تصرفك، تحت سلطتك مثل بيتك، الزوج، الأب، الأخ أى: الذى له سلطة فى البيت فيكون الأكبر، أو يكون له تأثير فى البيت يجب عليه أن يغير المنكر بيده: لكن بأسلوب مناسب.

قال: «فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه» [صحيح مسلم (٤٩)]: يتكلم معه بكلام



حسن يغير به هذا المنكر، وينبغى أيضًا عند تغييرك باللسان أن يكون أسلوبك حسنًا.

المشكلة أحيانًا: أنه يكون إنكار المنكر بمنكر، بمعنى: أنك تُنكر المنكر بأسلوب خطأ وبأسلوب مُنكر فيؤدى إلى أن يعظم المنكر ويكبر.

الأصل: أن يكون إنكار المنكر بغير منكر وأن يكون الأمر بالمعروف بالمعروف، فالنبى - عليه الصلاة والسلام - كان إذا أراد أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر أثنى على الذى أمامه وهيأه لقبول النصح والتوجيه يتلطف معه.

مثلاً: أراد - عليه الصلاة والسلام - أن يقدم نصيحة لمعاذ بن جبل؛ يعنى: أن يأمره بالمعروف لأجل أن يعلم ذكرًا بعد انتهائه من الصلاة، فقال ﷺ له: **«يا مُعاذ»** ما قال: يا مُعاذ قل: كذا بعد الصلاة مباشرةً! لكن هيأه قبل ذلك وتلطف معه لأجل أن يقبل الأمر والنهى قال: **«يا مُعاذ والله إنى أحبك»**.

شخص يقول للآخر: إنى أحبك، تتوقع أن يقول له مثلاً: سأزوجك ابنتى! سأعطيك مالاً! ونحو ذلك يعنى من مقتضيات المحبة فقال: **«يا معاذ والله إنى أحبك»** فهش مُعاذ وبش وفرح وتهيأ قلبه لقبول أى شىء فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«فلا تدعن فى دُبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [النسائى (١٣٠٣)، وأبو داود (١٥٢٢) وصححه الألبانى رحمه الله]** لكن هيأه وتلطف معه.

صحيح أنه قال: «فليغيره بلسانه» لكن كذلك عندما تغير باللسان ليكن أسلوبك لطيفًا حسنًا رقيقًا جيدًا حتى يقبل منك الشخص الذى أمامك.

وقال - عليه الصلاة والسلام - يومًا وقد مر بطائفة من قبائل العرب وكان يمر بطوائف من قبائل العرب وكل قبيلة لهم اسم «بنى عبد العزى ، بنى عبد الله ، بنى كلب» وكان يمر ويدعوهم إلى الإسلام منهم من يرضى ومنهم من يرد عليه قوله فمر - عليه الصلاة والسلام - بقبيلة من العرب كفار اسمهم بنو عبد الله وقال ﷺ: **«يا بنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم»**.

انظر إلى هذا الدخول الجميل من أجل إنكار المنكر العظيم قال: «إن الله قد أحسن اسم أبيكم» فهم الآن يفرحون ويستبشرون، والله اسم أبينا أحسن من عبد العزى وعبد اللات وكلب وحمار لماذا؟

إن الله قد أحسن اسم أبيكم، ثم قال: فدخلوا فى الإسلام وعبدوا الله وبدأ ينهاهم عن المنكر الذى هم قائمون عليه: الشرك بالله تعالى الذى هو أعظم المنكرات.

كذلك أنت عندما تريد أن توجه، مثلاً: دخلت إلى مجلس لأحد الزملاء وفيه صور مُعلقة على الجدران، صورة أبيه، صورة أولاده ونحو ذلك (لا يجوز أن تُعلق الصور لا يجوز) فأقبلت إليه وتريد أن تنصحه تريد أن تُغير المنكر بلسانك قلت: ما شاء الله هذه صورة الوالد؟ قال: والله صورة الوالد والله يرحمه، يقول له: الله يغفر له ويسكنه جنات النعيم يبدو أنك تحبه كثيرًا؟ قال: يا أخى والله أحب أبى، الله يغفر له ويرحمه، فتقول له: أنت لا تنس الدعاء والاستغفار له ولا تنس الصدقة إذا تيسر لك ذلك، لعل رب العالمين يرفعه درجات بدعائك الذى تدعو له.

الآن أنت فتحت قلبه لقبول النصحية ولقبول التوجيه والنهى عن المنكر ثم تقول له: لكن أيضًا من البر بأبيك ألاَّ تُعلق صورته؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة.

وذكر بعض أهل العلم أنها الصورة المعلقة على الجدران، وقال بعضهم: الصورة مُطلقًا، فأنكرت عليه بأسلوب مناسب.

أو مثلاً: وجدت عنده فى المجلس بعض التماثيل تمثالًا على صورة جمل، أو على صورة غزال، أو شجر ونحو ذلك قل له: ما شاء الله ديكورات جميلة فى المجلس حتى الدهان الذى على الجدران جميل والتكييف جميل والكنبات... ما شاء الله جميلة... فيفرح ويقول لك: والله نحن عندنا ذوق ونحو ذلك، ثم تقول له: لكن لا يجوز أنك تضع ذلك؛ فهذه تطرد الملائكة.

دخلت مستشفى رأيت امرأة مُتبرجة جالسة فى الاستقبال مثلاً قلت: ما شاء الله أشكرك على لطفك فى التعامل مع الناس الذين يأتون من المرضى وعلى رحمتك بهم

وعسى الله أن يوفقك ويحفظك ويديم ستره عليك، فهى تفرح بمثل هذا الكلام ثم تقول: لكن يا أختى لو أنك أتممت حجابك وغطيت زينتك فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:٣١] والله لولا أنى أحب الخير لك ما أعطيتك مثل هذا الكلام.

يا جماعة أليس هذا الأسلوب أجمل من أن تدخل مباشرةً فى الموضوع وتبدأ تقول: يا أختى اتقى الله أنت لباسك متبرج، يا أخى حرام عليك ما هذه التماثيل نحن داخل الكنيسة؟، نحن داخل معبد بوذا؟، ما هذه التماثيل التى فى مجلسك أعوذ بالله! معلق صورة أبيك، لعله يعذب الآن فى جهنم بسبب هذه الصورة، لا تقل مثل هذا الكلام.

دائمًا «فليغيره بلسانه» فيكون بأسلوب جميل، حتى يقبل منك الشخص الذى أمامك هذا التوجيه وهذا التلطف عندما تريد أن تقدم إليه النصحية، وتُنكر هذا المنكر.

قال: «فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وفى رواية قال: **«وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**.

يعنى: الذى لا ينكر - يا جماعة - حتى بقلبه، هذا أعوذ بالله ما فى قلبه إيمان، فقد ختم الله على قلبه لدرجة أنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر مُنكرًا.

كما قال ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا» الفتن: فتنة مال... فتنة نظر حرامٍ أو سمعٍ حرامٍ... فتن متعددة **«فأيما قلب أنكرها»** قال: اتقوا الله، حرام **«نُكتت فى قلبه نكتةٌ بيضاء، وأيما قلب أُشربها»** سكت عن إنكار المنكر أو وقع فى الفتنة **«نكت فى قلبه نكتةٌ سوداء»**. وتمر السنون، وهذا تنكت عليه نكت بيضاء والثانى ينكت نكت سوداء حتى يسود القلب ويبدأ السواد يكون فوق السواد **«حتى تصير القلوب على قلبين: على قلبٍ أبيضٍ كالصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض»** قلبه أبيض كالصفا، كحجر الصفا البيضاء لا تضرة فتنة ما دامت السموات والأرض. أسأل الله أن يجعل قلوبنا كذلك.

قال: «**وقلب أسود مربادًّا كالكوز مجخيًّا**»: يعنى: مربـاد متلبـد عليـه الـسواد قلـب صار ظلمات فوق ظلمات أى: سوادًا فوق سواد قال: «**أسود مربـادًّا كـالكوز**» الكـأس الذى صنع من فخار ثم قلبته على الأرض فأصبح مُظلمًا من الداخل «**كالكوز مجخيًـا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**».

يصبح لا يفرق بين من معه سواك ومن معه سيجارة، كل شـىء عنـده عـادى مـا يفرق بين الذى يستمع إلى ذكر والذى يـستمع إلى غنـاء، مـا عنـده مـشكلة، لا يعـرف معروفًا ولا يُنكر مُنكرًا.

قال: «**إلا ما أُشرب من هواه**»؛ يعنى: ما يستطيع أن يُنكر على أحـد... مـا يجـوز أن يتدخل إلا إن كان عنده مشكلة، قل له: يا أخى الدخان حرام، ما اكتشفت أنه حرام إلا بعدما أصابك مرض فى صدرك؟ إلا إذا دعاه هواه إلى الإنكار «**إلا ما أشرب من هـواه**» [صحيح مسلم (١٤٤)] عندها يأمر أو ينهى.

فينتبه الإنسان: من علامات الإنكـار بالقلـب لهـذا المنكـر، أن تفـارق مكانـك إذا استطعت، إذا كان ما فى الأمر مشكلة حتى لا يتعود القلب مثل هذه المنكرات.

كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون من هذا الحديث أن إنكـار المنكـر واجـب عـلى جميـع الناس بغير استثناء، راوى الحديث أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه الذى روى هـذا الحـديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده... فبلسانه... فبقلبه**»، صلى مرة العيد أقبـل واجتمـع مع الناس فى المُصلى فأقبل الأمير فى ذلك الوقت ليُصلى بهم بعد عهد خيار الـصحابة - رضوان الله عليهم -.

أبو سعيد الخدرى شيخ كبير وصحابى جليل جـالس فى المـصلى فى الـصف الأول جرت العادة والسنة فى صلاة العيد أن يُبدأ بالصلاة قبل الخطبة، يبدأ الإمام ليصلى بهم صلاة العيد ثم بعد ذلك يخطب؛ لكن هذا الأمير أقبل وذهب إلى المنبر مباشرةً، والمُصلى مليء بالناس، والآن هذا مُنكر أمامه فقام رجل من الناس من عامة الناس الحاضرين فى المصلى يُنكر «**من رأى منكر منكرًا فليغيره**»، أما يقبل منى أو لا يقبل فهذا أمر آخر. أهم شىء ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:١٦٤].



فقام وقال: يا أمير يا أمير! قال: نعم. قال: بارك الله فيك الصلاة قبل الخطبة، لعلك ناسٍ – أسلوب لطيف: بارك الله فيك، جزاك الله خيرًا – الصلاة قبل الخطبة فقال الأمير: قد تُرك ما هنالك (يعنى: ما لك شغل لا تتدخل فى هذه الأمور) وتقدم إلى المنبر.

فقام أبو سعيد الخدرى فى الصف الأول والإمام سيمر به وكان سمع إلى هذه الكلمة قال: أما هذا – يعنى: الرجل الذى أنكر المنكر – فقد قضى ما عليه [صحيح مسلم (٤٩)]، أن يأمر وينهى فأدى ما عليه، وباقى المجموعة كلهم لابد أن يُنكروا أيضًا، لا بد أن تقوم وأنت تقوم، وقام أبو سعيد أيضًا ليُسقط الفرضية عن نفسه، قال: أما هذا فقد قضى ما عليه ثم أمسك الأمير وقال: يا أمير، الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد تُرك ما هنالك وذهب وخطب.

ليست القضية أنه يقبل أو لا يقبل، القضية أننى أشعر أنى أُسقط الفرضية عن نفسى وأستعمل الأسلوب المناسب، أما النتيجة فهى على الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾[آل عمران: ٢٠] ما قال الله: إن عليك إلا الهداية، ولا إن عليك إلا إدخال الناس فى الإسلام؛ لكن قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾[الشورى:٤٨].

المقصود: أن الناس تبلغهم دعوة الله، يبلغهم الأمر بالمعروف، يبلغهم النهى عن المنكر، إذا بلغهم هذا فكفى، وأما كون قلوبهم تصلح وتتقى ويصلح ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ويتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى وترتفع درجاتهم بسبب إنكارك فهذا أمر آخر.

أيها الأحبة الكرام: وكما أننا مُطالبون بإنكار المنكر كذلك نحن مُطالبون بالصبر على الأذى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ ثم قال لقمان: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[لقمان: ١٧] هذا من عزم الأمور التى ينبغى أن تعزم عليها وأن تجعل نفسك مقيمًا دائمًا عليها وكما أننا أيضًا مُطالبون بالنهى عن المنكر كذلك نحن مُطالبون بتشجيع المعروف، بمعنى: أننا كما نقول للمُسيء: أسأت، نقول

كذلك للمحسن: أحسنت.

أحيانًا بعض الناس إذا رأوا أولادًا يلعبون فى الشارع ولم يصلوا يقول: لماذا لم تصلوا؟ حرام عليكم أنتم كذا وكذا، ثم إذا رأى مجموعة أخرى صلوا وهم مثلهم صبيان لم يُعطهم حتى كلمة جميلة يُشجعهم بها.

كما قلت لهؤلاء: أسأتم، قل لهؤلاء: ما شاء الله بارك الله فيكم يا أطفال والله أنتم رجال والله أنتم أحسن من غيركم ما شاء الله، صلوا معنا فى المسجد دائمًا، قل للمحسن: أحسنت.

يا أخى: دخلت إلى مطعم ورأيت مشغل موسيقى فأنكر عليه، كذلك إذا دخلت إلى محل ورأيته قد شغل قرآنًا بصوت جميل فأثنِ عليه قل له: بارك الله فيك جزاك الله خيرًا، يا رب يكون كل الناس مثلك.

دخلت إلى محل يبيع اللوحات التى تعلق على الجدران ورأيت أنه يبيع لوحات عليها صورة مثلاً «بطة – هرة» أو أى شىء من هذه الأشياء فأنكرت عليه، كذلك إذا دخلت محلاً ثانيًا ووجدته لا يبيع مثل هذه الأمور فأثنِ عليه قل له: جزاك الله خيرًا وبارك الله فيك، ونحو ذلك حتى يشعر هذا أنك مُشجع.

إن القضية ليست فقط خطأ خطأ؛ لكن كذلك الذى يفعل الصواب نقول له: أحسنت جزاك الله خيرًا وبارك الله لك فى رزقك.

دخلت إلى محل يبيع مجلات فاسدة ثم دخلت إلى محل ثانٍ لا يبيع فقل للثانى: جزاك الله خيرًا أسأل الله أن يُبارك لك أنت أحسن من غيرك، وذلك لأن كل يوم يأتيه مندوب التسويق يقول له: اشتر منى هذا يجلب الزبائن، فإذا شجعته على الخير ثبته عليه.

أذكر أنى ركبت مرة الطائرة، وتجد أنت عادةً إذا ركبت الطائرة يكون معك بطاقة، وفيها مضيف أو مضيفة ينظر إلى البطاقة ويقول لك: اذهب من هذا الممر أو من هذا فدخلت وأنا أنظر أمامى لمحت الواقف مضيفة لكنى لحظت أنها قد أحكمت وضع الحجاب على وجهها، تعلمون أن لبس مضيفات السعودية هنا يضعون شيئًا كالقبعة

على الرأس وقطعة من القماش ملفوفة تحتها؛ فبعضهن توسعها فيخرج شعرها ورقبتها وتضع ربما أنواعًا من الزينة أيضًا، وبعضهن لا، تشترى قطعة قماش من نفس اللون وتتحجب به تمامًا تُغطى وجهها تمامًا لا يبقى سوى الشيء الذى يأمرونها هم إلزامًا به، ولا تضع مساحيق تجميل ثم تلبس الغطاء الذى وضعوه عليه.

فلما أقبلت وأخذت منى الورقة قلت لها: بارك الله فيك الله يجزيك خيرًا، يا رب كل المضيفات مثلك عسى الله أن يحفظ عليك دينك ونحن ندعو لك.

طبعًا قلت هذا الكلام وأنا غاض بصرى والله، فذهبت إلى كرسى وجلست وبعد خمس أو عشر دقائق أقبل أحد المضيفين قال: يا شيخ محمد كيف الحال؟ قلت له: الحمد لله، قال: أنت ماذا قلت للمضيفة؟ أنا نسيت الموضوع، قلت: أى مضيفة؟ قال: المضيفة التى كانت تأخذ البيانات عند الباب، قلت لها: جزاك الله خيرًا على الحجاب، قال: والله يا شيخ إنك دفعتها دفعة للخير. قلت: كيف؟ قال: ذهبت إلى زميلة لها مُتبرجة، وقالت لها: أنت تقولين: إن الركاب ما يريدون الحجاب وسيفصلونى إن لبست الحجاب، وإن الركاب لا يريدون إلا أن ينظروا لأحمر الشفاه.

الحمد لله الركاب يدعون لى لأننى مُتحجبة لأننى مسلمة، يقول: أعطيتها دفعة عالية بالكلمات التى سمعتها منك.

كما أننا ننكر على المضيفات المتبرجات ونفعل ذلك حين تقديم الشاى، تقول: يا أختى الله يبارك فيك ليتك تضبطين حجابك ولا تضعين مساحيق تجميل.

كما أننى أقول للمسيء: أسأت، كذلك قل للمحسن: أحسنت. ما الذى يمنعك من ذلك؟

وجميع المسلمين مهما كان ظاهره فاسدًا فاعلم أن عنده من أصل الإيمان ما يجذبه إلى الخير، نحن مشكلتنا أحيانًا أننا نرى البعض من ظواهرهم فيها نوع من الفسق أو المعصية، فإذا أردنا أن ننصح ونتكلم قال إبليس: أصلاً هذا إنسان فاسد فاجر هذا لا يقبل منك نصيحة، والله لو جاء ملك من الملائكة ما قبل منه، فيحول بيننا وبين الإنكار، بينما لاحظت -والله- من كثرة المخالطة مع الناس، إنهم ربما كانوا

يشتغلون فى أماكن ينتشر فيها الفساد مثل القنوات الفضائية الفاسدة وبعض الأماكن التى يُباع فيها الفساد، ومع ذلك تجد أنه يبقى فى قلبه أصل الإيمان وأنه إن كان فى قلبه تسعون بالمائة خراب ففيه عشرة بالمائة صلاح، فلماذا لا نأتى للعشرة بالمائة هذه ونزيدها؟

أذكر أننى كنت قادمًا مرة من سفر، راكبًا الطائرة أنا وواحد من المشايخ بجانبى، كنا راجعين من لندن فكانت الطائرة مليئة عربًا وعجمًا، وكان فيهم رجل أظن أنه بريطانى أو أمريكى، أشقر وبجانبه امرأة مثله وتتحدث معه ومعها كتاب تقرأ فيه، أنا قلت لنفسى: هذه ربما زوجته أو ابنته أو صديقته وكنت أتحدث إلى صديقى الذى معى غابت علينا الشمس ونحن فى الطائرة، فقلت لصديقى: يا أبا عبد الله تريد أن تصلى المغرب والعشاء أم نصلى حين نصل؟ قال: لا بقى ساعتان فإذا وصلنا صلينا.

فلما مرت خمس دقائق قامت المرأة المتبرجة هذه وفتحت الدرج الذى فى الأعلى وأخرجت حقيبتها وأخرجت عباءة وحجابًا ولبست العباءة والحجاب وكبرت لُتصلى المغرب، أشهد أن لا إله إلا الله. قال الذى معى: انظر يا شيخ أسلمت.

قلت: اتق الله، من قال إنها كافرة؟ إن هذه مسلمة لكن ربما عندها معصية وصلَّت وانتهت من المغرب وخلعت العباءة والحجاب ورجعت إلى تبرجها.

قلت: استح على وجهك وقم لنصل؛ يعنى: يا أخى يجوز أن نجمع، قلت: بعد هذا الموقف ما أجمع قم نصلى، فقمت ومررت بها فقلت: بارك الله فيك وجزاك الله خيرًا أنت ذكرتنا بالصلاة، عسى الله ألاَّ يحرمك الأجر عسى الله أن يجعلك مفتاحًا للخير مِغلاقًا للشر وكنت غاضًا بصرى والله، ثم قلت: الله يوفقك ويحفظك لو أنك أضفت إلى هذه الطاعة، أن تجعلى الحجاب عليك فى الصلاة وفى غيرها، قالت: جزاك الله خيرًا وبارك الله فيك وادع لى.

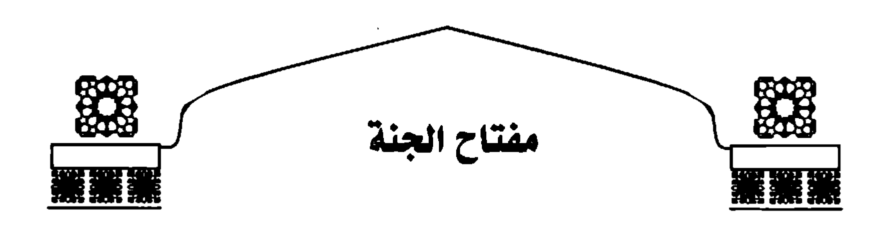
هؤلاء مهما كانت ظواهرهم توحى إليك عندما تنظر إليهم أنهم فاسدون... أنهم فجار... أنهم فُساق... فانتبه لا يكن هذا الشعور الذى يقع فى قلبك مانعك من أن

تنكر عليهم... كلا بل حتى لو كان ظاهرهم فاسدًا لا يمنعك كما قال الله: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

يا أخي: المقصود أن تبلغ النصيحة إليهم لكن أهم شيء أن يكون بأسلوب مناسب، وكذلك أنك: كما تقول للمُسيء: أسأت، قل للمحسن: أحسنت.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن ينفعنا وإياكم بما علمنا، اللهم من أرادنا بسوء من داخل أو خارج فاكفنا شره يا حي يا قيوم يا رب العالمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *



مفتاح الجنة

الحمد لله الذى رضى الإسلام لعباده دينًا، ونصب الأدلة على ألوهيته وبينها تبيينًا، وكفى بربك هاديًا ومُعينًا، لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك فى الملك، وكبره تكبيرًا، يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ولا يسأل عما يقضى ويصنع، لا شريك له فى ملكه، ولا ند له فى حكمه، ولا ظهير له ولا وزير، ولا شبيه له ولا نظير، ذلت الجبابرة لعزته، وانكسرت النفوس لهيبته، وخشعت القلوب لعظمته، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، ﷺ، وبارك عليه ما ذكره الذاكرون الأبرار، وصلى الله وسلم وبارك عليه ما تعاقب الليل والنهار، ونسأل الله أن يجعلنا من أمته وأن يحشرنا يوم القيامة مع زمرته...

أما بعد...

أما الأول: فجلس إلىَّ مهمومًا وقال: يا شيخ، مللت من الغربة، فقلت: عسى الله أن يعجل رجوعك إلى أهلك، فبكى، وقال: والله لو عرفت شوقهم إلىَّ، هل تصدق أن أمى سافرت أربعمائة ميل لتدعو لى عند ضريح قبر الشيخ فلان، وتسأله أن يردنى إليها! ثم قال: هو رجل مبارك تقبل منه الدعوات، ويسمع دعاء الداعين، حتى بعد موته!

أما الثانى: فقد حدثنى بعض المشايخ أنه كان على صعيد عرفات، والناس فى بكاء ودعوات، قد لفوا أجسادهم بالإحرام، ورفعوا أكفهم إلى الملك العلام، قال: وبينما نحن فى خشوعنا لفت نظرى شيخ كبير، قد انحنى ظهره، وهو يردد: يا شيخ فلان، أسألك أن تكشف كربتى، اشفع لى، وارحمنى، ويبكى وينتحب، فانتفض جسدى، وصحت به: اتق الله، كيف تدعو غير الله! هذا الولى عبدٌ مملوكٌ، لا يسمعك ولا يُجيبك، ادعُ الله وحده لا شريك له، فالتفت إلىَّ ثم قال: إليك عنى يا عجوز، أنت ما تعرف قدر الشيخ عند الله!

أنا أؤمن يقينًا أنه ما تنزل قطرة من السماء، ولا تنبت حبة من الأرض إلا بإذن هذا

الشيخ.

فسبحان الله أين هؤلاء اللاجئون إلى غير مولاهم، الطالبون حاجاتهم من موتاهم، المتجهون بكرباتهم إلى عظامٍ باليات، وأجسادٍ جامدات، أين هم عن الله! الذي يرى حركات الجنين، ويسمع دعاء المكروبين.

البحر المتلاطم:

كانت الدنيا مليئة بالمشركين، هذا يدعو صنمًا وذاك يرجو قبرًا، وكان من بينهم سيد من السادات، هو عمرو بن الجموح، كان له صنم اسمه مناف، يتقرب إليه، ويسجد بين يديه، صنم صنعه من خشب، لكنه أحب إليه من أهله وماله، وكان هذا دأبه مُذ عرف الدنيا، حتى جاوز عمره الستين سنة، فلما بُعث النبى ﷺ فى مكة، وأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه، داعيةً ومُعلمًا لأهل المدينة، أسلم أولاد عمرو بن الجموح دون أن يعلم، فقالوا: يا أبانا قد اتبعه الناس فما ترى فى اتباعه؟

فقال: لا أفعل حتى أشاور منافًا!! ثم قام عمرو إلى مناف: فوقف بين يديه، وقال: يا مناف، قد علمت بخبر هذا القادم، وإنما ينهانا عن عبادتك، فأشر عليَّ يا مناف، فلم يرد الصنم شيئًا، فأعاد عليه فلم يُجب، فقال عمرو: لعلك غضبت، وإنى ساكتٌ عنك أيامًا حتى يزول غضبك، ثم تركه وخرج.

فلما أظلم الليل، أقبل أبناؤه إلى مناف؛ فحملوه وألقوه فى حفرة فيها أقذار وجيف، فلما أصبح عمرو دخل إلى صنمه فلم يجده، فصاح بأعلى صوته: ويلكم! من عدا على إلهنا الليلة، فسكت أهله، ففزع، واضطرب، وخرج يبحث عنه، فوجده مُنكسًا على رأسه فى الحفرة فأخرجه وطيبه وأعاده لمكانه، وقال: أما والله يا مناف لو علمت من فعل هذا لأخزيته.

فلما كانت الليلة الثانية أقبل أبناؤه إلى الصنم: فحملوه وألقوه فى تلك الحفرة المنتنة، فلما أصبح الشيخ التمس صنمه، فلم يجده فى مكانه، فغضب وهدد وتوعد، ثم أخرجه من تلك الحفرة فغسله وطيبه، ثم ما زال أولاده يفعلون ذلك بالصنم كل ليلة وهو يُخرجه كل صباح فلما ضاق بالأمر ذرعًا راح إليه قبل مناف وقال: ويحك يا مناف، إن

العنز لتمنع أُسْتَها، ثم علق فى رأس الصنم سيفًا وقال: ادفع عدوك عن نفسك.

فلما جنَّ الليل حمل الفتية الصنم وربطوه بكلب ميت وألفوه فى بئر يجتمع فيها النتْن، فلما أصبح الشيخ بحث عن مناف فلما رآه على هذا الحال فى البئر قال:

ورب يبــــول الثعلبـــــان برأســـــه لقد خـاب مـن بالـت عليـه الثعالـب

ثم دخل فى دين الله، وما زال يسابق الصالحين فى ميادين الدين.

وانظر إليه، لما أراد المسلمون الخروج إلى معركة بدر، منعه أبناؤه لكبر سنه، وشدة عرجه، فلما كانت غزوة أُحد، أراد عمرو الخروج للجهاد، فمنعوه فذهب إلى النبى ﷺ، يُدافع عبرته، ويقول: يا رسول الله إن بنىّ يُريدون أن يحبسونى عن الخروج معك إلى الجهاد، قال: «إن الله قد عذرك». فقال: يا رسول الله، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة، فأذن له ﷺ بالخروج، فلما وصلوا إلى ساحة القتال، انطلق يضرب بسيفه جيش الظلام، ويُقاتل عُبَّاد الأصنام، حتى كثرت عليه السيوف فقتل، فدفنه النبى عليه الصلاة والسلام.

وبعد ستٍ وأربعين سنة، نزل بمقبرة شُهداء أُحد، سيلٌ شديد، غطى أرض القبور، فسارع المسلمون إلى نقل رُفات الشهداء، فلما حفروا عن قبر عمرو بن الجموح، فإذا هو كأنه نائم، لم تأكل الأرض من جسده شيئًا.

فتأمل كيف ختم الله له بالخير لما رجع إلى الحق لما تبين له، بل انظر كيف أظهر الله كرامته فى الدنيا قبل الآخرة، لما حقق لا إله إلا الله، هذه الكلمة التى قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وهى سبب دخول الجنة، ولأجلها خلقت الجنة والنار، وانقسم الخلق إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفُجار، فلا تزول قدما العبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

سفينة النجاة:

وكم من إنسان هلك مع الهالكين، واستحق اللعنة إلى يوم الدين، بسبب أنه لم يحقق التوحيد، فالله هو الرب الواحد، لا يتوكل العبد إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له.

فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرم الله على النار أهل لا إله إلا الله، وانظر إلى مُعاذ ﷺ، لما مشى خلف النبى ﷺ، فالتفت إليه النبى ﷺ فجأة ثم سأله، «يا معاذ: أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟». قال: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئًا».

وفى حديثٍ آخر: أنه ﷺ سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أى ذنب عنده الله أعظم؟ فقال ﷺ: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك».

نعم، التوحيد من أجله بعث الله الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]، والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله، من صنمٍ أو قبر.

والتوحيد هو مهمة الرسل الأولى كما قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الزخرف: ٤٥]. والأعمال كلها متوقفة فى قبولها على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنعام: ٨٨]. ومن حقق التوحيد نجا، كما صح عند الترمذى، أن الله تعالى قال: «يا بن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تُشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

ولعظم أمر التوحيد، خاف الأنبياء من فقده، فذاك أبو الموحدين، مُحطم الأصنام، وبانى البيت الحرام، إبراهيم عليه السلام، يبتهل إلى الملك العلام، ويقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٥]. ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

بداية الانحراف:

أول ما حدث الشرك فى قوم نوح فبعث الله نوحًا، فنهاهم عن الشرك، فمن أطاعه ووحد الله نجا، ومن ظل على شركه، أهلكه الله بالطوفان، وبقى الناس بعد نوحٍ على التوحيد زمانًا، ثم بدأ إبليس فى الإفساد، ونشر الشرك بين العباد، ولم يزل الله تعالى يبعث المرسلين مُبشرين ومنذرين، إلى أن بعث خاتم النبيين ﷺ، فسارت الأمة على التوحيد، إلى أن عاد الشرك إلى بعضهم بسبب تعظيم الأولياء والصالحين، بنيت

الأضرحة على قبورهم، وصرف الدعاء والنذر لمقاماتهم.

وسموا هذا الشرك توسلاً بالصالحين، وزعموا أن تعظيمهم لقبور هؤلاء، تقربهم إلى الله زُلفى، ونسوا هذه حُجة المشركين الأولين حيث قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزُّمَر: ٣].

نعم أبو جهل وأبو لهب كانا يعتقدان أن الله هو الإله الأعظم، لكنهم أشركوا معه آلهةً أخرى ظنوا أنها توصل إليه، وتشفع لهم عنده.

قصة:

روى البيهقى وغيره: أنه لما ظهر النبى ﷺ بدعوته بين الناس، حاول كفار قريش أن ينفروا الناس عنه، فقالوا: ساحر، كاهن، مجنون، لكنهم وجدوا أن أتباعه يزيدون ولا ينقصون، فاجتمع رأيه على أن يُغروه بمال ودنيا، فأرسلوا إليه حُصين بن المنذر الخزاعى، وكان من كبارهم، فلما دخل عليه حُصين، قال: يا محمد، فرقت جماعتنا، وشتت شملنا، فإن كنت تريد مالاً أعطيناك، وإن أردت نساءً زوجناك، وإن أردت مُلكًا ملكناك، ومضى فى كلامه وإغرائه، والنبى عليه الصلاة والسلام ينصت إليه، فلما انتهى من كلامه، قال له ﷺ: **«أفرغت يا أبا عمران؟»**.

قال: نعم، قال: **«فأجبنى عما أسألك. يا أبا عمران، كم إلهًا تعبد؟»**.

قال: أعبد سبعة، ستة فى الأرض، وواحدًا فى السماء!

قال: «فإذا هلك المال، من تدعو؟».

قال: أدعو الذى فى السماء.

قال: «فإذا انقطع القطر من تدعو؟».

قال: أدعو الذى فى السماء.

قال: «فإذا جاع العيال، من تدعو؟».

قال: أدعو الذى فى السماء.

قال: «فيستجيب لك وحده، أم يستجيبون لك كلهم؟»، قال: بل يستجيب وحده.

فقال له ﷺ: «يستجيب لك وحده، وينعم عليك وحده، وتشركهم فى الشكر، أم أنك

تخاف أن يغلبوه عليك؟».

قال حُصين: لا، ما يقدرون عليه.

فقال ﷺ: «يا حُصين، أسلم أعلمك كلمات ينفعك الله بهن».

فقيل: إنه أسلم فعلمه النبى ﷺ دعاء يدعو به أو كما جاء فى الحديث.

وفى «الصحيحين» وغيرهما عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ بعث خيلاً جهة نجد، لينظروا له ما حول المدينة، فبينما هم يتجولون على دوابهم، فإذا برجل قد تقلد سلاحه، ولبس الإحرام، وهو يُلبى قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، ويردد: إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، فأقبل الصحابة عليه، وسألوه أين يريد؟ فأخبرهم أنه يريد مكة، فنظروا فى حاله فإذا هو قد أقبل من ديار مسيلمة الكذاب، الذى ادعى النبوة، فربطوه وأوثقوه وجاءوا به إلى المدينة، ليراه النبى ﷺ، ويقضى فيه ما شاء.

فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام: قال لأصحابه: **«أتدرون من أسرتم؟»** هذا ثمامة ابن آثال سيد بنى حنيفة، ثم قال: اربطوه فى سارية من سوارى المسجد وأكرموه، ثم ذهب ﷺ إلى بيته وجمع ما عنده من طعام وأرسل به إليه، فخرج إليه النبى ﷺ فقال: **«ما عندك يا ثمامة؟»**.

قال: عندى خير يا محمد، إن تقتلنى تقتل ذا دم، (أى ينتقم لى قومى)، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه ﷺ حتى كان الغد، ثم قال له: **«ما عندك يا ثُمامة؟»** فقال: عندى ما قلت لك: إن تقتلنى تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تُريد المال فسل منه ما شئت، فتركه ﷺ حتى بعد الغد، فمر به فقال: **«ما عندك يا ثُمامة؟»** فقال: عندى ما قلت لك، فلما رأى ﷺ أنه لا رغبة له فى الإسلام، وقد رأى صلاة المسلمين، وسمع حديثهم، ورأى كرمهم، قال ﷺ: **«أطلقوا ثُمامة»**، فأطلقوه، وأعطوه دابته وودعوه.

فانطلق ثُمامة إلى ماءٍ قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله، يا مُحمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض

إلىّ من و جهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ، والله ما كان دين أبغض إلىّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلى، والله ما كان من بلدٍ أبغض إلىّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلىّ، ثم قال: يا رسول الله، إن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبى ﷺ بالخير، وأمره أن يكمل طريقه إلى مكة ويعتمر، فذهب إلى مكة يُلبى بالتوحيد قائلاً: لبيك لا شريك لك، لبيك لا شريك لك.

نعم أسلم فقال: لبيك لا شريك لك، فلا قبر مع الله يُعبد، ولا صنم يُصلى له ويُسجد، ثم دخل ثُمامة رضي الله عنه مكة، فتسامع به سادات قريش فأقبلوا عليه، فسمعوا تلبيته فإذا هو يقول: لبيك لا شريك لك، لبيك لا شريك لك، فقال له قائل: أصبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، فهموا به أن يؤذوه، فصاح بهم وقال: والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبى ﷺ، فانظر كيف كان يُعظم الله، ويُعظم غيره معه، فصار بذلك مُشركًا.

نعم، كانوا يُعظمون الله أكثر من تعظيمهم لهذه الآلهة، فقل لى بربك: ما الفرق بين شرك أبى جهل وأبى لهب، وبين من يذبح اليوم عند قبر، أو يسجد على أعتاب ضريح، أو يذبح له ويطوف، أو يقف عند مشهد الولى ذليلاً خاضعًا، مُنكسرًا خاشعًا، يلتمس من عظام باليات شفاء المريض، ورد المسافر...؟

عجبًا، والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٤].

وهذا الشرك الذى يقع عند القبور من ذبحٍ لها وتقرب إلى أهلها، هو أعظم الذنوب.

نعم أعظم من الخمر والزنا، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: ٤٨].

نعم، الله لا يغفر أن يُشرك به، بينما قد يغفر الله للزناة، ويعفو عن القتلة والجناة، أما الشرك فهو أعظم الذنوب، ولا يغفره الله أبدًا، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان: ١٣].

والجنة حرام على المشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن وقع فى الشرك، أفسد عليه هذا الشرك جميع عباداته من صلاة وصوم وحج وجهاد وصدقة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥].

والشرك له صور متعددة:

منها ما يخرج من الملة ويخلد صاحبه فى النار إذا مات ولم يتب منه، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن، والخوف من الموتى، أو الجن والشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، من قضاء الحاجات، مما يُمارس الآن حول الأضرحة والقبور، فالقبور تُزار لأجل الاتعاظ والدعاء للأموات، كما قال ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تُذكركم الآخرة**».

أما زيارة القبور لدعاء أهلها أو طلب الحاجات منهم فهذا شركٌ أكبر، ولا فرق بين كون المدعو المقبور نبيًا أو وليًا، فكل هؤلاء بشر، لا يملكون ضرًا ولا نفعًا، قال الله لأحب خلقه إليه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ويدخل فى ذلك ما يفعله الجُهَّال عند قبر النبى ﷺ من دُعائه والاستغاثة به، أو عند قبر الحسين، أو البدوى، أو الجيلانى، أو غيرهم.

أما زيارة القبور للصلاة عندها والقراءة، فهذه بدعة.

وكثير من هذه القبور، التى تُعظم، يكون لها خدم يُظهرون التُقى ويختلقون الأكاذيب، ويدعون إلى الشرك.

ومما يزيد الطين بلة، أنهم لم يكتفوا بتعظيم الأموات وإنما صرفوا الأموال فى تزيين القبور والبناء عليها، وقد حذر النبى عليه الصلاة والسلام من ذلك، بل قال لعلى رضي الله عنه: «**لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مُشرفًا إلى سويته**».

ونهى ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه، أو أن يُكتب عليه، ولعن المتخذين عليها (أى القبور) المساجد والسُرج، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لعن**

الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وهذا فى قبره الشريف وفى كل قبر، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين بناء على قبر نبى ولا غيره.

ولكن ماذا يفعلون هناك؟

يقصد كثير من القبوريين الأضرحة حاملين معهم الأغنام والأبقار، وأنواع الأطعمة والأموال، قربانًا لصاحب الضريح وقد يطوفون بالقبر ويتمرغون بترابه، وتجد بعضهم يحلفون بالأولياء والمقبورين بل لو حلف بالله ما قبلوا منه ولا صدقوه، فإذا حلف باسم ولى من أوليائهم قبلوه وصدقوه.

ومنهم من يخلع نعاله احترامًا لصاحب الضريح، ويتبرك بالضريح والقبة فيأخذ من ترابها أو يضع يديه على القبر ويمسح على جسده، بل ترى المرأة ترفع طفلها، وتهزه وهى تُخاطب الشيخ المقبور راجيةً منه البركة فى صغيرها.

وقد ترى من يسجد وهو مستقبل القبر.

ومنهم من يعتكف عند القبر أيامًا، التماسًا لشفاء أو قضاء حاجة، كما يظهر على الزائر الخشوعُ والسكينةُ والتأثُرُ والبكاء.

فصار هؤلاء المقبورون آلهة من دون الله، والله لا يرضى أن يُعبد معه نبى ولا ملك، فكيف إذا عُبد معه غيرهم، وهؤلاء المقبورون لا يستطيعون نصر أنفسهم، ولا نفعها فضلاً عن نفع غيرهم.

وما أقرب حالَ من يعظمونهم ويخافونهم، من حال وفد ثقيف لما أسلموا فخافوا من صنمٍ عندهم، وهو لا يضر ولا ينفع، فإنه لما تمكن الإسلام فى الناس، بدأت القبائل ترسل وفودها لتُعلن إسلامها بين يدى النبى ﷺ، فأقبل بضعة عشر رجلاً من قبيلة ثقيف، إلى النبى ﷺ، فأنزلهم المسجد ليسمعوا القرآن، فلما أرادوا إعلان إسلامهم، نظر بعضهم إلى بعضٍ فتذكروا صنمهم الذى يعبدون، وكانوا يسمونه الربة، ما هو صانعٌ بها؟ قال: اهدموها، قالوا: هيهات! لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها، قتلت أهلها، ومن حولها، فقال عمر رضي الله عنه: ويحكم ما أجهلكم! إنما الربة حجر، فقالوا: يا رسول الله، تولَّ أنت هدمها أما نحن فإنا لن نهدمها أبدًا.

فقال ﷺ: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها». فاستأذنوه أن يرجعوا إلى قومهم، فدعوا قومهم إلى الإسلام، فأسلموا ومكثوا أيامًا، وفى قلوبهم وجل من الصنم، فقدم عليهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شُعبة فى نفرٍ من الصحابة، فأقبلوا إلى الصنم وقد اجتمع الرجال والنساء والصبيان، وهم يرتجفون، وقد أيقنوا أنها لن تنهدم، وسوف تقتل من يمسها، فأقبل عليها المغيرة بن شُعبة، فأخذ الفأس، وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضربها بالفأس، ثم سقط يرفس برجله، فصاح الناس، وظنوا أن الصنم قتله، ثم قالوا لخالد بن الوليد ومن معه: من شاء منكم فليقترب، فلما رأى المغيرة فرحتهم بنصرة صنمهم، قام فقال: والله يا معشر ثقيف، إنما هى حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضربها فكسرها، ثم علا الصحابة فوقها فهدموها حجرًا حجرًا.

ما دام أن الله فطر العباد على التوحيد، فكيف نشأ الشرك؟

لو تأملت كيف نشأ الشرك على الأرض، لوجدت أنه الغلو فى الصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم، ففى قوم نوح، كان الناس موحدين، يعبدون الله وحده لا شريك له، ولم يكن شرك على وجه الأرض أبدًا وكان فيهم خمسة رجال صالحين، هم وُد وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فلما ماتوا، حزن عليهم قومهم، وقالوا: ذهب الذين كانوا يُذكروننا العبادة، ويأمروننا بطاعة الله.

فوسوس الشيطان لهم، قائلاً: لو صورتم صورهم، على شكل تماثيل، ونصبتموها عند مساجدكم، فإذا رأيتموهم ذكرتم العبادة فنشطتم لها، فأطاعوه، فاتخذوا الأصنام رموزًا، لتذكرهم بالعبادة والصلاح. فكانوا فعلاً يرون هذه الأصنام فيتذكرون العبادة، ومضت السنون، وذهب هذا الجيل، ونشأ أولادهم من بعدهم، وكبروا وهم يرون آباءهم يثنون على هذه التماثيل والأصنام، ويُعظمونها، لأنها تذكرهم بالصالحين، ثم نشأ قومٌ بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا من قبلك كانوا يعبدونها، وكانوا إذا أصابهم قحط أو حاجة لجئوا إليها فاعبدوها، فعبدوها، حتى بعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فدعاهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا، فما آمن معه إلا قليل، فغضب الله على

الكافرين، فأهلكهم بالطوفان، هذا ما حدث فى قوم نوح عليه السلام.

واليوم نأتى إلى القبوريين فنسأل: كيف تبدأ علاقتهم بالضريح؟ وكيف تنتهى بهم إلى الشرك؟

تبدأ العلاقة بتقديس الأشخاص، ذوى الصلاح والتقوى، ومن ثم: تستحب زيارة تلك البقاع، ليس لتذكر الموت والآخرة، بل لتذكر الشيخ الصالح ودعاء الله عنده رجاء الإجابة، ثم لمس القبر والتمسح به، واتخاذه واسطة ووسيلة للشفاعة عند الله، ويزعمون أن صاحب الضريح له جاه عند الله، بينما صاحب الحاجة مُتلطخ بالذنوب، لا يصلح أن يدعو الله مباشرةً، فلا بدَّ أن يجعل صاحب القبر واسطة بينه وبين الله!

ثم يقذف الشيطان فى قلوب الزائرين، يقول لهم: ما دام هذا المقبور مُكرمًا فقد يعطيه الله تصرفًا وقدرة، فيبدأ الزائر يُعظم المقبور فى نفسه، ويهابه، ويرجوه، ثم بعد ذلك يدعوه، ثم يبنى عليه مسجدًا، أو قبةً أو ضريحًا، ثم ينسجون حوله الكرامات، والقصص والحكايات، فهذه امرأة دعته فرزقت زوجًا، والثانية أنجبت ولدًا، وهكذا.

وبعضهم يُردد قائلاً: من زار الأعتاب ما خاب، أى: من زار الأضرحة والأعتاب المقدسة قُضيت حاجته ونال مُراده.

بل سُئل أحد التجار: لماذا تُقسم للزبائن بضريح الشيخ، ولا تُقسم بالله؟

فقال: إنهم لا يرضون بالقسم باسم الله، ولا يرضون إلا بالقسم بضريح سيدنا فلان، فانظر كيف صار تعظيمهم للضريح أكبر من تعظيمهم لله.

وما أقرب حال هؤلاء بما حكاه أبو رجاء العطاردى ﷺ، لما قال: كنا فى الجاهلية نعبد الأصنام، والأحجار والأشجار، فكان أحدنا يعبد حجرًا، فإذا رأى حجرًا آخر أمثل منه، ألقى حجره وعبد الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به، فخرجنا مرة فى سفر، ومعنا إلهنا الذى نعبده، حجر قد جعلناه فى خُرج، فكنا إذا أشعلنا نارًا لطعام فلم نجد حجرًا ثالثًا للقدر، وضعنا إلهنا، وقلنا: هو أدفأ له إذا اقترب من النار، فنزلنا منزلاً يومًا، وأخرجنا الحجر من الخُرج،

فلما ارتحلنا صاح صائح من قومى فقال: ألا إن ربكم قد ضل فالتمسوه، فركبنا كل بعير صعب وذلول نبحث عن ربنا، فبينما نحن نبحث إذ سمعت صائحًا آخر من قومى يقول: ألا إنى قد وجدت ربكم، أو ربًّا يُشبهه، فرجعت إلى موضع رحالنا، فرأيت قومى ساجدين عند صنم، فأتينا فنحرنا عنده الإبل.

فاعجب من جهلهم فى جاهلية ما قبل الإسلام، واعجب أكثر من جاهليتهم اليوم، بالله عليك ما الفرق بين من يعبد حجرًا، ومن يعبد قبرًا، بين من ينزل حاجاته بأصنام، ومن يُنزلها برفات وعظام، بين من يتعبد لقبور الأولياء، ومن يتعبد لطينٍ وماء؟

نعم كل هؤلاء يقولون: ما نعبدهم إلا ليُقربونا إلى الله زُلفى.

أربعة اعتراضات:

الأول: قد يقول بعض المتعلقين بالقبول:

أنتم تشددون علينا، فنحن لا نعبد الأموات، لكن هؤلاء المقبورين أولياء صالحون، لهم عند الله جاهٌ ومكان، فهم يشفعون لنا عند الله، فنقول: هذا هو شرك كفار قريش فى عبادتهم للأصنام، فمشركو العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وأن الخالق الرازق المُدبر هو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

ومع ذلك قاتلهم النبى ﷺ، لأنهم لم يفردوا الله بجميع أنواع العبادة، والشرك: هو أن يفعل العبد لغير الله شيئًا يختص به الله سبحانه سواءً أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية كالصنم والوثن، أو أطلق عليه اسمًا آخر كالولى والقبر والضريح.

الثانى: وقد يعترض بعض المعلقين بالقبور، ويقولون:

نحن نتقرب إلى المقبورين، من الأولياء والصالحين، من أجل طلب الشفاعة، فهؤلاء الموتى قومٌ صالحون، فلهم جاه وقدر عند الله، نحن نطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله، فنقول لهم: يا قوم، ويحكم أجيبوا داعى الله وآمنوا به، إن الله قد سمَّى اتخاذ الشفعاء شركًا، فقال سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

ونقول لهم أيضًا: نحن نؤمن معكم، بأن الله تعالى أعطى الأنبياء والأولياء الشفاعة، وهم أقرب الناس إليه، لكن ربنا نهانا عن سؤالهم ودعائهم.

نعم، الأنبياء والأولياء والشهداء، لهم شفاعة عند الله، ولكنها ليست بأيديهم يشفعون لمن شاءوا، ويتركون من شاءوا، كلا، بل لا يشفعون إلا بعد أن يأذن الله لهم، ويرضى عن المشفوع.

الثالث: وهنا شُبهة قد يقذفها الشيطان فى بعض القلوب، وهى أن قبر النبى ﷺ قد ضُمِّن المسجد النبوى دون نكير ولو كان ذلك حرامًا لم يُدفن فيه.

والجواب: أن النبى ﷺ دُفن حيث مات، والأنبياء يُدفنون حيث يموتون كما جاءت بذلك الأحاديث، فدفن فى حجرة عائشة رضي الله عنها، فلم يُدفن فى المسجد، وإنما دُفن فى الحجرة، هذا فى أول الأمر، والصحابة رضي الله عنهم دفنوه فى حجرة عائشة كى لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجدًا، كما فى حديث عائشة رضي الله عنها **قالت:** قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. قالت: فلولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدًا. أخرجه البخارى ومسلم.

نعم دُفن أول الأمر فى بيت عائشة، وكان بيت عائشة مُلاصقًا للمسجد من الجهة الشرقية، ومضت السنوات، والناس يكثرون، والصحابة يوسعون المسجد من جميع الجهات، إلا من جهة القبر، وسعوه من جهة الغرب والشمال والجنوب، إلا الجهة الشرقية فلم يوسعوه منها لأن القبر يحجزه عن ذلك.

وفى سنة ثمانٍ وثمانين، أى بعد وفاة النبى ﷺ بسبعٍ وسبعين سنة، وبعدما مات عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة، أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بهدم المسجد النبوى لتوسعته، وأمر بتوسعته من جميع الجهات، وإضافة جميع حُجر أزواج النبى ﷺ، عندها وسع من الجهة الشرقية، وأدخلت فيه حجرةُ عائشة رضي الله عنها، فصار القبر بذلك مُلاصقًا للمسجد، فهذه قصة القبر والمسجد.



إذن، لا يصح لأحد أبدًا، أن يحتج بما وقع بعد الصحابة ﭬ، لأنه مخالف للأحاديث الثابتة، وما فهمه سلف الأمة، وقد أخطأ الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه فى إدخاله حجرة عائشة ﭭ ضمن المسجد؛ لأن النبى ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، وكان الأصل أن يوسع المسجد من الجهات الأخرى دون أن يتعرض لحجرة عائشة.

فأقول للمتعلقين بالمقبورين: يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به.

بالله عليكم، هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يتوسلون بضريحٍ ومقام؟ ويغفلون عن الملك العلام؟ وهل تعلمون أن واحدًا منهم وقف عند قبر النبى ﷺ أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته يسأله قضاء حاجة من الحاجات، أو تفريج كربة من الكربات؟

وانظر إلى الصحابة فى عهد عمر ﭬ فى المدينة النبوية، لما انقطع المطر، وشكوا ذلك إلى عمر ﭬ، خرج بهم ثم صلى صلاة الاستسقاء، ثم رفع يديه وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بدعاء نبيك لنا فأسقيتنا، اللهم وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبيك ﷺ، ثم التفت إلى العباس ﭬ وقال: قم يا عباس فادع الله أن يسقينا، فقام العباس ودعا الله تعالى، وأمن الناس على دُعائه وبكَوا وابتهلوا، حتى اجتمع فوقهم السحاب وأُمطروا.

فانظر إلى الصحابة الكرام، وهم أكثر منا فقهًا، وأعظم محبة للنبى ﷺ، لما نزلت بهم الكربات، ما ذهبوا إلى قبر نبيهم ﷺ، ولا قالوا: يا رسول الله اشفع لنا عند الله، كلا، فهم يعلمون أن دعاء الميت لا يجوز وإن كان نبيًّا مُرسلاً.

فآهٍ ثم آهٍ، لمساكين اليوم يزدحمون على عظام ورُفات، يلتمسون منها المغفرة والرحمات، يا قومنا، ويحكم، هل تعلمون أن النبى ﷺ حين نهى عن إقامة الصور والتماثيل، نهى عنها عبثًا ولعبًا، أم أنه خاف أن تُعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى بعبادة الصور والتماثيل.

وأى فرق بين من يُعظم الصور والتماثيل، وبين من يعظم الأضرحة والقبور؟

ومن وسائل الشرك الحلف بغير الله:

فلا يجوز الحلف بالكعبة، ولا بالأمانة، ولا بالشرف، ولا بحياة فلان، ولا بجاه النبى، ولا بجاه الولى، كل ذلك حرام، لأن الحلف تعظيم لا يصح إلا لله، وقد روى أحمد عن ابن عمر مرفوعًا: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وقال ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

فإذا حلف بغير الله، وهو يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله فهو شرك أكبر وإن اعتقد أن المحلوف به أقل من الله، فهو شرك أصغر، ومن حلف بغير الله ناسيًا، فكفارته أن يقول: لا إله إلا الله، كما روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «**من حلف فقال فى حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**».

ومن كان الحلف بغير الله يجرى على لسانه، فيجب أن يُجاهد نفسه على تركه.

وكذلك من شرك الألفاظ الذى يجرى على ألسنة بعض الناس كقول بعضهم: ما شاء الله وشئت، أو: لولا الله وفلان، أو: ما لى إلا الله وأنت، وهذا من بركات الله وبركاتك.

والصواب أن يقول: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان.

ومن وسائل الشرك:

تعليق التمائم والحروز والأوراق والحجب، خوفًا من العين وغيرها، فإذا اعتقد أن هذه مُجرد أسباب وطرق لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر، أما إن اعتقد أنها تتحكم وتدفع البلاء بنفسها، فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله، وجعل لغير الله تصرفًا فى الكون مع الله.

والتمائم نوعان:

من القرآن: كمن يُعلق قماشًا أو جلدًا، أو قطعة ذهب، أو غيرها قد كُتب عليها آيات من القرآن، وهذه لا تجوز، لأنها لم يرد فعلها عن النبى وأصحابه، وقد تجر إلى تعليق غيرها.

والنوع الثانى: من غير القرآن، كمن يعلق ما كتب عليه أسماء الجن، ورموز السحرة، وهذا من وسائل الشرك عياذًا بالله.

قال ابن مسعود: من قطع تميمة من إنسان، فكـأنما أعتـق رقبـة، ورأى النبـى عليـه الصلاة والسلام رجلاً قد علق فى يده حلقة من صُفر (حديد)، فقال لـه: **«مـا هـذا؟»**. قال: من الواهنة، أى خوف المرض، فقال: **«انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدًا»**.

ومن الشرك: ادعاء علم الغيب:

فلا يعلم الغيب إلا الله وحده. قال تعـالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ، فلا يمكن لأحدٍ أبدًا، أبدًا، أن يعلم الغيب، لا ملك مُقرب، ولا نبى مرسل، لا يعلم الغيب إلا الله، إلا أن يكون رسولاً يوحى الله إليه شـيئًا مـن المغيبـات، كما أخبر الله نبيه بمكائد الكفار له، وأشراط الساعة، ونحو ذلك.

فمن ادعى علم الغيب بأى وسيلة من الوسـائل، كقـراءة الكـف أو الفنجـان، أو النظر فى النجوم، أو الكهانة أو السحر، فهو كاذب كافر، ومـا يحـصل مـن المـشعوذين والدجالين من الإخبار بالمفقودات أو الغائبات، وعن أسباب بعض الأمراض، إنما هـو باستخدام الجن والشياطين، وقد يذهب بعض ضعاف الإيمان إلى المنجمين فيسألهم عن مستقبله وعن زواجه، وهذا حرام، ومن ادعى علم الغيب أو صـدق مـن يدعيـه فهـو كافر.

ومن ذلك اللجوء إلى أبراج الحظ فى الجرائد والمجلات، أو الاتـصال هاتفيًّـا عـلى بعض من يدعى معرفة الغيب، أو سؤالهم، كل ذلك حرام.

ومن وسائل الشرك: السحر والكهانة والعرافة:

وهو من أعظم الذنوب: قال ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**. قالوا: وما هى؟ قال: **«الإشراك بالله والسحر...»**.

فالسحر فيه استخدام الـشياطين، والتقـرب إليهـم بـما يُحبونـه، ليقومـوا بخدمـة الساحر، وفيه ادعاء علم الغيب، وهذا كفر وضلال، لذا قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩] .

وحد الساحر القتل، كما فعل جماعة مـن الـصحابة ﷺ، واليـوم تـساهل النـاس

بالسحر، وصار فنًّا من الفنون بل ويقيمون للسحرة الحفلات والمسابقات ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من التهاون بالعقيدة.

وما أجمل أن يصنع بالساحر ما صنعه أبو ذر الغفارى رضي الله عنه، فإنه دخل على أحد الخلفاء فرأى بين يديه ساحرًا، يلعب بسيف فى يده، ويخيل للناس أنه يقطع رأس الرجل ثم يعيده، فجاء أبو ذر من اليوم التالى، وقد لبس رداءه، وخبأ سيفه تحته، ثم دخل على الخليفة، فإذا الساحر بين يديه يلعب بالسيف، ويسحر أمام الناس، وهم فى عجب وإعجاب، فاقترب منه أبو ذر، ثم أخرج سيفه فجأة ورفع وهوى به على رقبة هذا الساحر، فأطار رأسه، فسقط الساحر صريعًا، وقال أبو ذر: سمعت النبى ﷺ يقول: «**حد الساحر ضربةً بالسيف**». ثم التفت إليه أبو ذر وقال: أحيى نفسك، أحيى نفسك، وقد قال ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**».

ومما يجب التنبه له: أن السحرة والكُهان والعرافين يظهرون أحيانًا بمظهر الصالحين، ويأمرون المرضى بالذبح لغير الله، بأن يذبحوا خروفًا صفته كذا، أو دجاجة، وأحيانًا يكتبون لهم الطلاسم الشركية، والتعاويذ الشيطانية، بصفة حروز يُعلقونها فى رقابهم، أو يضعونها فى بيوتهم، وبعضهم يظهر بمظهر الولى الذى له خوارق وكرامات، كأن يضرب نفسه بالسلاح، أو يضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه، إلى غير ذلك من الشعوذات، التى هى فى حقيقتها سحر من عمل الشيطان، يجريه على أيديهم.

وشياطينهم تفِرّ عند ذكر الله، كما ذكر أحدهم أنه سافر يومًا إلى إحدى الدول، ودخل أحد مسارحها، وأخذ ينظر إلى ما يُسمى السيرك، قال: وبينما نحن ننظر إلى الألعاب المتنوعة، فإذا بامرأة تأتى ثم تمشى على حبل بقدرة عجيبة، ثم قفزت على الجدار، ومشت عليه كما تمشى البعوضة، والناس قد أخذ منهم العجب كل مأخذ، فقلت فى نفسى، لا يمكن أن يكون ما تفعله حركات بهلوانية تدربت عليها، صحيح أنا عاصٍ، لكنى موحد، لا أرضى بمثل هذا فتحيرت ماذا أفعل؟

فتذكرت أنى حضرت خطبة جمعة عن السحر والسحرة، وكان مما ذكر الشيخ أن

السحرة يستعملون الشياطين، وأن الشياطين يبطل كيدهم، وتفنى قوتها إذا ذُكر الله، فقمت من على كرسيى، ومضيت أمشى مُتجهًا إلى خشبة المسرح، والناس يُصفقون مُعجبين، ويظنونى لفرط إعجابى، أقترب من الساحرة، فلما وصلت إلى المسرح، وصرت قريبًا من هذه الساحرة، وجهت نظرى إليها ثم قرأت آية الكرسى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فبدأت المرأة تضطرب، وتضطرب، فوالله ما ختمت الآية إلا وقعت على الأرض، وأخذت تنتفض، وقام الناس وفزعوا، وحملوها إلى المستشفى، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: ٧٦]، وقال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤]

ومن وسائل الشرك: تعظيم التماثيل والنُّصب التذكارية:

والتماثيل جمع تمثال، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان، والنصب التذكارية: تماثيل يُقيمونها على صور الزعماء والعظماء، وينصبونها فى الميادين والحدائق ونحوها.

وما وقع الشرك فى الأرض إلا بسبب هذه التماثيل، أما ترى قوم نوح لما صنعوا تماثيل لرجال منهم، لم يمض عليهم زمن حتى عبدوهم من دون الله، لذا نهى ﷺ عن التماثيل والصور، لأنها وسيلة إلى الشرك، بل لعن ﷺ المصورين، وأخبر أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، وأمر بطمس الصور، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة.

ومن وسائل الشرك: التوسل البدعى:

كالتوسل بجاه النبى ﷺ، أو بذوات المخلوقين أو حقهم، فلا يجوز أن يقول فى دعائه: اللهم إنى أسألك بجاه نبيك، أو بحق فلان، أو بروح الميت فلان، كل هذا لا يجوز.

والتوسل الجائز، هو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فيقول: يا رحيم ارحمنى، يا غفور اغفر لى، وكذلك التوسل إلى الله بالإيمان والأعمال الصالحة، كأن يقول: اللهم

بإيمانى بك وتصديقى لرسلك، أدخلنى جنتك، والتوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كأن يطلب من عبد صالح حى، أن يدعو الله له، فإن دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجاب، أما طلب الدعاء من ميت فى قبره، فلا يجوز.

فكل ما سبق هو من حقوق الله على عباده، لا يجوز صرفه لغير الله تعالى.

ومن الإيمان بالله أيضًا: اعتقاد أن الله رب كل شىء وأنه المستحق للعبادة، وله الأسماء الحسنى والصفات العُلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وأنه يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء، وأنه عالٍ على خلقه بذاته وصفاته، مستوٍ على العرش، يعلم أحوال خلقه، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، فالقرآن أنزله الله على محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، عليهم الصلاة والسلام، وكلها كلام الله تعالى.

والإيمان بالأنبياء:

وهم كثير، منهم من أخبرنا الله باسمه، ومنهم من لم يخبرنا به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والإيمان باليوم الآخر:

فتؤمن أولاً بعذاب القبر ونعيمه، وهو ثابت بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وقال تعالى عن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١]. قال ابن مسعود وغيره: العذاب الأول فى الدنيا، والثانى عذاب فى القبر، ثم يُردون إلى عذاب عظيم فى النار.

أما الأحاديث فى إثبات عذاب القبر ونعيمه، فهى كثيرة، بل قد صرح ابن القيم وغيره أنها متواترة، وفى السُّنة أكثر من خمسين حديثًا فى ذلك، منها: ما فى «الصحيحين»

أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليُعذبان وما يُعذبان فى كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**».

ومنها: ما فى الصحيحين أنه ﷺ كان يقول فى دُعائه: «**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر**».

ومن الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بالبعث وإحياء الموتى حين يُنفخ فى الصور، فيقومون حُفاةً عُراة غُرلاً (غير مختونين)، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

والإيمان بالحساب والجزاء والجنة، والنار:

وتؤمن بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، كخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها، وغير ذلك.

ونؤمن بالشفاعة، والحوض والميزان، ورؤية الله تعالى، وغير ذلك من أمور الآخرة.

ومن الإيمان أيضًا: الإيمان بالقدر خيره وشره، مُقدر ومكتوب من الله تعالى ومما يقدح فى الإيمان:

الاستهزاء بالدين، فهو ردة عن الإسلام، قال الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦] . ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام دينٌ قديم لا يصلح لعصرنا، أو إنه تأخر ورجعية، أو يقول: إن القوانين الوضعية أحسن من الإسلام.

ومن أكبر القوادح فى الإيمان، الحكم بغير ما أنزل الله:

فمن مقتضى الإيمان بالله الحكم بشرعه، فى الأقوال والأفعال، والخصومات والأموال، وسائر الحقوق، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].

فلا بد من الحكم بما أنزل الله، فى كل شىء فى البيع والشراء، والسرقة، والزنا، وغيرها، وليس فى أحكام الطلاق والزواج والأحوال الشخصية فقط، ومن شرع قوانين للناس، وزعم أن هذه القوانين أنسب وأفضل من حكم الله فهو كافر، قال الله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وفى «الصحيح»: أنه لما أنزل الله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال عدى بن حاتم رضي الله عنه: يا رسول الله، لسنا نعبدهم، قال ﷺ: **«أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويُحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟»** قال: بلى. قال ﷺ: **«فتلك عبادتهم»**.

ومن القوادح فى الإيمان، موالاة الكفار، أو مُعاداة المؤمنين:

ولا شك أنه يجب على المسلمين أن يحذروا موادة الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، والآيات كلها تدل على كفرهم بالله، وكيدهم للإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٨-١٢٠]

ومن صور موالاة بعض المسلمين للكافرين اليوم: مخالطتهم وموادتهم من غير قصد الدعوة، أو مُساكنتهم فى بلادهم، أو السفر إليهم من غير ضرورة، والتشبه بهم فى اللباس، أو المظهر، أو طريقة الحياة، أو التكلم بلغتهم من غير حاجة.



ومن أكبر القوادح فى الإيمان:

تنقص أصحاب النبى ﷺ أو سبهم، أو تنقص أهل بيته الكرام، فنحب أصحاب النبى ﷺ، ولا نغلو فى حب أحدٍ منهم، لا فى على رضي الله عنه، ولا فى غيره، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، بل نبغض من يبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾

[التوبة: ١٠٠]

ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم من خلافات أو حروب، الإمساك عن ذلك كله، فهم بشر يُخطئون ويُصيبون، وكما عصم الله سيوفنا عن الدخول فى تلك الفتن فلنعصم منها ألسنتنا، ونقول: هم بشر لهم رب يجمعهم يوم القيامة ويحكم بينهم.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبى بكر، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لعلى رضي الله عنهم.

ومن القوادح فى الإيمان:

ما استحدثه بعض المسلمين من بدع يزعمون أنها تُقربهم إلى الله، كالاحتفال بمولد النبى ﷺ، والقيام له فى أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، أو الاحتفال بمولد غيره من الأولياء والصالحين، وذلك كله من البدع فى الدين، لم يفعله النبى ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**. أى مردود عليه، وقال: **«كل مُحدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة»**.

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ **[المائدة: ٣]**. نعم أكمل لنا الدين، ولو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذى يرضاه الله لَبَيَّنَه الرسول ﷺ للأمة.

وقد صرح العلماء بإنكار الموالد، خاصةً إذا وقع فيها غلو فى الرسول ﷺ، واختلاط النساء بالرجال، أو استعمال آلات الملاهى، وقد يقع فيها الشرك الأكبر بدعاء الرسول ﷺ، والاستغاثة به، وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من



الأمور الكفرية، كما يُردد بعضهم قول البوصيرى:

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم
إن لم تكن آخذًا يوم المعاد يدى ... صفحًا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ومثل هذه الأوصاف: علم الغيب، والمغفرة يوم القيامة، والتحكم فى الدنيا والآخرة، لا تصلح إلا لمن بيده ملكوت السموات والأرض.

وهذه تقع كثيرًا فى الاحتفال بمولد النبى ﷺ، أو مولد غيره من الأولياء.

فإن قيل: إن هذه الموالد يُذكر فيها الرسول ﷺ، وتُقرأ سيرته. قلنا: هذا كلام حسن، ولكن يمكن أن يُذكر الرسول ﷺ وسيرته من غير تحديد موعد مُعين كل سنة، فيُذكر على المنابر، أو فى المحاضرات، أو المجالس العامة، وغيرها، وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ **[النساء: ٥٩]**.

فبحثنا فى القرآن، فلم نجد أن الله أمرنا بالموالد، بل يُخبر أن الدين كامل، وبحثنا فى السُّنة فلم نجد فيها أنه ﷺ فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه، ولا ينبغى للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **[الأنعام: ١١٦]**.

ومن العجائب:

أن بعض الناس يجتهد فى حضور الاحتفالات المُبتدعة، ويتخلف عن الجمع والجماعات، وبعضهم يظن أن النبى ﷺ يحضر المولد، ولذا يقومون مُرحبين.

ونعلم جميعًا أنه لا يتم إيمان عبد حتى يحب الرسول ﷺ، ويُعظمه، ومن تعظيمه وتوقيره إتخاذه إمامًا متبوعًا، فلا نتجاوز، ما شرعه من العبادات.

ومن البدع الظاهرة: الاحتفال بليلة ٢٧ من رمضان:

فقد قال ﷺ كما فى الصحيحين: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

هذا هديه ﷺ فى رمضان وفى ليلة القدر، وأما الاحتفال بليلة سبعٍ وعشرين على



أنها ليلة القدر فهو مخالف لهدى الرسول ﷺ فالاحتفال بها بدعة، خاصةً أن ليلة القدر قد تكون ليلة السابع والعشرين، وقد تكون غيرها من الليالى.

ومن البدع أيضًا: الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج.

مع أن الليلة التى حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت فى الأحاديث الصحيحة تعيينها لا فى رجب ولا غيره، ولو ثبت تعيينها لم يجز تخصيصها بشىء من عبادة أو احتفال؛ لأن النبى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها، ولم يخصوها بشىء، والنبى ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لبينه لنا.

ومن البدع: الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص يومها بالصيام.

وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، وقد ورد فى فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، كما ذكر ابن رجب وغيره، وقال زيد بن أسلم: ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فُقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان.

وأخيرًا، فإن الجريمة الكبرى، والداهية العظمى ترك الصلاة، وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**».

وصح عند الترمذى عن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

ذكر ابن القيم: أن أحد المحتضرين، كان صاحب معاصٍ وتفريط، فلم يلبث أن نزل به الموت، ففزع من حوله إليه، وانطرحوا بين يديه، وأخذوا يُذكرونه بالله، ويلقنونه لا إله إلا الله، وهو يُدافع عبراته، فلما بدأت روحه تُنزع، صاح بأعلى صوته، وقال: أقول: لا إله إلا الله! وما تنفعنى لا إله إلا الله! وما أعلم أنى صليت لله صلاة! ثم أخذ يشهق حتى مات.

أما عامر بن عبد الله بن الزبير، فلقد كان على فراش الموت، يَعُد أنفاس الحياة، وأهله حوله يبكون، فبينما هو يُصارع الموت، سمع المؤذن يُنادى لصلاة المغرب، ونفسه تحشرج فى حلقه، وقد اشتد نزعه، وعظم كربه، فلما سمع النداء قال لمن حوله: خذوا

بيدى! قالوا: إلى أين؟ قال: إلى المسجد، قالوا: وأنت على هذا الحال؟ قال: سبحان الله! أسمع مُنادى الصلاة ولا أُجيبه، خذوا بيدى، فحملوه بين رجلين، فصلى ركعة مع الإمام، ثم مات فى سجوده، نعم، مات وهو ساجد.

فمن أقام الصلاة، وصبر على طاعة مولاه، ختم له برضاه.

كان سعد بن معاذ رضي الله عنه، صالحًا قانتًا، مُتعبدًا مُخبتًا، عرفه الليل ببكاء الأسحار، وعرفه النهار بالصلاة والاستغفار، أصابه جُرح فى غزوة بنى قريظة فلبث مريضًا أيامًا ثم نزل به الموت فلما أخبر به النبى ﷺ، قال لأصحابه: **«انطلقوا إليه»**. قال جابر: فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فعجب أصحابه من سرعته، فقال: **«إنى أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتُغسله، كما غسلت حنظلة»**. فانتهى إلى البيت فإذا هو قد مات، وأصحاب له يُغسلونه، وأمه تبكيه، فقال ﷺ: **«كل باكية تكذب إلا أم سعد»**. ثم حملوه إلى قبره، وخرج ﷺ يُشيعه، فقال القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه، فقال ﷺ: **«ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم، والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش»**.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

ومن أكبر المعاصى: منع الزكاة، فهى الركن الثالث من أركان الإسلام، وفى صحيح مسلم أنه قال: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها فى نار جهنم، فيُكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له، فى يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**.

وروى البخارى أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** – يعنى شدقيه– ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا النبى الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٠] ».

وأخيرًا، يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به، يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذابٍ أليم، والله إنى لكم ناصح، والحق قد تبين، والدين واحد لا يتعدد، فالله فردٌ صمد، لا يرضى أن يُشرك به أحد، ولا تكن من أولئك الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزُّخرُف: ٢٣]. بل قل: إنا موحدون طائعون متبعون، ولا تغتر بكثرة من يذبح عند القبور، أو يُشرك بالله عندها، ولاتأخذك كثرة الأحاجي والقصص التى ينسجها هؤلاء عن مقبوريهم، وانظر إلى أبى طالب عم النبى ﷺ، كان ينصر النبى ﷺ ويحميه، ومع ذلك، لما مات كافرًا، فقال النبى عليه الصلاة والسلام: «لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك». فأنزل الله قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[التوبة: ١١٣].

بل انظر إلى مُحطم الأصنام، وبانى البيت الحرام، إبراهيم عليه السلام، الذى ابتُلى فى مولاه وعذب فى سبيل الله لا يستطيع يوم القيامة أن ينفع أباه؛ لأن أباه مات مُشركًا بالله فتنبه لهذا كله وتذكر: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[عبس: ٣٤-٣٧]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعرا: ٨٨-٨٩]. وكن رجاعًا إلى الحق، ناصحًا لغيرك،، داعيًا إلى التوحيد.

أسأل الله للجميع الهدى والرشاد، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



على قمم الجبال

أما بعد...

فهذه رحلة مع أقوام من الصالحين، الذين تنافسوا فى الطاعات، وتسابقوا إلى الخيرات.

نعم مع الذين سارعوا إلى مغفرة من ربهم وجنات.

هذه أخبار أقوام، لم يتهيبوا صعود الجبال بل نزعوا عن أعناقهم الأغلال، وأشتاقوا إلى الكريم المتعال، هم نساء ورجال، علوا إلى قمم الجبال.

ما حجبتهم عن ربهم لذة، ولا اشتغلوا عن دينهم بشهوة؛ فأحبهم ربهم وأدناهم، وأعلى مكانهم وأعطاهم.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٧-١٨].

نعم والله لا يستوون...

لا يستوى من ليله قيام، ونهاره صيام، مع من ليله عزف وأنغام، ونهاره كالأنعام، لا يستوون، ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٩-٢٠]...

وإذا أردت أن تقف على حال المتقين، فانتقل معى إن شئت إلى هناك، انتقل إلى المدينة، وانظر إلى أولئك الفقراء، انظر إلى أبى هريرة وسلمان، وأبى ذر وبلال، وقد أقبلوا إلى النبى ﷺ يشتكون من الأغنياء...

عجبًا! الفقراء يشتكون من الأغنياء نعم، فلماذا يشتكون...

هل لأن طعام الأغنياء ألذ من طعامهم، أم لأن لباس الأغنياء ألين من لباسهم، أم لأن بيوت الأغنياء أرفع من بيوتهم؟

كلا، ما كانت هذه شكاتهم، ولا كان فى هذا تنافسهم...

أقبلوا حتى وفقوا بين يدى النبى عليه السلام، فقالوا: يا رسول الله، جئنا إليك نشتكى من الأغنياء...

قال: «و ما ذاك؟».

قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور والدرجات العلى، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولكن لهم فضول أموال فيتصدقون، ولا نجد ما نتصدق...

فقال لهم النبى عليه السلام: «ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ولم يُدركم أحدٌ ممن يجىء بعدكم؟».

قالوا: نعم...

قال: «تُسبحون فى دُبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمدون ثلاثًا وثلاثين، وتُكبرون ثلاثًا وثلاثين، إنكم إذا فعلتم ذلك، سبقتم من قبلكم ولم يُدركم أحد ممن يجىء بعدكم».

فرح الفقراء بذلك، فلما قُضيت الصلاة فإذا هم زجل بالتسبيح والتكبير والتحميد، التفت الأغنياء فإذا الفقراء يُسبحون، سألوهم عن ذلك، فأخبروهم بما علمهم النبى - عليه السلام - فما كادت الكلمات تُلامس أسماع الأغنياء؛ حتى تسابقوا إليها.

نعم، إذا أبو بكر يُسبح، وإذا ابن عوف يُسبح، وإذا الزُّبير يُسبح، فرجع الفقراء إلى النبى عليه السلام، فقالوا: يا رسول الله، سمع إخواننا الأغنياء بما علمتنا، ففعلوا مثلنا، فعلمنا شيئًا آخر.

فقال ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

والحديث رواه ابن حبان وابن خزيمة.

نعم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠].

بل كان التنافس على الخيرات هو الذى يشغل بال الصالحين، ويرفع درجات المتقين...

وانظر إلى الشيخين الجليلين، والعلمين العابدين...

انظر إلى أبى بكر وعمر...

كان عمر ﷺ يقول: كنت أتمنى أن أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا...

فأمر النبى عليه السلام الناس بالصدقة يومًا، وكان عند عمر مال حاضر من ذهب وفضة، فقال فى نفسه: اليوم أسبق أبا بكر، فأقبل على ماله فقسمه نصفين، وأبقى نصفًا لعياله، وجاء بنصف إلى النبى - عليه السلام.

فلما وضعه بين يديه، رفع ﷺ بصره إليه، ثم قال: **«ماذا تركت لأهلك؟»**.

قال: يا رسول الله، تركت لهم مثله...

ثم جلس عمر ينتظر أبا بكر...

فإذا أبو بكر قد جاء بصرة عظيمة، فوضعها بين يدى النبى - عليه السلام - فقال له ﷺ: **«ماذا تركت لأهلك؟»**.

فقال أبو بكر: تركت لهم الله ورسوله...

فنظر إليه عمر ثم قال: والله لا سابقت أبا بكر بعد اليوم أبدًا...

بل انظر إلى صورةٍ أخرى من صور التنافس الحارّ، يوم يقف النبى - عليه السلام- أمام جموع المسلمين فى معركة أُحد، ثم يعرض سيفًا صلتًا ويصيح بجموع الأبطال: **«من يأخذ هذا السيف بحقه؟»**.

عندما تتسابق الأكتف، وتتطاير الأبصار، وتشرئب النفوس، عجبًا على ماذا يتسابقون؟!

إنه على الروح أن يبذلوها، وعلى الدماء أن يسكبوها، والأنفس ليقتلوها...

فيقفز من بينهم أبو دجانة ويقول: وما حقه يا رسول الله؟

فيقول النبى عليه السلام: «ألا تضرب به مسلمًا، ولا تفر به من بين يدى كافر».

نعم، لا تفر عن كافر مهما كان قويًا أو ضعيفًا، شجاعًا أو جبانًا، عندها يأخذه البطل، ثم يخرج عصابة حمراء فيربطها على رأسه، ويتبختر مُستبشرًا فرحًا، ويضرب به هام الكفار حتى انثنى...

بل، انظر إلى النبى - عليه السلام - وهو يُحدث أصحابه عن يوم القيامة، ويُخبرهم أن من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فيعجب الصحابة بهذا الفضل العظيم، ويقفز عكاشة بن محصن ﷺ، سريعًا، يُبادر الموقف وينتهز الفرصة قبل أن تفوت...

ويقول: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: **«أنت منهم»**...

ويفوز بها عكاشة، ثم يغلق الباب، ويقال لمن بعده: **«سبقك بها عكاشة»**.

نعم سبق عكاشة فدخل الجنة بغير حساب، وفاز أبو دجانة بسيف النبى الأواب...

وارتفع أبو بكر على جميع الأصحاب...

وتنافس الأغنياء والفقراء، والصالحون والأولياء...

هممهم واحد، كما أن ربهم واحد...

وقلوبهم ثابتة، كما أن عزائمهم ماضية...

وأنت أفلا نظرت إلى نفسك، كيف همتك إذا رأيت من سبقك إلى الدعوة إلى الله، أو النفقة فى سبيل الله، أفلا تلوم نفسك إذا رأيت فلانًا سبقك بحفظ القرآن، وأنت غافل ولاهٍ، ورأيت الآخر سبقك إلى الجهاد، وأنت على الأريكة والوساد، والثالث يصعد فى الدرجات، وينكر المنكرات، وأنت عاكف على أمورٍ تافهات...؟

ما حالك إذا علمت أن فلانًا صوَّام فى النهار؟ أو بكاء فى الأسحار...

فيا بائعًا نفسه بيع الهوان لو اسـ ... ـترجعت ذا البيع قبل الفوت لم تخبِ

وبائعًا طيب عيش ما له خطر ... بطيف عيش من الآلام مُنتهبِ

غبنت والله غبنًا فاحشًا ولدى ... يوم التغابن تلقى غاية الحرب

وحاطب الليل فى الظلماء مُنتصبًا ... لكل داهية تدنى من العطب

كما ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك فى الطلب

فاستفرش الخد ذياك التراب وقل ... ما قاله صاحب الأشواق والحقبِ

منحتك الروح لا أبغى لها ثمنًا ... إلا رضاك ووافقرى إلى الثمن

ربيعة بن كعب الأسلمى رضي الله عنه، غلام صغير من الأصحاب، لكن همته كانت فوق السحاب، فكان يأتى إلى النبى - عليه السلام - وهو غلام، فيقرب له وَضوءه وحاجته، فأراد النبى عليه السلام أن يُكافئه يومًا...

فقال له: «سلنى يا ربيعة».

فسكت ربيعة قليلاً، ثم قال: أسألك مرافقتك فى الجنة...

فقال ﷺ: «أو غير ذلك؟».

قال: هو ذاك، فقال - عليه السلام -: **«فأعنى على نفسك بكثرة السجود»**. رواه مسلم...

فكان ربيعة على صغر سنه، لا يُرى إلا مُصليًا أو ساجدًا، لم يفوّت من عمره ساعة، ولم يفقد فى صلاة جماعة...

نعم، كانوا إذا عرفوا الفضائل تسابقوا إليها، وثبتوا عليها، أذاقهم الله طعم محبته، ونعمهم بمناجاته، وطهّر سرائرهم بمراقبته، وزين رءوسهم بتيجان مودّته، فذاقوا نعيم الجنة قبل أن يدخلوها...

وقد قال ﷺ: «إن الله إذا أراد بعبدٍ خيرًا استعمله». قيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: **«يوفقه للعمل الصالح ثم يقبضه عليه»**...

فمن أحبه الله، استعمله فى طاعته، وجعله لا يعيش لنفسه فقط، بل يعيش لدينه، داعيًا إليه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، مهتمًّا بأمر المسلمين، ناصحًا للمؤمنين، ففى الشيشان أخته، وفى أفغان أمه، وفى الصين ابنته، وفى كشمير أحبابه، يألم لألمهم، ويفرح لفرحهم، لا تراه إلا واعظًا لخلانه، ناصحًا لإخوانه، مؤثرًا فى زمانه ومكانه...

إذا رأى المنكرات، امتلأ قلبه حسرات، وفاضت عينه دمعات، يود لو أن جسده قُرض بالمقاريض وأن الناس لم يعصوا الله تعالى، يستميت فى سبيل نصح الخلق، وهدايتهم إلى الحق، تأمل فى أحوال الأنبياء، وأخبار الأولياء...

انظر إلى إبراهيم وهود، وسليمان وداود، وتأمل حال شعيب وموسى، وأيوب وعيسى، كيف كانوا يخدمون الدين، يحققون اليقين...

واستمع إلى نوح – عليه السلام – يشكو حاله فيقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾[نوح: ٥-٧].

فهل استسلم لما أعرضوا؟ كلا: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[نوح: ٨-١٣] .

ماذا بقى من حياة نبى الله نوح؟

الليل والنهار، العلن والإسرار.

كل ذلك سخر للدعوة إلى الله...

وقضى فى ذلك ألف سنة إلا خمسين عامًا، تموت أجيال وتحيا أجيال، وهو ثابت ثبات الجبال...

ووالله ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، أكرم خلقًا، ولا أزكى نفسًا، ولا أحرص على هداية الناس من محمد ﷺ .

نعم، كان حريصًا على هداية الناس، مسلمهم وكافرهم، حرهم و عبدهم، كبيرهم وصغيرهم، بذل نفسه وروحه ووقته، حتى قال له ربه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[فاطر: ٨] ، لقد دعا إلى الله فى كل مكان، وحال وزمان، فى المسجد، والسوق، وفى الطريق، بل وحتى على شفير القبر.

كان يستغل جميع المواقف ليعظ الناس ويُذكرهم بربهم، لا يرى عاصيًا إلا نصحه، ولا مُقصرًا إلا وجهه، ولم تكن نظرته فى هداية الناس قاصرة، بل كان عالى الهمة فى ذلك، يُفكر فى هداية الناس وهم فى أصلاب آبائهم...

فى الصحيحين: أن عائشة رضي الله عنها تأملت يومًا، فى مصاب النبى ﷺ يوم أُحد، يوم قُتل بين يديه أصحابه، وفر خلانه وأحبابه، وتمكن الكفار من الأبرار، وارتفعت راية الفجار، وعظم المصاب، واشتد الكرب، وأُصيب النبى عليه السلام...

قالت عائشة: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟

فقال ﷺ وهو يستعيد ذكريات بلائه: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل، فلم يُجبنى إلى ما أردت... فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (وهو ميقات أهل نجد قرب الطائف)...

فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم على، ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلان عظيمان حول مكة).

فقلت: لا، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئًا».

وكان - عليه السلام - ينتهز جميع الفرص للوعظ والتذكير، فهو بعد الصلاة يدعو الناس، ويُحببهم إلى ربهم، وفى السوق يُرغبهم فيما عند خالقهم، وفى الطريق يذكرهم بمعبودهم...

انظر إليه، يردف وراءه يومًا عبد الله بن عباس، فيلتفت إليه فى وسط الطريق، وينتهز الفرصة أن تفوت، فيقول: **«يا غلام، إنى أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...»**.

وفى يومٍ آخر، يردف مُعاذ بن جبل وراءه، فيلتفت إليه وسط الطريق، ويقول: **«يا مُعاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ حق الله على العباد: أن يعبدوه لا يُشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: أن لا يُعذب من لا يُشرك به شيئًا»**.

بل حتى عند القبر، كان - عليه السلام - يستغل اجتماع الناس لهدايتهم...

روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة، فقال: **«علام اجتمع عليه هؤلاء؟»**.

قيل: على قبرٍ يحفرونه...

ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدى أصحابه مُسرعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثا عليه، قال البراء: فاستقبلته من بين يدى لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، فقال: **«أى إخوانى لمثل اليوم فأعدوا»**.

بل، لم يكن اهتمام النبى عليه السلام، مُقتصرًا على كبار الأنام، بل اعتنى بالصغار والكبار، والعبيد والأحرار...

عند البخارى أنه ﷺ، يسمع بغلام يهودى مريض، فيقول لأنس: **«هلُم بنا نزوره»**...

فيخرج إليه يزوره، فلما دخل ﷺ، فإذا الغلام طريح الفراش، وأبوه قاعد عند رأسه.

فقال له النبى عليه السلام: «يا فلان، قل: لا إله إلا الله».

فنظر الغلام إلى أبيه: فسكت أبوه: فأعاد عليه النبى عليه السلام، فنظر الغلام إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم...

فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله...

فتهلل وجه النبى عليه السلام، ثم قام فخرج وهو يقول: **«الحمد لله الذى أخرجه بى من النار»**.

لنتأمل قليلاً، غلام خادم، لا مال له ولا عشيرة...

بل هو فى سياق الموت، ومع ذلك يفرح النبى - عليه السلام - بإسلامه؛ لأنه نجى من النار...

بل انظر إليه - عليه السلام - لما خرج طريدًا شريدًا من مكة، وقريش تجعل الجوائز لمن يقتله، فيخرج مُتخفيًا عن الكافرين، ويختبئ فى غار ملىء بالعقارب والثعابين، خوفًا من بطش المشركين، وما يكاد يخرج منه، ويمضى على المدينة، عليه وعثاء السفر، وكربة الضُّر، حتى لقيه فى الطريق بُريدة بن الحصيب، أعرابى فى الصحراء، فلما رآه النبى - عليه السلام - نسى تعبه ونصبه، وأقبل عليه يدعوه إلى الإسلام، ونبذ عبادة الأصنام، ويستميت فى سبيل ذلك، فيُسلم بُريدة، ويرجع إلى قومه

فيدعوهم، فيُسلم منهم ثلاثون، فيأتى بهم فى الظلام إلى النبى عليه السلام، فيُصلون معه العشاء، كما عند ابن سعد فى «الطبقات»...

ما منعه خوفه ولا رُعبه، ولا جوعه ولا نصبه من هداية الناس إلى ربهم...

بل كان ﷺ يتنازل عن حقوق نفسه، وحاجات جسده فى سبيل هداية الناس...

فى الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال:

إنهم غزوا مع النبى - عليه السلام - غزاة قبل نجد، فنزلوا أثناء الطريق، ونزل النبى عليه السلام تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وفرش رداءه ونام تحتها، وتفرق الصحابة تحت الشجر، يستظلون بظلها، فبينما هم كذلك؛ إذ أقبل رجلٌ إلى النبى - عليه السلام - يمشى رويدًا رويدًا، حتى وقف على النبى - عليه السلام - وهو نائم، فتناول السيف، ثم استله من غمده، ورفعه فوق رأس النبى عليه السلام، ثم صاح بأعلى صوته وقال: يا محمد! مَنْ يمنعك منى؟ ففتح النبى - عليه السلام - عينيه، فإذا الرجل تلتمع عيناه شررًا، والسيف فى يده يلمع منه الموت، والرجل يصيح، مَنْ يمنعك منى؟ من يمنعك منى؟...

فقال ﷺ: «الله».

فانتفض الرجل، وسقط السيف من يده، وسقط الرجل على الأرض...

فقام - عليه السلام - وأخذ السيف، ثم رفعه وقال: **«من يمنعك منى؟!»**. فقال الرجل: لا أحد، (ماذا يقول... اللات والعزى)، قال: لا أحد، كن خير آخذ...

فقال ﷺ: «تسلم». قال: لا، ولكن لك على أن لا أُقاتلك أبدًا، ولا أكون مع قوم يقاتلونك...

فعفا عنه النبى عليه السلام، ولم يعرض له بأذًى...

وكان الرجل ملك قومه، فمضى إلى قومه، وهو يقول: جئتكم من عند أحسن الناس، وعاد بهم مسلمين...

بل كان ﷺ يُربى أصحابه على سلوك هذا السبيل...

فكان يصيح بهم قائلاً: «بلغوا عنى ولو آية، بلغوا عنى ولو آية». فما عذر أحدًا فى

ترك الدعوة إلى الله...

وفى الحديث الذى رواه مسلم، قال ﷺ لعلى: **«فوالله، لئن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خيرًا لك من حُمرِ النعم»**.

وحثَّ كل أحد على نشر العلم والنصيحة، فقال - عليه السلام - فيما رواه الترمذى: **«إن الله، وملائكته، وأهل السماوات، والأرضين، حتى النملة فى جُحرها، وحتى الحوت، ليُصلون على مُعلم الناس الخير»**.

وعلى هذا الطريق المنير سار أصحابه، فكان نشر الدين، هو القضية الوحيدة التى لأجلها يحيون، وعليها يموتون...

فأبو بكر أسلم على يده أكثر من ثلاثين صحابيًّا، ستة منهم من العشرة المبشرين بالجنة...

وكذلك عمر وعثمان، وعلى وسلمان، كم بذلوا وقدموا، وجاهدوا وعملوا، حتى انتشر الإسلام...

واهتدى أكثر الأنام، ونُسيت عبادة الأصنام، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...

لله درَّهم، كانوا أئمة عامة، يتصدون لإرشاد الناس، وحمايتهم من المنكرات...

نعم، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فُصِّلَت: ٣٣-٣٥]...

نعم، كان الصحابة رضي الله عنهم يُضاعفون الجهود؛ ليوحد الرب المعبود، لكن الكفار - أيضًا - كانوا فى عصرهم يبذلون، كما هو فى عصرنا يبذلون، ليصدوا عن سبيل الله، يُنفقون الأموال، ويُقدمون الرجال، ويستنفرون الأبطال؛ ليُكفَر بالكبير المُتعال...

انظر إلى قبائل العرب قبل تمكن الإسلام، وقد جاءت وفودها للحج فى مكة...

فصح فى مُسند أحمد، أنه - عليه السلام - كان يُقبل على القبيلة منهم، فيقول لهم: **«يا غطفان، هل لكم فى عز الدهر، قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا، هذه رسالة ربى، فمن يؤوينى لأبلغ رسالة ربى»**.

فما يكاد ينتهى من كلامه؛ حتى يُقبل عليهم أبو جهل مُسرعًا، فيصيح بهم: لا تُصدقوه، هذا ساحر، هذا كاهن، هذا مجنون، أنا عمه وأدرى الناس به، فيتركهم النبى - عليه السلام - ويمضي حزينًا مهمومًا، حتى يختفى عن أبى جهل، ثم يقف عند آخرين فيقول: «يا بنى سلمة، قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا». فإذا بأبى جهل يُقبل عليهم، ويقول لهم: هذا مجنون...

انظر كيف يبذل أبو جهل ليصد عن سبيل الله...

بل انظر كم بذل أبو سفيان قبل إسلامه، وكيف قاد الجيوش لقتل المسلمين فى أحد والخندق...

وكم بذل أبو لهب، وأمية بن خلف...

كانوا يبذلون كل شىء للصد عن سبيل الله...

بل لما اشتد عذاب الكفار، على الصحابة الأبرار، أمرهم النبى - عليه السلام - بالخروج من الجزيرة العربية كلها، والهجرة إلى الحبشة، فخرج المؤمنون الموحدون، تركوا أموالهم وأشجارهم وثمارهم، تعبث بها قريش كما تشاء، وركبوا عباب البحر، واستقروا فى الحبشة، فى أرض الغرباء البعداء، فى أرضٍ لم يعرفوها، وبلادٍ لم يألفوها، ولغةٍ لم يفهموها، استقروا هناك...

فهل تركهم الكفار؟! كلا، ما هان على الكفار، أن يوحَّد رب العالمين...

جمعت قريش أموالها، وانتدبت عقلاءها؛ ليذهبوا إلى ملك الحبشة، فيغروه بالهدايا والأموال، ليُرجع المؤمنين إلى مكة حيث العذاب والنكال...

عجبًا، وماذا يضر قريشًا أن يُعبد الله فى أرضٍ بعيدة، إنه الصد عن سبيل الله...

وإن تعجب، فاعجب، من رجل يصد عن سبيل الله وهو على فراش الموت...

إنه أبو طالب، عم النبى - عليه السلام - كان مُصدقًا فى داخله بالإسلام...

أليس هو الذى كان يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا

ولقد علمت بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا



لــولا الملامــة أو حــذار مــسبةٍ لوجــدتنى ســمحًا بــذاك مُبينــا

لكنه يظل على دين قومه، حتى كَبُرَ سنُّه، ورق عظمه، واقتربت منيته...

فمرض يومًا، واشتدت عليه السكرات، فيُسرع النبى - عليه السلام - إليـه، فـإذا عمه على فراش الموت، قد علاه النزع والعرق، واشتد به الخوف والفرق...

وهو يودع الدنيا بأنفاسٍ أخيرة، وإذا عنده أبو جهل وكفار قريش...

فيُقبل النبى - عليه السلام - عليه، وينطـرح بين يديـه، ويقـول وهـو يُـدافع عـن عبراته، «**يا عم قل: لا إله إلا الله**».

فينظر إليه أبو طالب، ورسول الله ﷺ أحب الناس إليه...

فلما كاد أبو طالب أن يقول: لا إله إلا الله، صاح به أبو جهل وقال: يـا أبـا طالـب، أترغب عن ملة عبد المطلب...

عجبًا، وما دخلك أنت يا أبا جهل، الرجل على فراش المـوت يـسلم أو لا يـسلم، وما يضرك أنت أو ينفعك...

إنه الصد عن سبيل الله...

ورسول الله - عليه السلام - يصيح بعمه، ويتدارك أنفاسه، ويكرر: «**يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**».

وأبو جهل يدافعه، أترغب عن ملة عبد المطلب، أترغـب عـن ملـة عبـد المطلـب، حتى مات، وهو على عبادة الأصنام، والشرك بالملك العلَّام...

وفى «الصحيحين» أنه ﷺ سُئل فقيـل لـه: يـا رسـول الله، إن عمـك كـان يحوطـك وينصرك فهل أغنيت عنه شيئًا؟

فقال: «**نعم، وجدته فى غمراتٍ من النار، فأخرجته إلى ضحضاحٍ من نار، تحت قدميه جمرتان من نار يغلى منهما دماغه**».

بل كان الكفار يتواصون بالثبات على الباطل، قال تعالى عن كفار قـريش: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ - أى: اسـتمروا عـلى ديـنكم - ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص: ٦].

وفى الآية الأخرى يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

نعم كان الكفار يبذلون فى عهد النبى عليه السلام، للصد عن الإسلام...

ولكن بذل المؤمنين كان أكثر، وجهدهم كان أكبر، يستميت أحدهم فى الإصلاح ويُناضل، حتى ظهر الحق وزهق الباطل...

واليوم، خذ جولة سريعة، وقارن بين الفريقين...

انظر - إن شئت- إلى عمل اليهود وتكاتفهم، لإقامة دولة إسرائيل، وانظر إلى تفانى الهندوس والبوذيين فى خدمة دينهم، حتى استغرق ذلك أوقاتهم واستنفد جهودهم، فأشغلهم عن اللذات والشهوات، وانظر إلى نشاط المُنصرين، وحرصهم على دعوتهم، وبذلهم أموالهم، وأوقاتَهم، وجهودهم، وهم على باطل...

يقول أحد الدُّعاة: كانت تُقدم إلَيَّ الدعوات دائمًا لزيارة اللاجئين المسلمين فى أفريقيا، فتوجهت إلى هناك بعد تردد طويل، وقررت أن أمكث أسبوعين، وفوجئت بخطورة الطريق، والحر الشديد، وكثرة الحشرات، والبعوض الحامل للأمراض فلما وصلت فرح بى هؤلاء الضعفاء، وأسكنونى فى أحسن الخيام، وأحضروا لى أنظف الفرش، فبقيت تلك الليلة مُعجبًا بنفسى، وتضحيتى، ثم نمت فى عناء شديد، وأنا أحمل هم هذين الأسبوعين.

وفى الصباح جاءنى أحدهم وطلب منى أن أتجول فى المخيم، فطلبت منه تأجيل ذلك حتى تخف حرارة الشمس، فأصر عليَّ فخرجت معه، وذهبنا إلى البئر الوحيد الذى يزدحم عليه الناس، ولفت نظرى بين هؤلاء الأفارقة، شابة شعرها أصفر، لم يتجاوز عمرها الثلاثين، فسألته بعجب: مَنْ هذه؟

فقال: هذه مُنصَّرة نرويجية، تقيم هنا منذ ستة أشهر، تأكل من طعامنا، وتشرب من شرابنا، وتعلمت لغتنا، وقد تنصَّر على يدها المئات...

نعم، ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ

ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء: ١٠٤].

ويقول آخر: كنت فى ألمانيا، فطُرق علىَّ الباب، وإذا صوت امرأة شابة يُنادى من ورائه...

فقلت لها: ما تريدين؟

قالت: افتح الباب، قلت: أنا رجل مسلم، وليس عندى أحد، ولا يجوز أن تدخلى علىَّ...

فأصرت علىَّ، فأبيت أن أفتح الباب...

فقالت: أنا من جماعة شهود يهوه الدينية، افتح الباب، وخذ هذه الكتب والنشرات، قلت: لا أريد شيئًا، فأخذت تترجى، فوليت الباب ظهرى، ومضيت إلى غرفتى، فما كان منها إلا أن وضعت فمها على ثُقب فى الباب...

ثم أخذت تتكلم عن دينها، وتشرح مبادئ عقيدتها لمدة عشر دقائق، فلما انتهت، توجهت إلى الباب وسألتها: لِمَ تتعبين نفسك هكذا...؟

فقالت: أنا أشعر الآن بالراحة؛ لأنى بذلت ما أستطيع فى سبيل خدمة دينى...

﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]...

وجهود أعداء الدين، من الكفرة والمُنصرين، أشهر من أن تُذكر...

وتأمل فيما يبذلونه لتنصير المسلمين، من خلال قنوات فضائية، وأشرطة سمعية، وكتب مقروءة، ونشرات موبوءة...

تأمل ذلك كله ثم قارنه بما يبذله المسلمون، أو قارنه إن شئت بهذين الموقفين...

يقف أحد الشباب عند محطة وقود، ويطلب من العامل أن يُعبئ له ببضعة ريالات...

وخلال ذلك يسأل العامل: مسلم أنت...؟

فيقول العامل: لا، لست مسلمًا...

فيسأله صاحبنا: لم لا تُسلم؟ فيقول العامل: لا أعرف ما الإسلام...

فيقول صاحبنا: أنا أحضر لك كتبًا عن الإسلام...

عندها صاح به العامل وقال: أنت كذاب...

قال: كذاب! لماذا...؟

فقال العامل: أنا أعمل فى هذه المحطة منذ خمس سنوات، وكل واحد يمر بى يقول: سأحضر لك كتبًا عن الإسلام، وإلى الآن لم يحضر إلىَّ أحد شيئًا...

وحدثنى أحد العاملين فى مركز لدعوة غير المسلمين فى أحد المطارات، أنه كان يوزع مظاريف تحتوى على بعض الكتب الدينية على الخادمات المغادرات إلى إندونيسيا...

قال: فمرت بى امرأة مع خادمتها، تودعها إلى بلدها، فناديتها، قلت: يا أختى، تفضلى هذه هدية للخادمة، وأعطيتها مظروفًا مُغلقًا...

فقالت: ما هذا؟ قلت: هو للخادمة...

ففتحت المرأة المظروف، فلما رأت الكتب قالت بغير مُبالاة، كتب إسلامية، لا نريد كتبًا إسلامية، ثم رمت الكتب على الطاولة، ومضت بخادمتها...

سبحان الله، بعض المسلمين، لا دفع ولا نفع، كما قال:

وأنت امرؤ منا خُلِقَت لغيرنا حياتك لا نفع وموتك فاجع

تأمل فى غفلة كثير منا عن دعوة من هم بين أظهرنا، يسكن الكافر بين أظهرنا سنين، ثم يرجع وهو على حاله: يعبد بوذا، ويُقدس البقرة، ويقول: الله ثالث ثلاثة...

بل دعك من الكافرين:

كم نرى من المسلمين فى المُقصرين فى صلاة الجماعة، والمتساهلين بالغناء وسماعه...

وكم نرى من العاقين، والمرابين، والمتلاعبين بأعراض المسلمين...

بل كم نرى من السُّكارى، والشباب والفتيات الحيارى...

فماذا بذلنا لهم...؟

وبصراحة...

بعض الناس إذا تكلمنا عن الدعوة إلى الله، ظن أن الدعوة مقصورة، على من أعفى لحيته وقصر ثوبه، ثم جعل حلقه للحيته، وإسباله لثوبه، أو تدخينه، أو سماعه للغناء، حائلاً بينه وبين خدمة الدين، أو نصح المُقصرين...

بل قد يُقعد الشيطان العاصى عن الدعوة، ويقول له: أنت تنصح الناس؛ ألا تذكر خطاياك؟ أمثلك يعمل للدين؟

فيُفوت الشيطان بذلك على الإسلام، جنديًّا من جنود الرحمن...

نعم، لا أنكر أن الأصل فى الداعية أن يكون مستقيمًا على الطاعات...

ولكن وجود السيئات، لا تمنع من فعل الحسنات...

ولو لم يعظ فى الناس من هو مُذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد

بل قد يُجالس الداعية بعض الناس، ولا يعلم أنهم يأكلون الربا والحرام، أو يقعون فى الفواحش والآثام، أو يتركون الصلوات، ويُعاقرون المسكرات...

فلا يُلام الداعية إذا سكت عنهم؛ لأنهم يتظاهرون أمامه بالخير...

ولكن هم يُلامون، فيجب على بعضهم أن ينصح بعضًا...

وأنت إن كنت عاصيًا، فلم تنقلب يهوديًّا ولا نصرانيًّا...

فالعاصى المؤمن معدود من المؤمنين، وقد قال الله:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢]...

وكم من الناس اليوم ممن وقعوا فى شهوات، أو وقعت بينهم وبين بعض الصالحين خصومات، تسلط عليهم الشيطان، فشعروا أنهم أعداء للدين وأهله...

مع أن العبد قد يقع فى المعصية، لكنه يبقى من حزب الرحمن...

وانظر إلى ذلك الرجل، الذى أغواه الشيطان فشرب خمرًا، فعُوقب، ثم شرب

فعُوقب، ثم شرب، فأُتى به إلى النبى - عليه السلام - فلما عوقب، قال بعض الصحابة: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به!

فقال: «لا تعلنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله».

فهو إن شرب خمرًا لم ينقلب عدوًّا للدين...

وتلك المرأة الزانية التائبة، أقاموا عليها الحد، فلما ماتت سبها بعض الأصحاب...

فقال عليه السلام: «لقد تابت توبةً لو قُسِّمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم».

ولما زنى ماعز رضي الله عنه فرُجم، قال النبى عليه السلام: **«لقد تاب توبة لو قُسِّمَت على أمة لوسعتهم، والله إنه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها».**

وأنا بكلامى هذا لا أسوغ الوقوع فى المعاصى، أو أعتذر لأصحابها، ولكن، ذكر إن نفعت الذكرى...

ولا ينبغى أن تحول المعصية بين صاحبها وبين خدمة هذا الدين...

أبو محجن الثقفى رجل من المسلمين كان قد ابتُلى فى الجاهلية بشرب الخمر، وقد تعلقت بها نفسه، وهام بها قلبه، حتى كان يوصى ولده ويقول:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة مُذنب ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى فى الفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وتروى بخمر الحص لحدى فإننى ... أسيرٌ لها من بعد ما قد أسوقها

فلما أسلم، بقيت نفسه تغلبه عليها، فيُعاقب عليها ويعود، ثم يُعاقب ويعود...

فلما تداعى المسلمون للخروج لقتال الفرس فى معركة القادسية، خرج معهم أبو محجن، وحمل زاده ومتاعه، فلما وصلوا القادسية، طلب رستم مقابلة سعد بن أبى وقاص قائد المسلمين، وبدأت المراسلات بين الجيشين، عندها وسوس الشيطان لأبى محجن رضي الله عنه فاختبأ فى مكانٍ بعيد وشرب خمرًا، فلما علم به سعد رضي الله عنه غضب عليه، وقيد يديه ورجليه، وحبسه فى خيمة.

وبدأ القتال، وتنازل الأبطال، وقعقعت السيوف، وتتابعت الحتُوف، ورُميت

الرماح، وارتفع الصياح، وغبرت خيل الرحمن، وعلت أصوات الفرسان، وفُتحت أبواب الجنان، وطارت أرواح الشهداء، واشتاق الأولياء...

وأبو محجن يئن بقيد

فلِمَ القيد أيها الأسير؟

أيها الفارس العنيد ترجل ... فخيولي حبيسة لا تغير!

يا أبا محجن كفاك قعودًا ... أنت بالحرب والسلاح خبير

فاعصب الرأس عزةً تتلظى ... هُتك العرضُ والجناح كسير

أزِفت ساعة القصاص وإلا ... فاجرع الموت ثم بئس المصير

أخذ أبو محجن، يتململ فى قيوده، وتتحرك أشواقه إلى الشهادة، فيثب ليبذل الروح، فإذا القيد فى رجله:

فأخذ يتحسر على حاله ويقول:

كفى حزنًا أن تدحم الخيل بالقنى ... وأُترك مشدودًا على وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد وغلقت ... مصاريع من دونى تصم المناديا

وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخوة ... وقد تركونى مُفردًا لا أخا ليا

فلله عهد لا أحيف بعهده ... لئن فُرجت ألا أزور الحوانيا

ثم أخذ يُنادى ويصيح بأعلى صوته...

فأجابته امرأة سعد: ما تريد؟

فقال: فكى القيد من رجلى وأعطينى البلقاء فرس سعد، فأقاتل فإن رزقنى الله الشهادة فهو ما أريد، وإن بقيت فلك علىَّ عهد الله وميثاقه أن أرجع حتى تضعى القيد فى قدمى، وأخذ يرجوها ويناشدها، حتى فكت قيده وأعطته البلقاء، فلبس درعه، وغطى وجهه بالمغفر، ثم قفز كالأسد على ظهر الفرس، وألقى نفسه بين الكفار يُدافع عن هذا الدين ويُحامى...

علق نفسه بالآخرة ولم يُفلح إبليس فى تثبيطه عن خدمة هذا الدين...

حمل على القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه، وكان يقصف الناس قصفًا...

وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه...

فقال بعضهم: لعله مدد من عمر...

وقال بعضهم: لعله ملك من الملائكة...

ومضى أبو محجن يضرب ويُقاتل، ويبذل روحه ويُناضل...

فأقدم فإما مُنية أو مَنية ... تريحك من عيشٍ به لست راضيًا

فما ثَم إلا الوصلُ أو كلفٌ بهم ... وحسبك فوزًا ذاك إن كنت واعيًا

مضى أبو محجن...

أما سعد بن أبى وقاص فقد كانت به قروح فى فخذيه فلم ينزل ساحة القتال، لكنه كان يرقب القتال من بعيد، فلما رأى أبا محجن عجب من قوة قتاله، وأخذ يتبعه بصره ويقول: الضرب ضرب أبى محجن، والكر كرُّ البلقاء، وأبو محجن فى القيد، والبلقاء فى الحبس...

فلما انتهى القتال عاد أبو محجن إلى سجنه، ووضع رجله فى القيد...

ونزل سعد فوجد فرسه يعرق، فعلم أنها شهدت القتال...

فدخل على أبى محجن، فإذا جراحه تسيل دمًا، وعيناه تفيض دمعًا، وهو يقول: يا سعد، والله لا شربت الخمر أبدًا...

فلله درُّ أبى محجن، نعم وقع فى معصية، ولكنه يفعل طاعات، تغوص معصيته فى بحرها...

ومن ذا الذى تُرجى سجاياه كلها ... كفى المرء نُبلاً أن تعد معايبه

أيها الإخوة والأخوات...

نحن اليوم فى زمن تكاثرت فيه الفتن، وتنوعت المحن، وقلَّ الأصدقاء، وتلوَّن الأعداء...

فمنهم عدو كاشح فى عدائه ... ومنهم عدو فى ثياب الأصادق

ومنهم قريب أعظم الخطب قربه ... له فيكم فعل العدو المفارق

فأكثر المسلمين اليوم حائرون فى الملذات، غرقى فى الشهوات، يبحثون عن حياض

النجاة، عن خشبة يتعلقون بها، أو سفينة يأوون إليها، فمن كان عنده فضل مالٍ فليَجُد به على من لا مالَ له، ومن كان عنده فضل طعامٍ فليَجُد به على من لا طعام لـه، ومـن كان عنده فضل علم فليَجُد به على من لا علم له.

ومن كان عنده خوفٌ وجل من العظيم الأجل، فليَجُد به على الغافلين، المُعرضين اللاهين...

وأنت لا تدرى، ما الباب الذى تدخل منه إلى الجنة، فابذل ولا يخذلك الشيطان...

وما أجمل أن ينتصر العبد على الشيطان...

خرجت من المسجد يومًا فجاءنى شاب عليه آثار المعصية وقد اسودت شفتاه من كثرة التدخين، فعجبت لما رأيته، ماذا يريد، فلما سلم علىَّ قال: يا شيخ أنتم تجمعون أموالاً لبناء مسجد أليس كذلك؟

قلت: بلى، فناولنى ظرفًا مُغلقًا، وقال: هذا مال جمعتُه من أمى وأخواتى وبعض المعارف، ثم ذهب، ففتحت الظرف فإذا فيه خمسة آلاف ريال، وأنفقت تلك الخمسة آلاف فى بناء ذلك المسجد...

واليوم لا يذكر الله فى ذلك المسجد ذاكر، ولا يقرأ القرآن قارئ، ولا يُصلى مُصلٍّ، إلا كان فى ميزان ذلك الشاب مثل أجره...

وعند مسلم قال ﷺ: **«من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**.

وحدثنى أحد الدُّعاة، أنه طرق عليه باب بيته فى منتصف الليل...

قال: فخرجت أنظر من الطارق، فإذا شاب عليه مظاهر المعصية، ففزعت فى ظلمة الليل، وسألته: ما تريد؟

قال: أنت الشيخ فلان؟

قلت: نعم، قال: يا شيخ، هنا رجلان قد أسلما على يدى، ولا أدرى ماذا أفعل بهما...

فقلت فى نفسى: لعل هذا الشاب، فى ظلمة الليل قد شرب مُسكرًا، أو تعاطى

مخدرًا، فأذهب عقله...

فقلت له: وأين هذان الرجلان؟

قال: هما معى فى السيارة، فنزلت معه إلى سيارته، فلما أقبلت عليهما فإذا اثنان من العمال الهنود، ينتظران فى السيارة، قلت لهما: أنتما مسلمان؟

قالا: نعم الحمد لله، الله أكبر، فالتفت إلى الشاب، وقلت مُتعجبًا: أسلما على يدك! كيف؟؟

فقال: هما يعملان فى ورشة، ولا زلت أتابعهما بالكتب حتى أسلما...

والآن، ما يفعل الرجلان طاعة، ولا يُصليان صلاة إلا كان فى ميزان هذا الشاب مثل أجورهما...

ومن دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا...

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت:٣٣]...

حدثنى أحد الصالحين أنه رأى الشيخ ابن باز رحمه الله بعد موته، فى المنام...

قال: فسألته، قلت: يا شيخ دُلنى على عمل فاضل نافع...

قال: فرفع الشيخ يده وهزها وهو يقول: عليك بالدعوة إلى الله، عليك بالدعوة إلى الله، ومازال يُكررها حتى غاب عنى...

والدعوة إلى الله ليست مهمة صعبة...

فكم من شخص كانت هدايته بسبب شريط نافع، أو نصيحة صادقة، أو رسالة عابرة...

وصلتنى رسالة قبل أيام، من شاب فى بريطانيا، ذكر فيها مُرسلها فى أربع صفحات قصة ضلاله ومعاصيه، ثم قال: وفى ليلةٍ مشهودة، دخلت مصلى فى مانشستر، فوطئت قدمى على شريط مُلقى، فأخذته ووضعته فى جيبى، فلما وصلت إلى شقتى، وضعته فى المُسجل أسمع، فإذا الأمر عظيم، والخطب جسيم، وإذا المسألة جنة ونار، وثواب وعقاب، قال: فما أصبحت تلك الليلة، إلا وأنا

تائب إلى الله...

بسبب شريط واحد...

ووصلتني ورقة بعد إحدى المحاضرات يقول كاتبها:

أنا قبل أربعة عشر عامًا، كنت واقفًا عند إشارة مرور، وقد رفعت صوت الغناء، فالتفت إليَّ شاب من السيارة المجاورة، وابتسم فى وجهى، ثم مدَّ إليَّ شريطًا، وأضاءت الإشارة خضراء وانطلق كل منا إلى سبيله، أما أنا فقد وضعت الشريط فى المسجل، فلما استمعت إليه، فتح الله على قلبى، وأصبحت لا أغيب عن المحاضرات والدروس إلى يومى هذا...

وأنا لا أعرف هذا الشاب الذى اهتديت على يده لكنه يكفيه أن الله يعرفه، والملائكة ترقبه، وأنى ما أعمل عملاً إلا كان فى ميزانه مثل أجرى...

ومثل هذا الشاب كثير، ولكن من يوصل إليهم الهدى...

كم من شابٍّ فجأه الموت وهو تارك للصلوات، أو مُقيم على كبائر الشهوات؛ لأن الدُّعاة ما استطاعوا الوصول إليه، وأصحابه ما نشطوا فى نصيحته، بحجة أنهم مُقصرون مثله...

وكم من فتاة ترى زميلاتها، يتبادلن الصور والأشرطة المحرمة، بل وأرقام الهواتف المشبوهة، ومع ذلك إذا طالبناها بنصيحتهن قالت: أنا أحتاج إلى من ينصحنى، أنا مُقصرة...

عجبًا، ما أسعد الشيطان بسمع هذه الكلمات...

لو تأملنا...

كيف دخل الإسلام إلى أفريقيا والفلبين، والهند والصين، حتى صار فيها ملايين المسلمين...

فمن دعا هؤلاء؟!...

والله ما دعاهم مشايخ ولا علماء، وإنما اهتدوا بسبب أقوام من عامة الناس، ليسوا طلبة علم، ولا أئمة مساجد، ولا تخرجوا فى كليات الشريعة، أقوام ذهبوا إلى هناك

للتجارة، فدعوا الناس فأسلموا على أيديهم، فخرج من هؤلاء المسلمين الهنود والصينيين علماء ودُعاة، وأجر هدايتهم لأولئك التجار...

إن توزيع الأشرطة، ونشر الكتب، وتوزيع بطاقات الأذكار، أمور لا تحتاج على علم...

من منا إذا سافر أخذ معه مجموعة من الأشرطة النافعة، ثم إذا وقف فى محطة وقود وضع فى البقالة بعضها، وفى المسجد بعضها، أو وزعها على السيارت الواقفة، أو أعطاها أولاده الصغار يوزعونها عليهم...

الناس فى الطريق لا بد أن يستمعوا إلى شىء فكن مُعينًا لهم على سماع الذكر والخير...

من منا إذا رأى كتابًا نافعًا، أو شريطًا مؤثرًا، اشترى منه كمية ثم وزعها فى مسجده، أو أهداها لزملائه فى العمل، أو طلابه فى المدرسة...

كثير من مجتمعات الشباب والفتيات تحتاج إلى شجعان يخترقونها، نعم يخترقون التجمعات، التى على الشواطئ وفى الاستراحات، بل وفى البيوت والطرقات.

نعم، يخترقها الناصحون، يُصلحون ويُذكرون، يعظون هذا، وينهون ذاك، ويتلطفون مع الثالث، ويحتوون الرابع...

ولو رأيت تائهًا عن بيته فدللته عليه، لكنت مأجورًا، فكيف بمن هو تائهٍ عن ربه، غارق فى خطيئته وذنبه، فما أعظم من يدله عليه...

ولئن كان أهل الباطل، قد يفلحون فى إفساد الشباب والفتيات، ونشر المنكرات، فإن أهل الحق أولى وأحرى...

وكلما كثرت المنكرات، وقلت الطاعات، غضب رب الأرض والسماء، وقَرُبَ نزول البلاء...

بل إن المنكر إذا كَثُرَ، خربت البلاد، وهلك العباد، وصار الناس كالبهائم، ما بين حائرٍ وهائم...

والمنكر إذا وقع، لم يضر الفاعلين فقط، بل عمَّ الصالح والطالح...

قال الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥]...

وذكر ابن عبد البر فى «التمهيد»: أن الله تعالى أوحى إلى جبريل أن أهلك قرية كذا وكذا، فقال جبريل: يا رب فيهم عبدك فلان، رجل صالح، أى بكّاء فى الأسحار، صوَّام فى النهار، له صدقات وأعمال صالحات، كيف أهلكه معهم...؟

فقال الله: به فابدأ، فإنه لم يتمعر وجهه فىَّ قط، أى: لم يكن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر...

وصح عند أحمد والترمذى، أنه ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**».

وصح فى «المسند» وغيره أنه ﷺ قال: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى، هم أعز وأكثر ممن يعمله، ثم لا يُغيروه، إلا عمَّهم الله تعالى منه بعقاب».

وصح فى «المسند» أنه ﷺ قال: «إن من أمتى قومًا يُعطون مثل أجور أولهم، يُنكرون المنكر».

وصح عند أبى يعلى، أنه ﷺ قال: «**أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**».

نعم، فلا يعذر أحد فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كلٌّ بحسب استطاعته...

فقد روى مسلم أنه ﷺ قال: «من رأى منكم مُنكرًا فليغيره بيده».

وعلى العاقل أن يسلك جميع السبل فى سبيل إنكار المنكرات، ولا يكتفى بسبيل واحد ثم يرضى بالقعود...

ذكر ابن كثير فى «تاريخه»: أن رجلاً من ضعفاء الناس كان له على بعض الكبراء مال كثير، فماطله ومنعه حقه، وكلما طالبه الفقير به آذاه، وأمر غلمانه بضربه، فاشتكاه

إلى قائد الجُند، فما زاده ذلك إلا منعًا وجحودًا...

قال هذا الضعيف المسكين: فلما رأيت ذلك يئست من المال الذى عليه ودخلنى غمّ من جهته، فبينما أنا حائر إلى من أشتكى...

إذ قال لى رجل: ألا تأتى فلانًا الخياط إمام المسجد...

فقلت: ما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم؟ وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه!

فقال: الخياط هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه، فاذهب لعلك أن تجد عنده فرجًا...

قال: فقصدته غير محتفل فى أمره، فذكرت له حاجتى ومالى وما لقيت من هذا الظالم، فقام وأقفل دكانه، ومضى يمشى بجانبى حتى وصل إلى بيت الرجل، وطرقنا الباب، ففتح الرجل الباب مُغضبًا، فلما رأى الخياط، فزع، وأكرمه واحترمه...

فقال له الخياط: أعط هذا الضعيف حقه...

فأنكر الرجل وقال: ليس له عندى شىء...

فصاح به الخياط وقال: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنتُ...

فتغير لون الرجل ودفع إلىّ حقى كاملاً، ثم انصرفنا، وأنا فى أشد العجب من هذا الخياط، مع رثاثة حاله، وضعف بنيته، كيف انطاع وانقاد ذلك الكبير له...

ثم إنى عرضت عليه شيئًا من المال فلم يقبل...

وقال: لو أردت هذا لكان لى من المال ما لا يُحصى...

فسألته عن خبره وذكرت له تعجبى منه، فلم يلتفت إلىَّ، فألححت عليه...

وقلت: لماذا هددته بأن تؤذن؟!...

قال: قد أخذت مالك فاذهب.

قلت: لا بُدَّ والله أن تخبرنى...

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا قبل سنين فى جوارنا أميرٌ تركى من أعالى الدولة وهو شابٌّ حسن جميل، فمرت به ذات ليلة امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران، فتعلق بها، يريدها على نفسها،

ليدخلها منزله، وهى تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها، وتستغيث بالناس، وتدافعه بيديها، فلما رأيت ذلك، قمت إليه، فأنكرت عليه، وأردت تخليص المرأة من بين يديه، فضربنى بسكين فى يده فشج رأسى وأسال دمى، وغلب المرأة على نفسها فأدخلها منزله قهرًا.

فرجعت وغسلتُ الدم عنى وعصبت رأسى، وصحت بالناس وقلت: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معى إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه، فقام الناس معى فهجمنا عليه فى داره فثار إلينا فى جماعة من غلمانه بأيديهم العصى والسكاكين يضربون الناس، وقصدنى هو من بينهم فضربنى ضربًا شديدًا مُبرحًا حتى أدمانى، وأخرجنا من منزله ونحن فى غاية الإهانة والذل، فرجعت إلى منزلى وأنا لا أهتدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشى فلم يأخذنى النوم.

وتحيرت ماذا أصنع، والمرأة مع هذا الفاجر، فأُلهمت أن أصعد المنارة، فأؤذن للفجر فى أثناء الليل؛ لكى يظن الخبيث أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله، فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وبدأت أؤذن وأرفع صوتى، وجعلت أنظر إلى باب داره فلم يخرج منه أحد، ثم أكملت الأذان فلم تخرج المرأة ولم يفتح الباب، فعزمت على أنه إن لم تخرج المرأة، أقمتُ الصلاة بصوت مسموع، حتى يتحقق الخبيث أن الصبح قد بان، فبينما أنا أنظر إلى الباب؛ إذ امتلأت الطريق فرسانًا وحرسًا من السلطان.

وهم يتصايحون: أين الذى أذن هذه الساعة؟ ويرفعون رءوسهم إلى منارة المسجد.

فصحت بهم: أنا الذى أذنت، وأنا أريد أن يعينونى عليه...

فقالوا: انزل! فنزلتُ...

فقالوا: أجب الخليفة، ففزعت، وسألتهم بالله أن يسمعوا القصة فأبوا، وساقونى أمامهم، وأنا لا أملك من نفسى شيئًا حتى أدخلونى على الخليفة، فلما رأيته جالسًا فى مقام الخلافة ارتعدتُ من الخوف وفزعت فزعًا شديدًا...

فقال: ادنُ فدنوتُ...

فقال لى: ليسكُن روعك وليهدأ قلبك، ومازال يُلاطفنى حتى اطمأنت وذهب خوفى...

فقال لى: أنت الذى أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين...

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقى من الليل أكثر ما مضى منه؟ فتغرَّ بذلك الصائم والمسافر والمصلى وتُفسد على النساء صلاتهن...

فقلت: يؤمّننى أميرُ المؤمنينْ حتى أقص عليه خبرى؟

فقال: أنت آمن، فذكرت له القصة، فغضب غضبًا شديدًا، وأمر بإحضار ذلك الرجل والمرأة فورًا فأُحضرا سريعًا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوارى والزوجات؟ فذكر له شيئًا كثيرًا...

فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت على حدوده، وتجرأت على السلطان؟! وما كفاك ذلك...

حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر، فضربته وأهنته وأدميته؟! لم يكن له جواب، فغضب السلطان، فأمر به فُوضع فى رجله قيد وفى عنقه غلّ ثم أمر به فأدخل فى كيس، وهذا الرجل يصيح ويستغيث، ويُعلن التوبة والإنابة، والخليفة لا يلتفت إليه...

ثم أمر الخليفة به فضُرب بالسكاكين ضربًا شديدًا حتى خمد، ثم أمر به فأُلقى فى نهر دجلة فكان ذلك آخر العهد...

ثم قال لى الخليفة:

كلما رأيت منكرًا، صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا – وأشار إلى صاحب الشرطة– فأعلمنى، فإن اتفق اجتماعك بى وإلا فعلامة ما بينى وبينك الأذان، فأذن فى أى وقتٍ كان، أو فى مثل وقتك هذا، يأتك جندى فتأمرهم بما تشاء...

فقلت: جزاك الله خيرًا، ثم خرجت...

فلهذا: لا آمر أحدًا من هؤلاء بشيء إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفًا من الخليفة...

وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن، والحمد لله.

فأين أولئك، الذين يرون المنكرات، ولا تنشط نفوسهم لإنكارها، بل ربما أنكروا مرة أو مرتين فلما لم يقبل منهم... يئسوا من الإصلاح، وألقوا السلاح...

أيها الأحبة الفضلاء...

إن الصراع بين الحق والباطل، قائم إلى يوم القيامة، ولئن انتصر الباطل ساعة، فالحق منصور إلى قيام الساعة...

فأين الذين يعيشون للإسلام، يسكبون من أجله دمائهم، ويسحقون جماجمهم، لأجل عزة دينهم...

أين الذين يخافون أن تظهر المنكرات، وتتفشى الشهوات، فيغضب رب الأرض والسموات...

فإنه سبحانه، إذا غضب لعن، ثم عذب وفتن، وما يعلم جنود ربك إلا هو...

فعوِّد نفسك وعوديها عدم السكوت عن المنكرات...

المسألة تحتاج إلى جرأة في البداية، ولكن لها فرحة في النهاية...

ولئن كان الفجار يتجرءون على نشر منكراتهم، والدعوة إليها، والحث عليها، من خلال كتابة في جريدة، أو برنامج في قناة داعرة بليدة، أو في كتاب مقروء، أو فكرٍ موبوء...

تروح بنا مصائبنا وتغدو ... فما يرعى لنا في الناس عهد

ويخطب باقلٌ في كل نادٍ ... فيا سبحان قولك لا يعد

تعيرهم الصحافة مقلتيها ... فهم في عرفها الركن الأشد

لهم عبر الإذاعة ألفُ صوتٍ ... وفي التلفاز أذرعة تمد

لهم شهوات إفسادٍ ومكرٍ ... وتحت غطائها قبضوا ومدوا

فـلا تعجـب إذا اضـطربت خُطانـا ... وسـاومنا علـى الأمجـاد وغـد

عـروس جُلّلـت بثيـاب حُـزْنٍ ... وطـاف بهـا علـى الشـارين عبـد

نعم، لئن كان الأصحاب المفسدون، وعُبادُ الشهوات، قد طغوا وتجرءوا...

ولئن كان المغنون والمغنيات، يجرءون على إقامة الحفلات، وتهييج الشهوات...

بل، ولئن كان أصحاب المُخدرات، يفلحون فى جر الشباب والفتيات...

فإن أهل الحق رجالًا ونساءً، أولى وأحرى، بالعمل لنشر الفضيلة، وحرب الرذيلة، وحماية المجتمع من الفساد، وتعبيد الناس لرب العباد...

من خلال مُناصحة لأصحاب المنكرات، بكتابة الرسائل إليهم، وإظهار الشفقة عليهم، وإهداء الهدايا لهم، مع إحسان الظن بهم، والدعاء لهم، والتلطف معهم، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤].

وقد كان ﷺ يكتب إلى كل الدنيا، يدعوهم إلى فعل الطاعات، وترك المنكرات، وكان يتلطف فى عبارته، ويلين فى إشارته، فكتب إلى هرقل النصرانى، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، وكتب إلى ملك فارس، وملك اليمن، وهكذا كان الصالحون من بعده، بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن صاحبًا له، أغواه الشيطان فشرب خمرًا، فدعا عمر بصحيفة ثم كتب فيها، بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر بن الخطاب إلى فلان، السلام على، أما بعد، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ١-٣] والسلام، ثم طوى الصحيفة وبعث بها إليه، فلما قرأها الرجل بكى، وتاب مما فعل...

وبلغ عبد الله بن المبارك أن بعض أصحابه قد ترك تعليم العلم وانصرف للدنيا...

فقال ابن المبارك: يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا...

ثم كتب إليه، نصيحة ضمنها أبياتًا يقول فيها:

يـا جاعـل العلـم لـه بازيـا ... يـصطاد أمـوال المـساكين

احتلـــت الـــدنيا ولـــذاتها بحيلـــةٍ تـــذهب بالـــدين
فـصرت مجنونًـا بهـا بعـد مـا كنـــت دواء للمجـــانين
أيـــن رواياتـــك فيـــها مـــضى عـــن ابـــن عـــونٍ وابـــن سـيرين
لا تبـــع الـــدين بالـــدنيا كـــما يفعـــل ضُـــلاَّل الرهـــابين

ولا تُسئ الظن بأحد، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء، وبعض الناس ليس بينه وبين ترك مُنكره، إلا أن يسمع موعظة صادقة...

كان زاذان الكندى مُغنيًا، صاحب لهو وطرب، فجلس مرة فى طريقٍ يُغنى، ويضرب بالعود، وله أصحاب يطربون له ويصفقون، فمر بهم عبد الله بن مسعود ﷺ، فأنكر عليهم فتفرقوا...

فأمسك بيد زاذان وهزه وقال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى، ثم مضى، فصاح زاذان بأصحابه، فرجعوا إليه، فقال لهم: من هذا؟

فقالوا: عبد الله بن مسعود...

فقال: صاحب رسول الله ﷺ ؟!!

قالوا: نعم، فبكى زاذان...

ثم قام، وضرب العود على الأرض فكسره، ثم أسرع فأدرك ابن مسعود، وجعل يبكى بين يديه...

فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وبكى وقال: كيف لا أحب من قد أحبه الله...

ثم لازم زاذان ابن مسعود حتى تعلم القرآن، وصار إمامًا فى العلم...

فما الذى يمنعك إذا رأيت مُنكرًا، أن تناصح صاحب بلسانك، أو تكتب له رسالة بمشاعر صادقة وعزيمة واثقة، ثم ترفع كفيك فى ظلمة الليل، فتبتهل إلى من بيده مفاتيح القلوب، أن يُحرك فى قلبه الإيمان، ويُعيذه من وسوسة الشيطان، كفاك قعودًا وخنوعًا، دع الراحة وراء ظهرك...

فليـــس الـــسعادة فى الـــسكون ولا الخمـــــول ولا القعـــــود
فى العيـــش بيـــن الأهـــل تأكـــل كالبهـــائم والعبيـــد

وأن تعيـــش مـــع القطيـــع — وأن تُقـــاد ولا تقـــود
إن الـــسعادة أن تـبلـــغ — ديـــن ذى العـــرش المجيـــد
إن الـــسعادة فى التـلـــذذ — بـالمـتاعـب لا الـتـلـذذ بـالـرقـود

نعم، ولا تيأس إذا لم تقبل نصيحتك من أول مرة...

بل أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته، ومدمن الطرق للأبواب أن يلج...

وانظر إلى ذلك الجبل، انظر إلى الشيخ ابن باز رحمه الله، دخل عليه بعض المصلحين، يستعينونه لإزالة منكر وقع من أحد الأشخاص...

فقال الشيخ: اكتبوا له رسالة، انصحوه، فقال أحدهم: كتبت له يا شيخ، ولم ينتهِ...

قال: اكتبوا له أخرى...

فقال الثاني: أنا كتبت له يا شيخ أيضًا...

فقال: اكتبوا له ثالثة...

فقال أحدهم: إلى متى يا شيخ؟! هذا مُعرض لا يتعظ...

فقال الشيخ: والله إنى فى إحدى المرات، كتبت إلى صاحب مُنكر مائة مرة، حتى أزاله...

نعم، همة عالية، وعزيمة ماضية...

فماذا ننتظر إذا كثرت المنكرات، إلا أن تحل البليات، ويسخط رب الأرض والسموات...

قال الله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]...

وفى الصحيحين عن بعض أزواج النبى عليه السلام، قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فزعًا، يقول: **«لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب، من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج، مثل هذا»**. وحلق بإصبعه وبالتى تليها...

فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟!

قال: «نعم، إذا كثُرَ الخبث».

نعم، إن الدين لا يتمكن بأيدى الضعفاء، ولا يرتفع بهمة الجبناء...

وإنما ترفعه همة الرجال الأشداء، الذين تعلقوا بالسماء...

ربوا أنفسهم على الطاعات، وإنكار المنكرات...

قال سفيان الثورى: والله إنى لأرى المنكر، فلا أستطيع إنكاره، فأبول الدم، من شدة الهم والغم...

وقال العُمرى: من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نزع الله هيبته من قلوب العباد، حتى لو أمر ابنه أو نهاه لاستخف به...

وكلما كان المنكر ظاهرًا، كان خطره أشد؛ لأنه يُجرئ الناس على فعله...

ومن أظهر المنكرات التى يحاسب كل من رآها ولم يُنكرها، ما يقع فى بعض بلاد المسلمين من الشرك بالله، كمن يستغيث بغير الله فى كشف الكُربات، أو يقف عند القبور سائلاً أهلها الحاجات...

وكذلك تعليق التمائم الشركية، على الأولاد، أو السيارات والبيوت، لدفع العين أو غيرها...

وقد قال عليه السلام فيما رواه أحمد: «من علَّق تميمة فقد أشرك»...

وكذلك الحلف بغير الله، كالحلف بالكعبة، أو الشرف، أو النبى...

وقد روى أحمد أنه ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

ومن أكبر المنكرات، استعمال السحر والكهانة والعرافة...

وقد قال ﷺ كما فى «المسند»: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد».

وقال فيما رواه مسلم: «من أتى عرافًا فسأله عن شىء؛ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة».

ومن أكبر المنكرات بل الكفر، ترك الصلاة...

قال ﷺ فيما رواه مسلم: «بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة».

ومن أكبرها وأطمها، الزنا، وهو أعظم الذنوب بعد الشرك والقتل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]..

وفى عصرنا فتحت كثير من أبواب الفاحشة، ففشا التبرج والاختلاط ومجلات الخنا، وأفلام الفُحش...

ومن سبل الزنا، ما يقع فى بعض الأماكن من اختلاط الرجال والنساء، سواء فى مستشفيات أو مدارس، أو غير ذلك...

وفى «الصحيحين» عنه ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». يعنى الخلوة بهن...

بل أمر الله المرأة بالتستر حتى لا يراها الرجال، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

[الأحزاب: ٥٩]

بل قد نهى الله الصحابة جميعًا عن الاختلاط بالنساء فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ يعنى: إذا سألتم أزواج النبى وهن أطهر النساء ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ لماذا؟ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وحسبك بالصحابة طاعةً وخوفًا وتعبدًا.

فكيف الحال اليوم مع شبابنا وفتياتنا وقد فسد الزمان؟

فكيف يخلو اليوم شاب بفتاة، ويقولان: صداقةٌ بريئةٌ!

عجبًا...

قال سفيان الثورى لرجل صالح من أصحابه: (لا تخلون بامرأة ولو لتُعلمها القرآن). نعم أيها الأخوة والأخوات...

هذا ديننا ليس فيه تساهل مع الأعراض...

ويجب على كل من رأى من يتساهل بذلك أن يحذره من عذاب الله...

ومن المنكرات: أكل الربا، والربا ثلاثة وسبعون بابًا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه...

ودرهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستٍّ وثلاثين زنية...

ومن المنكرات، شرب المسكرات...

قال ﷺ كما عند مسلم: «**إن على الله سبحانه وتعالى عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**». قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار أو عُصارة أهل النار**».

ومن المنكرات: سماع الغناء، وقد قال ﷺ كما عند البخارى: «**ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**».

ومما زاد البلاء فى عصرنا دخول الموسيقى، فى أشياء كثيرة كالساعات، والأجراس، وألعاب الأطفال، والكمبيوتر، وأجهزة الهاتف، والله المستعان.

وغير ذلك من المعاصى، ويجب نصيحة أهلها، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]...

إلى غير ذلك من المنكرات، كعقوق الوالدين، والغيبة، ومجالس اللهو وغير ذلك...

وختامًا.

فهذه قمم، من قمم الجبال...

وليبشر كلٌّ من وصل إلى شرفاتها، وسكن فى روضاتها، بجنات ونهر، فى مقعد صدقٍ عند عزيز مُقتدر...

فأكرم بجنات النعيم وأهلها ... إخوان صدق أيها إخوان

جيران رب العالمين وحزبه ... أكرم بهم فى صفوة الجيران

هم يسمعون كلامه ويرونه ... والمقلتان إليه ناظرتان

وعليهم فيها ملابس سُندس ... وعلى المفارق أحسن التيجان

تيجانهم من لؤلؤ وزبرجد ... أو فضة من خالص العقيان

وخواتم من عسجد وأساور ... من فضة كسيت بها الزندان

وطعامهم من لحم طيرٍ ناعم ... كالبُخت يطعم سائر الألوان

وصـــحافهم مـــن ذهـــب ودر فـــائق سـبعون ألفًـــا فـــوق ألـــف خـــوان
إن كنـــت مُـــشتاقًا لهـــا كلفًـــا بهـــا شـــوق الغريـــب لرؤيـــة الأوطـــان
كـــن مُحـــسنًا فيـــما اســـتطعت فـــربما تجـــزى عـــن الإحـــسان بالإحـــسان
واعمـــل لجنـــات الـــنعيم وطيبهـــا فنعيمهـــا يبقـــى ولـيـــس بفـــان
أدم الـــصيام مـــع القيـــام تعبـــدًا فكلاهمـــا عمـــلان مقبـــولان
قم فى الدُّجى واتـل الكتـاب ولا تـنم إلا كنومـــة حـــائرٍ ولهـــان
فلـــربما تـــأتى المنيـــة بغتـــةً فتُـساق مـــن فـــرشٍ إلـــى الأكفـــان
يـــا حبـــذا عينـــان فى غـــسق الـــدُّجى مـــن خـــشية الـــرحمن باكيتـــان
واغضض جفونك عن ملاحظة النسا ومحاســـن الأحـــداث والـــصبيان
أعرض عن النسوان جهـدك وانتـدب لعنـــاق خيـــراتٍ هنـــاك حـــسان
فى جنـــةٍ طابـــت وطـــاب نعيمهـــا مـــن كـــل فاكهـــةٍ بهـــا زوجـــان
لا تحقـــرن مـــن الـــذنوب صـــغارها والقطـــر منـــه تـــدفق الخلجـــان
وإذا عـــصيت فتُـــب لربـــك مُـــسرعًا حـــذر المـــمات ولا تقـــل لم يـــان
لا تتبـــع شـــهوات نفـــسك مُـــسرفًا فـــالله يـــبغض عابـــدًا شـــهوانى
ومـــن اســـتذل لفرجـــه ولبطنـــه فهـــما لـــه مـــع ذا الهـــوى بطنـــان
أظمـــئ نهـــارك تُـــرو فى دار العـــلا يومًـــا يطـــول تلهـــف العطـــشان
لا خيـــر فى صـــور المعـــازف كلهـــا والـــرقص والإيقـــاع فى القـــضبان
إن التَّقـــــى لربـــــه مُتنـــــزه عـــن صـــوت أوتـــار وســـمع أغـــانى
وتـــلاوة القـــرآن مـــن أهـــل التُّقـــى سيما بحـــسن شـــجا وحُـــسن بيـــان
أشـــهى وأوفى للنفـــوس حـــلاوةً مـــن صـــوت مزمـــار ونقـــر مـــشان
وحنينـــه فى الليـــل أطيـــب مـــسمعًا مـــن نغمـــة النايـــات والعيـــدان
يـــومُ القيامـــة لـــو علمـــت بهولـــه لفـــررت مـــن أهـــلٍ ومـــن أوطـــان

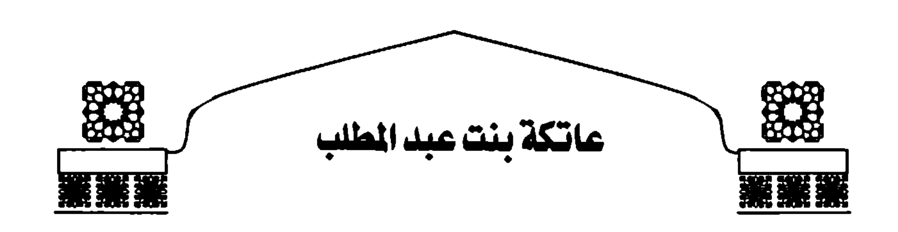
يــومٌ تــشققت الــسماء لهولـــه وتـــشيب فيـــه مفـــارق الولـــدان
يـــومٌ عبـــوسٌ قمطريـــرٌ شـــره في الخلـــق مُنتـــشر عظيـــم الـــشان
يـــومٌ يجـــيء المتقـــون لـــربهم وفــدًا علـــى نجـــبٍ مـــن العقيـــان
ويجـيء فيـه المجرمـون إلـى لظـى يتلمظـــون تلمـــظ العطـــشان
والجنـــة العليـــا ونـــار جهـــنم داران لـــلخـــصمين دائمتـــان

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا لفعل الخيرات وترك المنكرات.

وأن يجعلنا هُداة مُهتدين غير ضالين ولا مُضلين.

هذا والله تعالى أعلم.

* * *



عاتكة بنت عبد المطلب

والحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأسأل الله ألا يحرمنا الأجر.

كلامنا عن امرأة هى عمة من عمات النبى ﷺ اختلف فى إسلامها: هل أسلمت أم لم تسلم ذكر ابن عبد البر فى «الاستيعاب» أنها أسلمت وروى لها شعرًا تمدح فيه النبى ﷺ وتصفه بالنبوة، فاقتبس أهل العلم من هذا الشعر أنها دخلت فى الإسلام مع وجود الخلاف فى إسلامها وعدمه.

هذه المرأة كانت عاقلة رشيدة وكانت من حكيمات العرب، والأرجح أنها دخلت فى الإسلام. ذكر أهل التاريخ شيئًا عجيبًا لها.

وقبل أن أذكر ما ذكروا أقول: هى عمة النبى ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب، والنبى ﷺ له عمات أخر منهن أروى وصفية وأميمة.

فقد كان له ﷺ عدد من العمات وعدد من الأعمام.

أما الشىء فهو أن عاتكة هذه رأت رؤيا، هذه الرؤيا حتى تستوعبوها لا بد أن أخبركم بشىء حدث قبلها، وهو أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة استولت قريش على أموال المسلمين التى فى مكة، وصارت تعمل بها فى التجارة؛ لأن المسلمين ما كانوا يستطيعون أن يهاجروا بأموالهم فليس الحال مثل الآن؛ فى السابق إبل وغنم ولا تستطيع أن تهاجر بها خفية فتنفضح.

فكان المسلمون يهاجرون عليهم ثيابهم ولا يستطيعون أن يأخذوا معهم شيئًا فالحاصل أن قريشًا استولت عليها وأرسلت هذه الأموال مع أموال لها إلى الشام فى تجارة مع أبى سفيان فى السنة الثانية للهجرة.

وعلم النبى ﷺ أن أبا سفيان فى الطريق للشام فخرج عليه الصلاة والسلام مع مجموعة فى أصحابه لأجل قطع الطريق عليه، فإذا بأبى سفيان قد سبقهم إلى الشام



ففات عليهم فقال لأصحابه: إذا رجع نهجم عليهم ونأخذ أموال المسلمين التى انتهبوها منا.

فبعث النبى ﷺ ثلاثة من الصحابة قال: ابقوا فى هذا المكان إذا سمعتم أنه قادم تعالوا أخبرونا، وفعلاً لبث الصحابة هناك، حتى ظهر أبو سفيان وهو قادم من الشام –تعلمون أنتم أن المدينة فى الأعلى ومكة فى الأسفل والشام فى الأعلى فى الشمال وهو عندما يأتى من الشام لا بد أن يمر بجانب المدينة حتى يستطيع أن يصل إلى مكة– فأبو سفيان فكر أن المسلمين يمكن أن يقطعوا عليه الطريق فخاف منهم وسأل بعض الناس فقالوا: نعم. محمد جمع لك جيشًا، فخاف على الأموال التى معه.

معه ألف بعير وهذه ألف البعير ليس معها سوى أربعين حارسًا، وربما يستغرب هذا العدد مع هذه الأموال؛ لكنها العادة كان إذا أرادوا أن يسافروا لا يستطيعون أن يأخذوا معهم حراسًا كثيرين من بلدتهم، وذلك لسبب وهو أنهم كلما دخلوا إلى حمى قبيلة من القبائل التى يمكن أن تحاربهم أخذوا منها أربعين، فمثلاً إذا دخل إلى حمى قبيلة أسلم قال: يا أسلم أنا مستأجر من عندكم ناسًا يحمونى وهذا فيه إفادة لكم ولى حتى إذا انتهى من قبيلة أسلم يحاسبهم ويذهبون ثم يذهب إلى قبيلة خزاعة مثلاً. ويستأجر منهم... إلخ. فكان الأربعون الحارس أمرًا عاديًا بالنسبة لهذا العدد.

أبو سفيان لما علم نادى رجلاً اسمه ضمضم بن أبى ضمضم الغفارى وسأله كم يحتاج من الوقت كى يصل إلى مكة إذا سار فى هذا الطريق؟

قال: أحتاج إلى أسبوع ونصف أو أسبوعين إذا كنت مسرعًا.

قال: كم يعطونك؟

قال: يعطونى مائة دينار مثلاً.

قال: أنا أعطيك خمسمائة ينار؛ شرط أن تصل فى يومين أو ثلاثة.

قال: أفعل.

قال: خذ واذهب إلى قريش وقل لهم: افزعوا إلى عيركم (القافلة التى لكم) فأنا لا أستطيع أن أحميها وحدى.

فركب ضمضم من عند أبى سفيان ومضى يقطع الطريق إلى قريش، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت ذات يوم فى منامها (هذه هى الرؤيا العجيبة) كأن رجلاً أقبل من خارج مكة على بعير وقد جُدع أنف البعير وأخذ يصيح عند مدخله لمكة قال: يا آل الغدر يا آل غدر (أى: يا أيها الغادرون) انفروا إلى مصارعكم ثلاثة.

تقول: ثم رقى على جبل أبى قبيس فأقبل إليه الناس، تقول: فصاح قائلاً: انفروا يا آل غدر مرة ثانية إلى مصارعكم فى ثلاث. تقول: والناس لا يدرون ماذا يريد، ثم أخذ حجرًا فى الأرض ورماه فلما رمى هذا الحجر تدحرج الحجر من فوق الجبل حتى إذا وصل إلى أسفل الجبل فكسر إلى حصى وصارت كل حصاة تتدحرج فلم يبقَ بيت فى مكة إلا دخلها قطعة من الحجر.

تقول: ثم نزل من على الجبل.

رؤيا عجيبة فأصبحت قبل أن تطلع الشمس وهى مشغول بالها بسبب رؤياها، فنادت أخاها العباس وقالت: أنا رأيت رؤيا غريبة.

قال: ماذا رأيت؟

قالت: هذه رؤيا لا أضغاث أحلام هذه رؤية عجيبة.

قال: ما هى؟

قالت: رأيت كأن رجلاً أقبل وقال: انفروا يا آل غدر، ثم رقى على جبل أبى قبيس وألقى الحجر ثم رقى على الكعبة.

فلما سمعها العباس قال: والله إنها لرؤيا فعلاً.

هذه رؤيا اكتميها حتى إذا وقع شىء فى مكة لم يورطونى وإياك. وما دام فيها (انفروا يا غادرين إلى مصارعكم) فمعناها أنه يقع موت أو يقع شىء.

وخرج العباس من البيت فلقى عتبة بن ربيعة قال يا عتبة: تعال.

قال: نعم.

قال: أخبرك بشيء ولا تخبر أحدًا؟

قال: ما الشيء؟

قال: أختي عاتكة في نومها رأت كأن رجلاً جاء وقال: انفروا إلى مصارعكم ورقى جبل أبي قبيس وألقى حجرًا ثم رقى الكعبة. وذهب العباس إلى بيته. ودخل عتبة إلى بيته يفطر قبل أن تطلع الشمس (كل هذا خلال نصف ساعة).

فجاء ولده الوليد بن عتبة يفطر معه.

قال: يا وليد، سأخبرك بشيء ولا تخبر به أحدًا.

قال: ماذا ؟

قال: عاتكة أخت العباس رأت كذا وكذا. فانتبه ولا تعلم أحدًا.

جلس العباس في بيته إلى أن طلعت الشمس ثم خرج إلى الكعبة سيطوف فإذا قريش في أنديتهم حول الكعبة كل مجموعة تتحدث برؤيا عاتكة.

دخل الرجل فقال له أبو جهل وكان جالسًا: يا عباس إذا انتهيت من طوافك فتعال.

قال: لماذا؟ فلما انتهى من طوافه جاءه.

قال له أبو جهل: يا عباس، متى حدثت فيكم هذه النبية؟

قال: أي نبية؟ فالعباس ما كان يتوقع أن ينتشر الخبر بهذه السرعة.

قال: أما كفاكم يا آل عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم؛ فبدأت نساؤكم تتنبأ؟!

قال: أيش القصة؟

قال: رؤيا أختك عاتكة التي رأت فيها أن رجلاً أقبل وحصل كذا وكذا ورقى على جبل...، وما من العباس إلا أن ينكر. فقال له: ما حصل شيء وهذا كلام غير صحيح.

قال: بل صحيح وهذا الكلام واقع وأنت قلته وهؤلاء الناس كلهم يتحدثون به؛ لكن سوف نعطيكم يا آل عبد المطلب يا بني هاشم كلكم ثلاثة أيام مهلة وإما أن يقع

شىء يدل على صحة هذه الرؤيا وعلى هذا التنبؤ، وإلا فوالله سنكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب بيت فى العرب فلا يتبايع الناس منكم ولا يقبلون أخباركم، وتكون فضيحةٌ.

وعاد العباس إلى بيته وكان ما حصل بينه وبين أبى جهل انتشر، فلما جاء الليل ما بقيت امرأة فى بنى هاشم إلا وجاءت بيت العباس. وأخذن يقلن: كيف السكوت على إهانتنا والسخرية بنا؟

يقول العباس: فثرت؛ كيف يتكلم هكذا على نسائنا. (وانظر إلى الغيرة التى عندهم حتى فى الجاهلية) فثار العباس ومضى اليوم الأول ومضى اليوم الثانى.

فلما كان اليوم الثالث حدث فى مكة شىء عجيب. وهو أن ضمضم بن أبى ضمضم وصل إلى مكة. وأراد أن يجذب انتباه الناس، ولكى ينتبه له الناس لا بد أن يفعل شيئًا غريبًا؛ إذ كل الناس يصيح فى هذا المكان، فما كان منه إلا أن خلع ملابسه وأصبح عاريًا وركب على البعير بالمقلوب وجدع أنف البعير حتى يصب دم البعير ويهيج ودخل بهذا الشكل على مكة. (الأمر فيه خمسمائة دينار) فلما دخل وجعل يصيح يا أهل مكة يا أهل مكة، التفت إليه الناس؛ لغريب شكله وعجيب منظره. هذه طريقة دعائية عندهم؛ فأقبلوا مباشرة إليه.

فقال: عيركم قد خرج إليها محمد وأصحابه ﷺ وما أظنكم تدركونها، وقد بلغت.

والعباس فى هذا اليوم متجهز لمضاربة مع أبى جهل، وهو إلى الآن لا يعلم أن ضمضمًا جاء.

فطلع العباس من بيته وذهب إلى الكعبة يقول: وقد لبست حلة وأنا فى نفسى أن أضرب أبا جهل اليوم.

يقول: فدخلت فإذا أبو جهل أمامى عند الكعبة. قال: فتعرضت له وقلت: ستكتب أنا أكذب أهل البيت... فتركنى ومضى.

فقلت: خائف منى، فمضيت له فى طريق آخر، وجشمت أمامه، فتركنى ومضى،

وإذا بالعباس قد علم خبر ضمضم بن أبى ضمضم، ووقعت بعد ذلك معركة بـدر لما خرجت قريش ونجت العير التى مع أبى سفيان.

وهنا نلحظ أمرًا مهمًا جدًّا ألا وهو أهمية حفظ الأسرار، خاصة بين الرجل وامرأته وما يكون بينهما من معاشرة، وإفشاء هذا الأمر لا يجوز، النبى ﷺ يقول: **«لعل أحدكم يحدث بما يكون مع امرأته أو هى تحدث»** فسكت النـاس كـان النبـى ﷺ يخطـب بهـم، فقامت امرأة من بين النساء قالت: والله يا رسـول الله، إنهـم ليفعلـون وإنهـن ليفعلـن. فقال النبى ﷺ: **«لا تفعلوا؛ فإن مثل ذلك كمثل حمار لقى حمارة وسط الطريق فوقع عليها والناس ينظرون»**.

انتبه إلى ضرب المثـل، والرجـل الـشهم الـذى عنـده مـروءة تـأبى عليـه مروءتـه ورجولته قبل أن يأبى عليه الدين أن يقع فى مثل هذا.

وكون الإنسان يفعل هـذا أو يقـع فيـه فقبـل أن يكـون محرمًـا هـو نـوع مـن السفاهة.

فالمرأة كلما زاد تكشفها قلت غيرة الرجال عليها؛ لأنهم ازدادوا لها تعودًا.

فأنت الآن تجد واحدًا من الشباب ذهب بأولاده كـى يـدرس فى بريطانيـا أو نحـو ذلك فأولاده فى بداية الأمر إذا رأوا امرأة كاشفة عن ساقيها، أو امرأة تُقبَّـل، اندهـشوا لهذه الأفعال؛ لكن مع التعود يقل هذا الإحساس.

ولذلك حرم الدين التساهل بالشىء القليل حتى لا تتعوده النفوس، إذا كبر.

وأمر آخر مهم أيضًا وهو أننا نجد فتيات كاشفات عن زينتهن، فإذا رحت تكلمها عما يمكن أن يحصل لها من مشكلات تقول: أهلى واثقون بى، وإذا جئت للأب يقـول: إنه واثق بها. فصارت ثقة فى غير محلها وهذه الثقة تؤدى إلى الهلاك.

وننصح نصيحة للأبوين، وللفتيات خاصة فى موضوع الثقة العمياء.

مسألة الثقة عمومًا تحتاج إلى ضبط: فإذا كان الرجل ربَّى ابنته عـلى مـستوى مـعين؛ فلا بد أن يعطيها الثقة فى حدود.

فأنت الآن فى وقت ربما لا تستطيع أن تضبط الأمور كما تريد، أصبحت الجوالات

فى كل يد، أصبحت الأرقام تشترى بريالات معدودة، أصبح كل واحد بإمكانه أن يكون معه جوال، والإنترنت إلى غير ذلك.

وهذه الاتصالات المحرمة من أرادت أن تفسد بها فسدت.

وأذكر أن أحدهم كان يتناقش مع ابنته فكان يقول يا ابنتى: لا تدخلى على الشات ولا تدخلى على (الماسنجر) استفيدى من أشياء معينة.

فقالت البنت: أنت يا أبى لا تثق بى إذًا. وهذا يقوله البنات دائمًا لآبائهن.

قال: أنا أثق بك؛ لكن لا أثق بوسوسة الشيطان. كما أنى لا أثق بالذئاب المنتشرين فى الشوارع.

ثم إن مسائل الحجاب وغيرها مسائل دينية ليست مسائل اجتماعية، المسألة ليست عادات العرب ولكنها دين ندين لله تعالى به والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] لاحظ فالآية نص صريح، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] وقال فى آية أخرى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فكانت تلبس الخلخال فى السابق مثل الأساور التى فى اليد، فنهى الله المرأة أن تمشى على الأرض بقوة حتى لا يسمع الرجال صوت خلاخلها فيفتنوا.

وإذا كان الرجل منهيًا عن سماع صوت خلاخل المرأة فما بالك بسماع صوت تغنجها وتلطفها ونحو ذلك؟

أنا أود أن أثير قضية مهمة وهى مسألة الغيرة غيرة المرأة على نفسها وغيرة الرجل على امرأته أيضًا، ومما يعين على هذا الأمر، وعجبًا أن صرنا نتكلم عليه!

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما يحصل فى بلدنا.

زيادة الوازع الدينى؛ لأنه يجعله يخاف من الله تعالى.

وهذه بعض مظاهر ضعف الغيرة:

أن تشاهد فى بعض الأسواق من تكون زوجته متكشفة وكل الناس يستمتعون بالنظر إليها فإذا نصحته، فكأن الأمر لا يعنيه ولا يلتفت إليك.

وأيضًا مشاهدة النساء متكشفات عاريات فى القنوات أربعًا وعشرين ساعة؛ حتى بدأ الإنسان ينظر إلى زوجته وإلى أهله فى الداخل وفى الخارج، وبدأ الشىء يصير عنده عاديًّا؛ لأنه تعود رؤية هذه الأمور.

ومن مظاهر ضعف الغيرة للرجال على النساء أو غيرة المرأة على عرضها، أن ترضى أن يرى كل الناس منها ما أمر الله تعالى بستره.

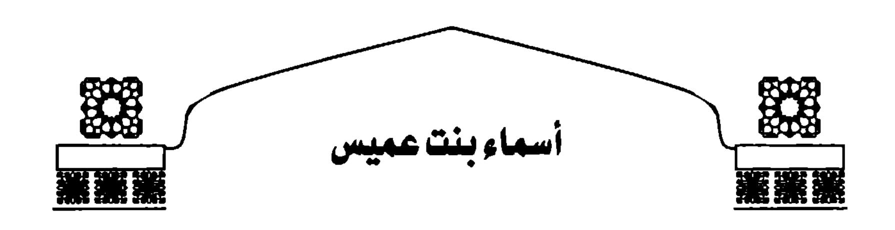
فالمرأة التى تظهر مفاتنها وحسنها وجمالها وتضاحك الرجال تجعل نفسها عرضة لكل واحد، مثلما جاء فى الحديث: «لا ترد يد لامس» هذه ليست عندها غيرة على نفسها والرجل ليس له غيرة عليها.

فى الحقيقة يبدو أننا استفدنا عدة فوائد من عاتكة:

أولها: مسائل الغيرة وأهميتها.

الأمر الثانى: السر وحفظه يقولون: كل سر جاوز الاثنين شاع. **فحاول أن تمسك** نفسك حتى فى قضاياك الخاصة.

* * *



أسماء بنت عميس

والحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

اليوم سنتكلم عن قدوة حقيقية من القدوات هى امرأة قدوة فى الإيمان بالله تعالى، قدوة فى الدعوة إلى الله، قدوة فى الصبر على البلاء فى تتابع عدد من المصائب عليها.

وتتزوج الزوج ويموت عنها، فيخطبها غيره وتتزوجه ثم يموت عنها.

قدوة أيضًا فى التغرب عن الأهل فى سبيل الدين؛ فالآن بعض النساء ربما لو سافرت مع زوجها وهو داعية إلى بلد معينة وجلسوا شهرًا واحدًا أو شهرين لقالت: أنا مللت وأرجعنى إلى أهلى؟ وكيف أعيش بعيدة عنهم.

هذه المرأة عاشت سنين وهى بعيدة عن أهلها ومع ذلك استطاعت أن تضحى من أجل الدين.

هذه المرأة من المسلمات الأول اللاتى دخلن فى الإسلام وهاجرن الهجرتين: هاجرن الهجرة الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة. هى أسماء بنت عميس رضى الله تعالى عنها.

أول من تزوجها جعفر بن أبى طالب وهو ابن عم النبى ﷺ وهو أخٌ لعلى رضي الله عنه. تزوجها جعفر وهو شاب عمره عشرون أو إحدى وعشرون سنة تقريبًا، ثم ضيق عليهم فى مكة مع من ضيق عليهم من المؤمنين، فقال النبى ﷺ للمؤمنين وفيهم جعفر وفيهم زوجته أسماء وباقى المؤمنين قال لهم: «**إن فى الحبشة ملكًا لا يظلم عنده أحد اذهبوا إلى الحبشة**».

كان نصرانيًا وكان الذى يحكم الحبشة فى ذلك الوقت هو النجاشى واسمه أصحمة رضي الله عنه، ولكن كل من حكم الحبشة يسمى النجاشى، مثل أن من حكم مصر يسمي فرعون. ومن حكم الإسكندرية يسمى المقوقس.هذا فى السابق والآن تغيرت

الأسماء عمومًا أو كسرى وهرقل ونحو ذلك.

المقصود: أنها هاجرت مع زوجها إلى أرض الغرباء البعداء فى الحبشة إلى أرض لم يألفوها ولغة لا يفهمونها وأقوام ما ألفوهم، يعنى: خرجوا من مكة بلاد عربية لها جو معين ولها طقس معين ولها عادات معينة ذهبوا إلى أرضٍ، ألوانُ الناس تختلف عن ألوان أهل مكة ولغتهم تختلف عن أهل مكة. طبيعة العيش ثقافة البلد كلها تختلف ومع ذلك كله ذهبوا وهم ستة وثمانون ما بين رجل وامرأة فى الصحابة ذهبوا إلى الحبشة.

أسماء بنت عميس لبثت فى الحبشة. وورد أنها ولدت فى الحبشة ثلاثة أولاد: ولدها عون وولدها محمد وولدها عبد الله هؤلاء الثلاثة كلهم ولدوا فى الحبشة، والعجيب أن هؤلاء الأولاد ولدوا هناك خلال سبع سنوات مكثتها أسماء مع زوجها فى أرض الغرباء البعداء، وكان لها عمل دعوى مع الناس يعنى: تدعو النساء فى الحبشة.

كان لها أيضًا نوع تأثير فى تثبيت المؤمنات اللاتى معها مؤمنات هاجرن، وتركن بعضهن أولادهن؛ لأنهم يهاجرون فى البحر يسافرون إلى الحبشة عن طريق البحر، والحبشة هى أثيوبيا اليوم. عمومًا فيها بحر حتى تستطيع أن تعبر البحر المتوسط ومع ذلك تحملوا هذه المشقة فى سبيل دينهم وتحملوا أذى الناس.

لبثوا فى الحبشة سبع سنين حتى فتح النبى ﷺ خيبر ووقع لهم فى الحبشة عدة أحداث:

منها: إن قريشًا أرسلت عمرو بن العاص وأرسلت عبد الله بن أمية لأجل أن يردوهم من الحبشة.

وفزعوا هناك وجاء زوجها جعفر وتكلم مع النجاشى وأسلم النجاشى على يد جعفر لما قرأ عليه القرآن.

وهى أحداث كلها لاحظتها أسماء بين يديها، وكانت علاقتها بزوجها علاقة حميمة؛ لماذا؟ لأنهم فى أرض غربة. وأنتم تلاحظون اليوم أحيانًا إذا كان الإنسان مع زوجته وذهب يدرس مثلًا فى أوربا أو ذهب للعمل هناك أو تغرب فى بلد معين ولبث

فى هذا البلد أربع سنين سبحان الله الزوجة هى ليس لها إلا هذا الزوج فى ذلك البلد لا أخوات تزورهم ولا أم تأتى إليها ولا أخ تشكوا إليه همها ما عندها إلا هذا الزوج والزوج ما عنده إلا هذه الزوجة فتلاحظ أن العلاقة تكون قوية عادة، فهى قويت علاقتها بزوجها جدًّا.

جاءوا من الحبشة لما فتح النبى ﷺ خيبر وكثرت الغنائم عند المسلمين، وصار المسلمون يستطيعون أن يستقبلوا العدد الكبير الذى سيأتى من الحبشة، وبعث النبى ﷺ إليهم أن جيئوا إلينا؛ فأقبلوا.

النبى ﷺ كان يحب جعفرًا وكان يقول له: «أشبهت خَلقى وخُلقى». خَلقى: شكلى وصفاتى الخارجية، أنت يا جعفر عينك وشكلك ووجهك وشعرك وجسمك يشبهنى، وقبله النبى ﷺ بين عينيه لما جاء وضمه وكان يقول: أخلاقك تشبه أخلاقى أيضًا. والناس ربما إذا رأوا جعفرًا تذكروا النبى ﷺ، وإذا رأوا النبى ﷺ تذكروا جعفرًا لشدة الشبه بينهما.

جاءوا من الحبشة، فدخل يومًا عمر بن الخطاب على امرأته فلما دخل قال لها: آلبحرية هذه؟ يعنى: التى جاءت فى البحر، ويقصد أسماء وكانت أسماء جالسة عند زوجة عمر.

فقالت: نعم.

هو لم يعرفها؛ لأنها كانت متحجبة حجابًا كاملاً. وإلا لما احتاج أن يسأل.

فقال: يا أسماء سبقناكم بالهجرة؛ لأن الهجرة فى المدينة لها فضل.

فقالت أسماء: كلا والله بل نحن سبقناكم بالهجرة إلى الحبشة. أنتم كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويداوى مريضكم ويواسى ضعيفكم ويقويكم على دينكم، ونحن فى أرض الغرباء البعداء ما عندنا أحد وتقول: سبقتونا؟ والله لأخبرن رسول الله ﷺ بكلامك وقامت إلى النبى ﷺ، فدخلت إلى النبى ﷺ قالت: يا رسول الله، أسمعت ما قال عمر؟ قال: **«وما قال؟»** قالت: يزعم أنهم خير منا وأننا فاتتنا الهجرة إلى المدينة، وجئنا متأخرين. فقال النبى ﷺ: **«أما قلت له: إنكم يا أصحاب السفينة لكم**

هجرتان؟ أنتم لكم أجر هجرتين ليس هجرة واحدة هم هاجروا واحدة فقط من مكة إلى المدينة وأنتم هاجرتم اثنتين من مكة إلى الحبشة ومن الحبشة إلى المدينة». أنتم يا أهل السفينة لكم هجرتان.

تقول أسماء: ففرحت وما فرح أصحاب السفينة بحديث أعظم من هذا الحديث. تقول: حتى كانوا يأتون إليَّ أرسالاً يسألونني عنه. أرسالاً أي: جماعات يتأكدون أن النبي قال هذا.

فكان لها تأثيرها.

أسماء لما رجعت إلى المدينة مع زوجها ومع أبنائها الثلاثة الآن انفتحت الدنيا لها ولزوجها وفرحوا وتخلصوا من الهم والغم الذى كانوا يجدونه فى الحبشة، فما مضى إلا سبعة أشهر حتى حضرت معركة مؤتة.

فقال النبى ﷺ لجعفر: «اخرج مع الناس» زوج أسماء. وجعفر رضي الله عنه يسمع ويطيع فما قال: يا رسول الله أنا لى سبع سنين فى الحبشة، وشوف غيرى من الصحابة، لا سمع وطاعة.

فقال رسول الله ﷺ للجيش: «أميركم زيد، فإن أصيب فجعفرعلى الناس – يعنى: هو المسئول – فإن أصيب فعبد الله بن رواحة توكلوا على الله».

فذهب الصحابة إلى مؤتة فى أقصى شمال الجزيرة العربية على حدود الأردن اليوم، فقابلهم جيش الروم فإذا الصحابة ثلاثة آلاف والروم أكثر من مائتى ألف مقاتل. لاحظ مائتى ألف أمام ثلاثة آلاف.

من أول المعركة قُتل زيد القائد الأول، ثم قتل جعفر قطعت يده اليمنى، فحمل الراية بيساره - لأن الراية إذا سقطت اضطربت الناس - ويمينه تسيل دمًا؛ أيها المسلمون أنا لا أستطيع أن أقاتل فجاء الرومى وقطع اليد الثانية. يقولون: فاتكأ عليها وحملها بما تبقى من يديه. فجاء من قتله.

وأقبل عبد الله بن رواحة وأخذ الراية وأخذ ينشد ويقول:

أقسمت يا نفسى لتنزلن أو لتقتلن ... أن أجلب الناس وشدوا الرن

مــالى أراكــى تكــرهين الجنــة   مــالى أراكــى تكــرهين الجنــة

ثم بدأ يقاتل وقتل فسقطت الراية. واضطرب الوضع معهم. والنبى ﷺ حدد لهم ثلاثة فقط ما حدد خمسة عشر، فأقبل زيد بن أكرم -ليس ابن أرقم -، أقبل إلى الراية وحملها ورفعها وقال: أيها الناس إلىّ إلىّ، أى: أقبلوا واجتمعوا عندى تعالوا.

فلما اجتمعوا قال: دبروا لكم قائدًا نحن الآن فى معركة قالوا: أنت.

قال: ما أنا لها أنا لا أستطيع أن أكون قائد أنا قدراتى أنى أرفع الراية ولكن أن أكون قائد لا أستطيع.

فاصطلحوا على خالد بن الوليد البطل سيف الله المسلول فأخذ الراية خالد وانسحب بالجيش ذلك اليوم إلى آخر قصة مؤتة، وفى المدينة النبى ﷺ بلغه الخبر أن الثلاثة قتلوا.

زيد له من يهتم بأهله وأولاده فهو ابن المدينة، وعبد الله بن رواحة أيضًا ابن المدينة أنصارى وفيهم من يهتم بزوجته وأولاده.

الكلام على جعفر الآن زوجته جاءت من الحبشة وأولاده أيتام وهم كانوا متعلقين بأبيهم تعلقًا منقطع النظير، والآن أبوهم مات ما استمتعوا به إلا سبعة أشهر.

فرقى النبى ﷺ المنبر واجتمع الناس قال: **«أيها الناس ألا أنبئكم بخبر جيشكم هذا الغازى؟»** قالوا: بلى يا رسول الله نبئنا.

قال: **«أخذ الراية زيد فأصيب فقتل فاستغفروا له»** قالوا: اللهم اغفر له وارحمه. قال: **«ثم أخذ الراية جعفر فأصيب فقتل فاستغفروا له»** ينتزعها انتزاعًا من قلبه. قالوا: اللهم اغفر له وارحمه. قال: **«ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فأصيب فقتل فاستغفروا له»**. الصحابة قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.

كلهم القادة قال: **«ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله مسلول وفتح عليه»** أى: نجّى الله تعالى الجيش.

ثم بكى النبى ﷺ ونزل وليس الذى يجرى من العين ماءها ولكنها نفس تذوب.

نزل النبى ﷺ من على المنبر ثم ذهب بعد ذلك إلى بيت أسماء بنت عميس.



ماذا تقول أسماء: كنت قد غسلت أولادى ونظفتهم وعجنت عجينى؛ ننتظر قدوم جعفر. أولادها مغتسلين والعجين معجون يحتاج إلى خبز، والأكل جاهز ننتظر قدوم جعفر.

تقول: فما راعنى إلا رسول الله ﷺ يستأذن على. تقول: جمعت على ثيابى فأذنت له، فهى إلى الآن لا تدرى أن زوجها قد استشهد.

فلما دخل قال ﷺ: «ادعى لى بنى أخى أولاد جعفر».

تقول: فأتيته بهم كأنهم أفراخ صغار كلهم أعمارهم سنتان أربع سنوات خمس سنوات صغار.

تقول: فلما رأوا رسول الله ﷺ أقبلوا إليه يضمونه ويقبلونه يظنونه أباهم جعفرًا من شدة الشبه، فلما رأى النبى ﷺ المنظر؛ انفجر باكيًا وجعل يمسح رءوسهم ويبكى، يمسح رءوسهم ويبكى، أسماء لما رأت هذا المنظر، قالت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شىء؟ والأولاد صغار لا يفهمون.

قال: «قتل جعفر». قالت: يا رسول الله، يُتم بنيه، وتبكى. فقال ﷺ: **«ألعيلة تخافين عليهم؟ أنا وليهم فى الدنيا والآخرة»** أنا المسئول عنهم، والعيلة: الفقر.

ثم خرج عليه الصلاة والسلام وهو يمسح دمعه ويقول: «ابعثوا لآل جعفر طعامًا فإنه أتاهم ما يشغلهم». أمهم لا تستطيع أن تطبخ لثلاثة أيام من شدة الهم.

ثم قال ﷺ بعد ذلك: «رأيت جعفرًا فى الجنة له جناحان يطير بهما حيث شاء» ومنذ ذلك سمى جعفر بالطيار.

عمومًا اجتماع الناس فى العزاء على طعام وشراب حتى أصبح مع الأسف أنه احتفال يعنى: فطور، غداء، عشاء وذبائح وغير ذلك هذا ليس من السنة؛ يقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: **«كنا نعد الاجتماع فى بيت الميت وصناعة الطعام من النياحة»** نوع من النياحه والبكاء والحزن.

لكن السنة هى هو أن يُبعث إلى أهل الميت الطعام يأكلونه هم.

أما أن يأتى بالذبائح والضيوف يستفيدون من الأكل أكثر من أهل البيت تجد أهل

الميت هم الذين يصبون القهوة وهم الذين يدخلون الطعام ويضعون الفاكهة هم أبناء الميت أليس كذلك؟! أليس هذا هو السنة؟! بل الاجتماع هذا وصناعة الطعام والذبائح وكل واحد يقول الغداء عليَّ والعشاء عليَّ هذا ليس من السنة، السنة أن يُبعث إليهم بطعام ويمكن إرسال الطعام إليهم من المطاعم بغير اجتماع عندهم ولا تحميلهم مشقة. أما الاجتماع ليس من السنة.

بقى الكلام حول ماذا فعلت أسماء بعد وفاة زوجها. أسماء تزوجت بعدما خرجت من العدة، تزوجت أبا بكر رضي الله عنه وولدت منه محمد بن أبى بكر، ثم مات عنها أبو بكر رضي الله عنه . فتزوجت بعده عليًّا رضي الله عنه فولدت منه يحيى بن على وولدًا آخر، ثم مات عنها أيضًا على رضي الله عنه .

اشتهرت أسماء حقيقة بأمور من ضمنها:

أنها كانت تعبر الأحلام وكان الصحابة يسألونها عن تعبير الأحلام.

قدرة أسماء على القيام بالدعوة إلى الله والتأثير فى الآخرين وهى فى أرض الغرباء البعداء؛ فينبغى أن تكون قدوة لجميع إخوتى وأخواتى الذين يسافرون إلى الخارج. ما سافرت إلى هناك وهى مضطهدة فى بلدها ما قالت لنفسها وهى فى البلد الجديد التى ذهبت إليه أنا تحملت أن أترك أهلى ووطنى فأنشغل بأولادى وهى فى هذه البلد. فكان لها فى ذلك البلد أعمال دعوية مع النساء اللاتى فى الحبشة حتى أسلم عدد من الحبشة بسبب دعوة الرجال والنساء المسلمين الذين ذهبوا إلى هناك.

لذلك ينبغى حقيقة أن يحمل الإنسان الهم فإذا ذهبت إلى أى بلد احرص على أن يكون لك بصمة.

ولا يشترط فى عصرنا أن يسافر الواحد بل يدعو إلى الله وهو فى مكانه من خلال الإنترنت وهذه الأشياء تسهل على الإنسان. وعرفنا أن أحد الإخوة كان يوقظ أهله ويدخلون غرف الإنترنت ويدعون للإسلام. طبعًا جزاهم الله خيرًا.

هذا نوع من حمل الهم، ومن الناس من تقول له: قم كى تصلى ركعتين ليس فى المسجد بل بالبيت ولا يقوم.

الحقيقة أنا أقول للجميع: لو حمل الهم مثلما حمل الصحابة الهم: همَّ النصح همَّ التوجيه همَّ أن يكون لى أنا بصمة.

والمشكلة فيمن يسافرون الآن إلى الخارج سواء يسافرون فى سياحة أو عمل أو يقيم فى تلك البلدان لا يكون له أى تأثير!

ولما تنظر إلى الصحابيات اللاتى هاجرن إلى أسماء بنت عميس أو إلى رملة بنت أبى سفيان أم حبيبة التى تزوجها بعد ذلك النبى ﷺ أو إلى الصحابة؛ تجد من ذلك عجبًا من شدة البصمات التى وضعوها.

إذا كان النجاشى نفسه ملك الحبشة أسلم على يد الصحابة الذين جاءوا إليه وهم أقبلوا لاجئين هاربين من الاضطهاد فى بلادهم.

فالقدرة على هذا التأثير هو أمر مهم. وهذا من أهم الدروس المستفادة من قصة أسماء، والذى أدعو إخوتى وأخواتى إلى الاقتداء به؛ لأننا إذا عرفنا فعلاً سير الصحابيات والصحابة لا نكتفى فقط بأن نستمتع بذكر ما فعلوا؛ بل لابد أن تكون مثلما قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٩٠] أولئك قوم سباقون فى الخير ينبغى علينا أن نقتدى بهم.

الأمر الثانى: المصائب التى نزلت على أسماء:

المصائب المتتابعة:

أول شىء: هجرتها من بلدها لأجل دينها.

الأمر الثانى: رجوعها بعد ذلك، وموت زوجها الذى كانت متعلقة به، وصبرها على ذلك وصبرها على تربية الأيتام الذين عندها. وبعد ذلك.

الأمر الثالث: موت أبى بكر عنها ثم موت على عنها.

قدرة المرأة على أن تتحمل هذه الضربات المتتابعة، وعلى أن تُغَرب ومع ذلك تستمر لها بصمات فى الإسلام هذا يجعل الهم فعلاً لو وقع فى قلوبنا جميعًا لصار لنا مثل هذا.

بعض النساء عندما يتوفى زوجها تقول: لا أتزوج بعده أحدًا.

وهذا أيضًا مهم والذى ينظر فى الصحابيات يجد أن المرأة مع كثرة الجهاد فى السابق عند الصحابة وقلة عددهم. فكانوا يدخلون المعارك وهم عدد قليل وأعداؤهم أكثر منهم فى الغالب، ولم يدخل الصحابة عمومًا أى معركة إلا وأعداؤهم أكثر منهم؛ ما كانوا يدخلون معارك وهم أكثر من أعدائهم فكان القتل كثيرًا.

فتجد أن المرأة يتزوجها أكثر من شخص، مثلًا ذكرنا أم كلثوم بنت على رضى الله تعالى عنها وعنه بنت فاطمة ﵂ أيضًا. تزوجها عمر ثم تزوجها عون بن جعفر ثم تزوجها محمد بن جعفر ثم تزوجها عبد الله بن جعفر. أسماء بنت عميس انظر من تزوجها. عاتكةَ بنت زيد تقدم خبرها وتزوجها عدد.

هذا أيضًا يدلك على أن الصحابة كانوا يراعى بعضهم أولاد بعض، لما يأتى ويتزوج المرأة، مثلًا أبو بكر لما يتزوج امرأة عندها ثلاثة أطفال هل هذا يعنى أنه ما وجد امرأة بكرًا ربما يكون آنس بها من المرأة التى لها أطفال؟! ومع ذلك ما كانت القضية عند الصحابة شهوانية؛ بل أنا أتزوجها إحسانًا إليها وإلى أطفالها ورعاية لهم ولزوجها الذى قتل وهو يدافع عن المسلمين. أم هكذا يموت ونتركها ونترك أولادها.

هذا ينبغى حقيقةً أن ينتبه إليه أيضًا إخواننا الذين ربما كان عندهم شىء من موت البعض فى سبيل الله ونحو ذلك فى فلسطين وفى غيرها أن يكون هناك نوع من التآزر فى مثل هذه المسائل.

أسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد جزاكم الله خيرًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم وأن يجزيكم خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



فاطمة الزهراء

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

نحن اليوم سنتكلم عن امرأة هي سيدة نساء أهل الجنة كما قال النبي ﷺ.

هذه المرأة حقيقة لما نظرت في سيرتها وجدت أعاجيب، لها بطولات وهي صغيرة عمرها سبع سنوات، لها بطولات وهي كبيرة.

كان النبي ﷺ يحبها حبًّا عظيمًا لدرجة أنها إذا أقبلت عليه قام ﷺ إليها وقبل جبينها وأقعدها مكانه من شدة تقديره لها.

وكان ﷺ أيضًا إذا جاء من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جاء إلى بيتها وسلم عليها ثم مضى إلى بيوت نسائه.

هذه المرأة هي سيدة نساء أهل الجنة كما ذكرنا وهي أيضًا قد ولدت سيدا شباب أهل الجنة ولدت الحسن والحسين، هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فاطمة نعلم أن أباها هو أكرم الناس وأعظمهم هو رسول الله ﷺ وأن زوجها هو الخليفة الرابع وهو ابن عم الرسول ﷺ وهو من آل بيت النبي ﷺ ورباه النبي ﷺ في بيته؛ فاجتمعت لعلي فضائل ربما قل أن تجتمع في غيره من الصحابة، مع أنه ليس أفضلهم رضي الله عنه؛ فترتيب الصحابة في فضلهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي؛ لكن عليًّا رضي الله عنه أيضًا له فضائل لم تكن لغيره في الصحابة الكرام.

فاطمة كانت هي أصغر أخواتها. فالنبي ﷺ عنده من البنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة.

فاطمة هي أصغر هؤلاء البنات وتوفيت أمها وهي لا تزال صغيرة، ولدت قبل بَعثة النبي ﷺ بسنتين وتوفيت أمها بعد بعثة النبي ﷺ بقرابة خمس أو ست السنوات، فهي لما ماتت أمها كانت لا تزال صغيرة دون العشر سنين وهيَ أصغر أخواتها ولم تتزوج بعد لصغر سنها.

وكان لها بطولات حتى فى صغر سنها كان لها بطولات من ذلك مثلا أنه فى يوم من الأيام النبى ﷺ مضى إلى الكعبة ليصلى عندها، وتعلمون أن الكعبة كانت المكان الذى يجتمع عنده كفار قريش فى نواديهم نقصد بالنوادى جلسات يجلس هؤلاء ثمانية أو تسعة مع بعض يتحدثون.

فكانت حول الكعبة أسواقهم وأماكنهم كل شيء حول الكعبة فأقبل النبى ﷺ جاء وصلى وسجد فقال أبو جهل وكان يجلس مع مجموعة: من يمضى منكم إلى سلا جذور بنى فلان، السلا أى: المشيمة والدم الذى يخرج مع الولادة، فيقول اليوم أنا مررت على المكان الفلانى وعندهم ناقة والدة يقوم واحد منكم الآن ويذهب ويأتى بالدم الذى خرج منها ويلقيه على رقبته.

النبى ﷺ ساجد، سجوده طويل جلس بين السجدتين، وسجد السجدة الثانية ففى هذه الأثناء انطلق واحد من الفجرة إلى تلك الناقة وأخذ الدم والفرث والمشيمة وغيره، والدم يتقاطر بين يديه والرائحة منتنة وأقبل والنبى ﷺ ساجد على ريح طيبة وطيب نفسه ورفعة قدره – وهو ﷺ كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل.

عرقه ﷺ طيب يعنى: مرة من المرات كانت أم سلمة والنبى ﷺ نائمًا عندها وعرق فكانت تأخذ قطعة من ورق أو نحو ذلك وتسلت بها العرق – تجمع العرق – ثم تجعلها فى قارورة عندها، فاستيقظ النبى ﷺ ووجد أم سلمة تجمع عرقه. قال: «**يا أم سلمة ما بالك؟**» قالت: عرقك يا رسول الله نجعله مع طيبنا فيكون ريحته أطيب. فهو أطيب الطيب عرقه ﷺ. يقول أنس: كنت إذا صافحته ﷺ كأنها أخرجت يده من جؤونة عطار. جؤونة العطار هو الإناء الذى يخلط العطار فيه الطيب. يقول أنس عندما أصافحه وأشم يدى والله كأن النبى ﷺأدخل يده فى جؤونة العطار وأخرجها فصافحنى.

تخيل رجلاً بهذا الريح الطيب وبهذا اللباس الحسن وبهذه العناية بالمظهر والشرف فهو من قريش وفى بنى هاشم ورجل كبير فى السن جاوز عمره الأربعين وربما جاوز الخمسين.

كل هذا وهو ساجد يأتى الخبيث ومعه السلى ويضعه على رقبته ﷺ، النبى ﷺ ساجد ما انتبه إلا والدم يسيل عن جانبيه والرائحة المنتنة والدم والفرث أمام أنفه لا يستطيع أن يرفع؛ لأنه لو رفع فسوف يتساقط بقية السلى على جسمه وعلى بقية ثيابه. وهو الآن اختلط بشعره ولحيته.

فى هذه الأثناء قريش ماذا فعلوا جعل الخبثاء يتمايلون بعضهم إلى بعض من شدة الضحك، الكفار من شدة غلبة الضحك سار الواحد لا يستطيع أن يمسك نفسه فوقع على الذى بجانبه والصحابة ينظرون إلى النبى ﷺ ولكنهم ضعفاء: عبد الله بن مسعود، بلال، خباب فماذا يفعلون؟

فلم يقبل ويشق غمام هذا الخوف والفزع والرهبة من الكافرين إلا فتاة عمرها سبع سنوات فاطمة، كانت تلعب عند بيتها فرأت أباها على هذا الحال فأقبلت تجرى فاطمة - عمرها سبع سنوات - أقبلت بيديها الصغيرتين تبعد سلى الجذور عن رقبة أبيها.

والعادة أنه من أصعب اللحظات على الأب أن يهان أمام أولاده، فكيف إذا كان الأطفال صغارًا أى: قد يهون الأمر إذا أهنت أمام أولادى وأعمارهم فى العشرين والثلاثين ربما كبار وهم يفهمون. لكن لما يكون ابنى أبو سبع سنوات وأبوه ينضرب أمامه هذه صعبة فما بالك إذا كان ما ينضرب بل يهان أكثر إذا كان يوضع على رقبته سلى الجزور أمر عظيم والذى يراه ليس ابنه القاسم أو عبد الله لكن الذى يراه ابنته أصغر بناته أصغر ذريته.

هذه فاطمة تأتى وتبعد سلا الجذور وهى تبكى وتسبهم. بالله عليكم بما تسبهم وهى بنت سبع سنين ليش تفعلون هذا بأبى أيش فعل فيكم بما ضركم وتبكى والنبى ﷺ ساجد يود لو مد يده وأمسك ابنته وضمها إلى صدره أمها ميتة وعمرها سبع سنوات ولا أخوات لا أعمام لا أخوال لا أبناء عم ينصرونها وهؤلاء الكفار كأنهم وحوش جالس بعضهم إلى بعض وقد بلغ بهم الفجور والكفر والاعتداء مبلغ وهى الصغيرة فاطمة أم سبع سنوات تبعده وتبكى.

والنبى ﷺ لما أُبعد هذا عنه رفع ثم رفع يديه وقال: «**اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام**» ودعا على هؤلاء السبعة ﷺ. انتهى من الصلاة وأخذ ابنته ومضى هؤلاء السبع فى أول معركة وقعت بين المسلمين وقريش وهى معركة بدر فى السنة الثانيةوهى أول معركة، قتلوا هؤلاء السبعة، وجروا إلى قليب بدر الذى جمعت فيه جثث المشركين وألقوا فيه.

لكن لك أن تقف – سبحان الله – إلى موقف هذه الصغيرة، وأنا أعجب بالله ياشباب الآن من أطفالنا أبو سبع سنوات وثمان سنوات أيش همهم الذين يعيشونه والفكرة التى يتبنونها؟ كيف يعيش هذا الطفل اليوم إذا كانت فاطمة عمرها سبع سنوات وبهذا المفهوم وتحمل سلا الجزور وتسبهم وتذهب مع أبيها وكأنها أربعين سنة عمرها وليس سبع سنوات بهذا الفكر وهذا التصرف.

فما قالت: لا. أخاف أن يضربونى بل جاءت وأبعدت السلى وأقبلت تبعده بكل هدوء وتسبهم وتقف فى جانب أبيها وعمرها سبع سنوات.

لاشك أن تربية النبى ﷺ متميزة، وتربية خديجة أم المؤمنين لها فيما أدركته من سنواتها، حتى تخرج مثل هذه القدرات.

العجيب أن فاطمة كبرت. هى ولدت فى السنة الثانية قبل البعثة كما ذكرنا أى: لما كان عمر النبى ﷺ ثمانى وثلاثين سنة ولدت فاطمة، ثم بعث ﷺ وعمره أربعون سنة، فعاشت بداية الإسلام فى مكة، وكانت تسمع الكفار يقولون: مجنون ساحر كاهن كذاب.

كل هذه الأمور كانت تطرق سمعها وبالتالى كونت عندها قدرة على مواجهة مثل هذه الأمور منذ صغرها. فما ولدت وفى فمها ملعقة من ذهب وما تربت فى قصر منيف وخادمات وسائقين، بل تربت فى بيت كان فيه فقر وحاجة، والأب الذى هو صاحب هذا البيت عنده أنواع من الابتلاء مع قومه ومع هذا كانت تلاحظ هذا كله.

عاصرت أيضًا فاطمة الهجرتين:الهجرة الأولى إلى الحبشة ورأت المسلمين وهم يضيق عليهم فى دينهم فى مكة، فيهاجروا إلى الحبشة، ورأتهم لما عادوا، ورأت الهجرة

الثانية أيضًا لما هاجر بها النبى ﷺ إلى المدينة.

من مناقب فاطمة ﵂ الزهراء الطاهرة بنت الطاهر ﷺ من مناقبها أن نسل النبى ﷺ ونسبه انقطع من جميع أولاده إلا من فاطمة.

نعلم أن أولاده أبا القاسم وعبد الله وإبراهيم - عبد الله بعض العلماء يشكك هل ولد له ولد اسمه عبد الله أم لا - لكن المهم أنهم ماتوا صغارًا، رقية وأم كلثوم وزينب أيضًا لم يكن لهم نسب ونسل يبقى.

زينب زوجها أبو العاص ورقية وأم كلثوم زوجها عثمان بن عفان ﵁ تزوج إحداهما ثم لما ماتت زوجه النبى ﷺ الثانية. وكلاهما ماتت فى عهد النبى بل كل الثلاث حتى زينب كلهم ماتوا فى عهد النبى ﷺ إلا فاطمة هى التى بقيت بعد وفاته وتوفيت بعده بستة أشهر ﵂.

المقصود: أن نسب النبى ﷺ انقطع من جميع بناته إلا من فاطمة ولدت الحسن والحسين وأم كلثوم ولدت الثلاثة ثم ماتت ﵂ فتناسل النسل من هؤلاء، تناسل النسل من الحسن ومن الحسين ومن أم كلثوم. وأم كلثوم لها ترجمة وهى معنا تزوجها عمر وولدت له أولاد. وقد سبق ترجمتها.

ومن مناقبها أن النبى ﷺ أخبر أنها هى سيدة نساء أهل الجنة كما روى ذلك الحاكم وغيره.

فاطمة كان لها مشاركات فى الجهاد مع المسلمين، لما كانت معركة بدر خرجت مع المسلمين وكانت أيضًا تسقى المجاهدين. وكنا ذكرنا سابقًا حتى ما ينفتح علينا باب بعض الناس الذين يقولون ليش المرأة اليوم ما تكون جندية فى الجيش نقول يا جماعة أصل العدد فى بداية الإسلام كان قليلاً؛ ففى معركة بدر النبى ﷺ استنفر كل من استطاع فلم يخرج معه إلا ثلاثمائة وأربعة عشر العدد قليل أساسًا، وفى معركة أحد خرج معه تسعمائة وخمسون والكفار ثلاثة آلاف ثم رجع من هؤلاء أكثر من ثلاثمائة فلم يبق إلا عدد قليل.

فكان أصلًا العدد القليل من الرجال يجعلهم يحتاجون إلى ناس يطبخون الطعام

وربما يغسلون الملابس، يداوون الجرحى، ويحضرون ماء يسقونهم. فلما يقول خمسون نتركهم لخدمتنا كم سيبقى للقتال فكانوا يحتاجون ففاطمة رضي الله عنها كانت ممن يخرج في ذلك.

كيف كانت تتعامل فاطمة مع زوجات أبيها: مع عائشة مع زينب بنت جحش مع صفية مع أم سلمة؟

كيف كانت العلاقة بينها وبينهم؟

كيف كانت وفاتها رضي الله عنها ؟

فاطمة توفيت أمها مبكرًا فى مكة ولم يكن لأمها ضَرة معها، ولما توفيت خديجة تزوج النبى ﷺ سودة فى مكة وهاجر بها ثم تزوج فى المدينة عائشة وتزوج بقية النساء عليه الصلاة والسلام.

كانت فاطمة أكبر سنًّا من عائشة؛ لأن النبى ﷺ تزوج عائشة وعمرها تسع أو عشر سنين وفاطمة تزوجت عليًّا فى السنة الثانية للهجرة بعد الهجرة بسنتين مع معركة بدر، وكان عمرها ثمانية عشر عامًا لما تزوجها على.

والنبى ﷺ تزوج عائشة أظن فى السنة الأولى تقريبًا للهجرة وعمرها تسع سنوات. فكانت فاطمة عمرها ربما أكثر.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن السن الأمثل للزواج للفتيات والشباب، ألا تلاحظون أن زواج النبى ﷺ من عائشة وعمرها تسع سنوات، وهذا فى النفس منه شىء عند بعض الناس ويقول: يا أخى كيف؟ إنها طفلة ذات تسع سنوات.

العجيب كنت أبحث فى سيرة عائشة فوجدت أن النبى ﷺ لما خطبها خطبها يعنى: مثل ما نقول نحن حجزها مثل ما يأتى واحد مثلًا إليك وعندك بنت عمرها ثلاثة عشرة سنة مثلًا تدرس فى أولى متوسط أو أولى إعدادى يقول لك: فلانة لولدى إن شاء الله فتقول خلاص هذا لا يعنى أنه تزوجها فإذا وصل عمرها إلى ستة عشر يأتى ويتزوجها الزوج المعروف فالنبى أتى وخطبها وعمرها سبع سنوات يقولون: فلما جاء وخطبها كانت مخطوبة أصلاً، فقال أبو بكر: يا رسول الله حيهلا وسهلا خطبها فى



مكة.

إذن كان الوضع عندهم عاديًا أن تخطب وعمرها ست أو سبع سنين. سأذهب وأستأذن ممن خطبها. يقولون: فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى الذى خطبها فلما أقبل إلى بيته فإذا هو سكران مع أبيه وينشدان بسب النبى ﷺ قال: إذن لا أحتاج إلى الاستئذان ما دام هذا أوله فيبغض آخره، فرجعَ إلى النبى ﷺ وزوجه إياها ثم لما صار عمرها تسع سنوات دخل بها.

ولابد أن نتنبه إلى طبيعة المرأة إذا بلغت وصار جسمها مناسبًا للزواج فما الذى يمنع من ذلك؟

الآن فى بعض الدول وأنا كنت أتكلم مع أحد الإخوة، من أحد البلدان الشام فنصحته أن يتزوج امرأة فسألنى طب كم عمرها؟ قلت له عمرها تسعة عشر أو ثمانية عشر.

قال: يا شيخ، آخذ طفلة؟! كيف طفلة وعمرها تسعة عشر.

نحن عندنا فى السعودية نجد المرأة لها ثمانية عشر تسعة عشر وربما عندها طفلان أو ثلاثة. يعنى: أحيانًا تتزوج وعمرها خمسة عشر وعمرها ثمانية عشر معها طفلان.فقلت كيف يا أخى.

قال: الزواج عندنا يكون فى سن ست وعشرين أو سبع وعشرين، وهذا السن الطبيعى للمرأة للزواج. هكذا ثقافتهم فى بلدتهم.

تعال إلى بعض البلدان اليوم مثل اليمن عندهم الزواج يكون مبكرًا جدًا. هكذا طبيعة البلد وطبيعة النساء وحرارة الجو وطبيعة الطقس تجعل الفتاة تبلغ مبكرًا وتظهر عليها علامات الأنوثة وغير ذلك وبالتالى يصح أن تتزوج.

فكانوا فى مكة العرب هذه ثقافتهم هذه طبيعتهم هذه عاداتهم هذه تقاليدهم من الطبيعى.

فلما يأتيكم أحد اليوم ويقول: كيف يا أخى النبى ﷺ يتزوج هذه الفتاة وهى طفلة عمرها تسع سنوات؟

نقول: طفلة بمفهومك أنت؛ لا تقس الموضوع بمفهومك بعد ألف وأربعمائة سنة بل قسه بمفاهيمهم هم.

وانظر إلى غير عائشة متى تزوجن، انظر إلى حفصة تزوجت زوجها الأول فكم كان عمرها؟ انظر إلى سودة تزوجت زوجها الأول وكم عمرها؟ أسماء بنت عميس التى تزوجها أبو بكر بعدما مات عنها جعفر كم كان عمرها لما تزوجها جعفر.

فكانت المسألة عندهم عادية إلى عهد قريب.

هل وقع خلاف بين فاطمة وعائشة؟

عائشة وفاطمة كانتا تعيشان تقريبًا فى بيت واحد؛ لأن فاطمة بنت النبى ﷺ فدائمًا تأتى إلى بيته وهذه زوجة أبيها وكانت فاطمة تجالس زوجات النبى ﷺ ويعلمون بفضلها ومحبته لها لدرجة أنه يكون جالسًا مع نسائه وتقبل فاطمة فيقوم إليها ويجلسها مكانه؛ لشدة المحبة وكانوا يعرفون ذلك.

بل إن فاطمة كانت تسر أحيانًا ببعض ما تريد لعائشة مثال ذلك: قال على رضي الله عنه يومًا لفاطمة: إن أباك قد جاءه سبى أى: حصلت معركة بينه وبين الكفار وسبى منهم سبيًا. يقول: فاذهبى فالتمسى منه خادمًا. فمضت فاطمة وطرقت الباب ولم يكن النبى ﷺ موجودًا، إنما الموجود عائشة.

فسألتها عائشة ماذا تريدين؟

ما قالت فاطمة: ما دخلك أنتى أنتى زوجة أبى ما أطلع أسرارى لا بل.

قالت: والله يا عائشة أنا عندى ظروف عندى كذا وكذا وأتعب وأريد من أبى أن يساعدنى بخادم من السبى. فأبانت لها عما فى نفسها، ولو كان فى نفس فاطمة شىء من عائشة لما تكلمت معها وقالت لها هذا الموضوع خاص بينى وبين أبى.

وهذا دليل على أن العلاقة بينهما كانت علاقة رائعة، وكذلك عائشة كانت تكرم فاطمة أيما إكرام حتى بعد وفاة النبى ﷺ وتزورها فى مرضها حتى فى الحديث الصحيح الذى روته عائشة تقول: «كان النبى ﷺ جالسًا معنا تقول: فأقبلت فاطمة تمشى ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ » أى: نفس طريقة مشى النبى ﷺ تمشى فاطمة هذه

بنته.

أحيانًا بعض الناس يتشابهون بالصوت بالشكل أحيانًا بالطباع بالحركات. يقولون: فلان يشبه فلان فتسئله أنت قريب لفلان فيقول لك: نعم فإذا هو أخوه أحيانًا.

تقول: فجاءت وجلست بجانب النبى ﷺ تقول فأسر إليها حديثًا وضع أذنها على فمه وقال لها كلمتيْن فبكت، فتعجبوا ليش تبكى أيش قال لها يا ترى لكن ما يقدرون ما يستطيعون أنه يسئلوا أيش قال لك. هذا سر بينه وبين بنته فسكتوا ثم لما رأها تبكى اقترب إليها وأسر إليها بحديث آخر فضحكت، قالت عائشة: ما رأيت عجبًا كاليوم بكاء ثم ضحك.

تقول: فلما قام النبى ﷺ قلت لها: يا فاطمة ماذا أسر لكِ النبى ﷺ؟

قالت: والله ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ فلم تقل عائشة: يا رسول الله أيش قلت لها؟

تقول: فلما مات النبى ﷺ سألت فاطمة مرة أخرى. قلت: يا فاطمة بماذا أسر إليك النبى ﷺ؟

فقالت: إنه قد قال لى: «إن جبريل كان يعارضنى القرآن - يعنى يراجع معى القرآن - فى كل سنة مرة وإنه هذه السنة عارض القرآن معى مرتين، أى: راجع معى مرتين، وما أراه إلا حضور أجلى». ما أظن إلا أنى سوف أموت، فجبريل يراجع معى القرآن جيدًا حتى أموت وأنا حافظ مائة فى المائة.

تقول: فبكيت.

تقول: ثم أسر إلى أخرى وقالت: «أما يرضيك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة، أو قال لها: إنك أسرع أهلى لحوقًا بى»؛ أنتى أول واحد بيموت من أهلى بعدى أنتى.

تقول: فضحكت، تعنى أنا سأتبع رسول الله ﷺ وسأكون سيدة نساء أهل الجنة.

عرفنا نحن أن الصحابية الجليلة فاطمة تزوجت فى سن مبكرة وغيرها من الصحابيات الجليلات رضى الله عنهن، وهذا ينقلنا إلى الحديث عن قلة المهور فى ذلك

الزمن.

كما تعلمون أن عليًا تزوج فاطمة بدرع فما كان عنده شيء، وفاطمة خطبت مرارًا قبل على وما زوجها النبى ﷺ وكان عمرها ثمانية عشر وعلى عمره ستة وعشرون عامًا لما تزوجها.

على نشأ فى بيت النبى ﷺ وأبوه كان فقيرًا وعلى كان فقيرًا نشأ ما فيه شيء عندهم فقال النبى ﷺ: لما قيل لعلى اذهب واخطب فاطمة قال له النبى ﷺ: «**عندك شيء؟**».

قال: ما عندى شيء.

فقال ﷺ: «**فأين درعك؟**».

قال: نعم يا رسول الله.

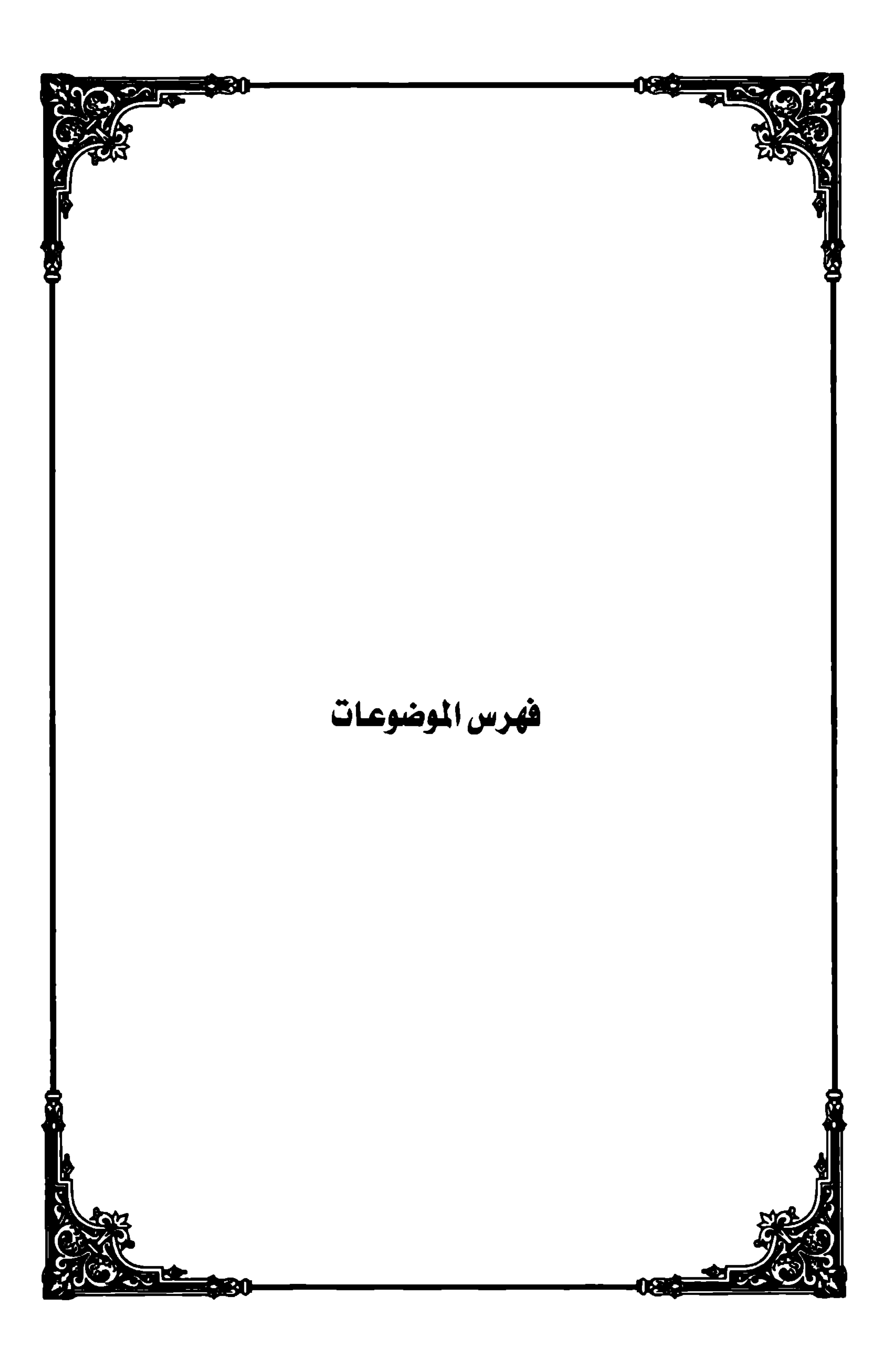
فقال ﷺ: «**بعها**». فباعها بأربعمائة وسبعين درهمًا وجاء وقدمها وتزوج فاطمة. يقولون: كان جهازها فى البيت- الآن جهاز البنات السرير الفاخر والغرفة إلى آخره. ويكلف ربما مئات الآلاف - كان جهازها مخدة وفراشًا ورحى وبساطًا هذا جهاز البيت كله الذى كان فى بيت فاطمة رضي الله عنها وتزوجها على، ثم بعد ذلك فتحت الدنيا عليهما ورزقهم الله تعالى بالحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

أسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد جزاكم الله خيرًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم وأن يجزيكم خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

* * *